



جامعة اليرموك  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

## أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة نحوية تداولية

" Vocative in the Holy Qura'n : Apragmatic and Syntactic Study "

إعداد الطالب

عز الدين إبراهيم رفيفان العوادين

إشراف الأستاذ الدكتور

سمير شريف استيتية

التخصص : لغة ونحو

## أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة نحوية تداولية

" Vocative in the Holy Qura'n : Apragmatic and Syntactic Study "

إعداد الطالب :

عز الدين إبراهيم رفيفان العوادين

بكالوريوس لغة عربية ، جامعة اليرموك ، 1992 م .

ماجستير لغة عربية، جامعة اليرموك ، 2006 م .

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، تخصص لغة ونحو في جامعة اليرموك، إربد - الأردن .

وافق عليها

مشرفاً ورئيساً  
عضواً .  
عضواً .  
عضواً .  
عضواً .

الأستاذ الدكتور : سمير شريف استيتية

الأستاذ الدكتور : رسلان بني ياسين

الأستاذ الدكتور : قاسم المومني

الأستاذ الدكتور : عبد القادر مرعي

الأستاذ الدكتور : منير شطناوي

تاريخ تقديم الأطروحة : 2015/4/23

© Arabic Digital Library - Yarmouk University



إلى والديّ الكريمين العزيزين نبع الحب والعطاء ورمز الصبر والكفاح

إلى زوجتي الغالية الحنون التي صبرت وتحملت عناء هذا الجهد .

إلى بناتي الغاليات : زهراتي الجميلات ندى وريم ومها .

إلى صغيري وحببي وقرة عيني الغالي محمد .

إلى إخواني الأعمام الذين شجعوني ومددوا لي يد العون والمساعدة .

إلى شقيقتي الغالية الكريمة ، رمز العطاء والحنان .

إليهم جميعاً أقدم هذا الجهد المتواضع.

الباحث

## شكر وإقمار وعرفان :

الحمد لله الذي أكرمنا بنعمة العقل، وأسبغ علينا نعمه الكثيرة ظاهرة وباطنة، والشكر له على عظيم فضله واعتنائه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخير أصفياه سيدنا محمد الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فيشرفني ويسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا الجهد المتواضع، ومد لي يد العون والمساعدة مرشداً وناصحاً وموجهاً، جزاه الله تعالى عني خير الجزاء، وسدد على طريق الخير خطاه، وزاد فضله وعلمه ونفع بهما.

ويشرفني أيضاً أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الأجلاء: الأستاذ الدكتور رسلان بني ياسين والأستاذ الدكتور قاسم المؤمني والأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي والأستاذ الدكتور منير شطناوي راجياً من الله العلي القدير أن ينفعني بعلمهم ويسدد على طريق الخير خطاهم.

ويسعدني أيضاً أن أتقدم بجزيل الشكر إلى ابن العم الفاضل الأستاذ طارق حمدان القاسم الذي أسهم في إنجاز هذا العمل طباعة وتنسيقاً.

## قائمة محتويات

الصفحة	الموضوع
ب	لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير و عرفان
هـ	قائمة محتويات
ز	ملخص الرسالة ( بالعربية )
1	المقدمة
9	الفصل الأول - التداولية اللغوية
9	المبحث الأول : التداولية اللغوية في الفكر العربي
9	المطلب الأول : مفهوم " التداولية اللغوية " في اللغة والاصطلاح
12	المطلب الثاني: " التداولية اللغوية " عند النحاة العرب
23	المطلب الثالث: " التداولية اللغوية " عند البلاغيين العرب
27	المطلب الرابع: " التداولية اللغوية " عند الأصوليين
29	المطلب الخامس: " التداولية اللغوية " عند المفسرين
32	المطلب السادس: " التداولية اللغوية " عند عبد القاهر الجرجاني
46	المبحث الثاني : التداولية اللغوية في الفكر الغربي
57	الفصل الثاني - أسلوب النداء في النظر النحوي العربي
57	المبحث الأول : أسلوب النداء في النظر النحوي العربي
57	المطلب الأول : وصف أسلوب النداء عند النحاة العرب، والتحليل التداولي له
70	المطلب الثاني : حروف النداء، توصيفاً وتحليلاً تداولياً
86	المطلب الثالث: وصف أنواع المنادى وأحكامه، والتحليل التداولي له
140	المطلب الرابع: وصف باب " الندبة " ، والتحليل التداولي له
149	المطلب الخامس : وصف باب " الاستغاثة " ، والتحليل التداولي له
155	المطلب السادس: وصف باب " الترخيم " ، والتحليل التداولي له
161	المطلب السابع : وصف باب " الاختصاص " والتحليل التداولي له
165	المبحث الثاني : أسلوب النداء في النظر البلاغي العربي القديم
165	المطلب الأول: منزلة النداء في النظر البلاغي العربي القديم

الصفحة	الموضوع
166	المطلب الثاني: التحليل التداولي للنداء في البلاغة العربية
169	الفصل الثالث - التحليل النحوي والتداولي لأساليب النداء في القرآن الكريم
170	المبحث الأول: نداء الاسم المعرف
170	المطلب الأول: نداء الاسم الموصول ( الذين آمنوا )
210	المطلب الثاني: نداء الاسم المعرف ( الناس )
224	المطلب الثالث: نداء الاسم المعرف ( النبي )
235	المبحث الثاني: نداء الاعلام
254	المبحث الثالث: نداء الاسم المضاف
254	المطلب الأول: نداء لفظ "ربّ" المضاف إلى ياء المتكلم
263	المطلب الثاني: نداء لفظ "ربّ" المضاف إلى نا المتكلمين
270	المطلب الثالث: نداء لفظ "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم
278	المبحث الرابع: نداء لفظ الجلالة ( الله ) بصيغة " اللهم "
284	المبحث الخامس: نداء النكرة المقصودة
294	خاتمة الدراسة
297	قائمة المصادر والمراجع
307	ملخص باللغة الإنجليزية

© Arabic Digital Library

## ملخص

"أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة نحوية تداولية"

إعداد الطالب:

عزالدين إبراهيم رفيفان العوادين

إشراف الأستاذ الدكتور:

سمير شريف استيتية

تتناول هذه الدراسة أسلوباً من أساليب اللغة التي نظر لها نحاة العربية، وهو أسلوب النداء. وارتأت الدراسة أن تبحث هذا الأسلوب في مستوى من مستويات اللغة هو المستوى التداولي. وستنهج منهجاً وصفيّاً تحليلياً في وصف نحوية هذا الأسلوب وبيان تداوليته.

وعليه، فقد ارتأت الباحثة أن تكون الرسالة، بعد المقدمة في ثلاثة فصول، وهي: الفصل الأول: "التداولية اللغوية"، وفيه مبحثان: الأول: التداولية اللغوية في الفكر العربي، وفيه ستة مطالب، هي: المطلب الأول: مفهوم "التداولية اللغوية" في اللغة والاصطلاح. والمطلب الثاني: "التداولية اللغوية" عند النحاة العرب. والمطلب الثالث: "التداولية اللغوية" عند البلاغيين العرب. والمطلب الرابع: "التداولية اللغوية" عند الأصوليين. والمطلب الخامس: "التداولية اللغوية" عند المفسرين. المطلب السادس: "التداولية اللغوية" عند عبد القاهر الجرجاني رائد التداولية في الفكر اللغوي العربي. وأما المبحث الثاني فهو: "التداولية اللغوية" في الفكر الغربي.

وارتأت الباحثة أن يكون الفصل الثاني لوصف أسلوب النداء في النظر النحوي العربي القديم وتحليله تحليلاً نحويّاً وتداولياً. ويشمل هذا الفصل مبحثين. الأول: أسلوب النداء في النظر النحوي العربي القديم وفيه سبعة مطالب هي:

المطلب الأول: وصف أسلوب النداء عند النحاة العرب، والتحليل التداولي له. والمطلب الثاني: وصف حروف النداء، والتحليل التداولي لها. والمطلب الثالث: وصف أنواع المنادى وأحكامه، والتحليل التداولي له. والمطلب الرابع: وصف باب "الندبة" والتحليل التداولي له. والمطلب الخامس: وصف باب "الاستغاثة" والتحليل التداولي له. والمطلب السادس: وصف باب "الترخيم" والتحليل التداولي له. والمطلب السابع: وصف باب "الاختصاص" والتحليل التداولي له. وأما

المبحث الثاني فهو: أسلوب النداء في النظر البلاغي العربي القديم، وفيه مطلبان: الأول: منزلة النداء في النظر البلاغي العربي القديم. والمطلب الثاني: التحليل التداولي للنداء في البلاغة العربية.

وخصص الباحث الفصل الثالث وهو فصل تطبيقي لوصف أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم وتحليلها تحليلاً نحويّاً وتداولياً. ويشمل هذا الفصل خمسة مباحث هي: المبحث الأول: نداء الاسم المعرف، وفيه ثلاثة مطالب هي: المطلب الأول: نداء الاسم الموصول (الذين آمنوا). والمطلب الثاني: نداء الاسم المعرف (الناس). والمطلب الثالث: نداء الاسم المعرف (النبي). والمبحث الثاني: نداء الأعلام.

وأما المبحث الثالث، فهو نداء الاسم المضاف، وفيه ثلاثة مطالب، هي: المطلب الأول: نداء لفظ "رب" المضاف إلى ياء المتكلم. المطلب الثاني: نداء لفظ "رب" المضاف إلى "نا" المتكلمين. والمطلب الثالث: نداء لفظ "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم. والمبحث الرابع: نداء لفظ الجلالة (اللهم). وأما المبحث الخامس، فهو نداء النكرة المقصودة.

اعتمد الباحث على رؤية عبد القاهر الجرجاني في وصف أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم وتحليلها تحليلاً نحويّاً وتداولياً. وختمت هذه الدراسة بذكر أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين سبحانه جلّت قدرته رب العرش العظيم، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيد المرسلين، سيدنا محمد المصطفى الهادي الأمين، وعلى آله بيت النبوة الطاهرين، وعلى من تبعهم وسار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد اهتم النحاة العرب بلغتهم، لغة القرآن الكريم، هدي البشرية أجمعين. فوصفوا مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والنحوي والدلالي. وحاولوا جاهدين جزاهم الله تعالى خير الجزاء أن يبينوا أسرار هذه اللغة الساحرة البديعة ودقائقها، وأن يكشفوا ما خفي من جمالياتها مستنديين في ذلك إلى هدي نبيهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم القرآن الكريم وإلى سنته الشريفة هدينا الثاني إلى الطريق القويم.

ارتأى الباحث في هذه الدراسة أن يختار موضوعاً يتعلق ببحث الظاهرة اللغوية في مستوى من مستويات اللغة هو المستوى التداولي، وهذا المستوى يتعلق باستخدام اللغة في مقاماتها المختلفة وسياقاتها المرتبطة بمقاصد متكلميها. وهو مستوى عميق يتطلب من الباحث الفحص والنظر والروية.

فموضوع الدراسة: " أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة نحوية تداولية " يبحث في جنباته أولاً نحوية هذا الأسلوب اللغوي بحثاً وصفيّاً تحليلياً للوقوف على أحكامه وقواعده ويستقصي ثانياً تداوليته للوقوف على المعاني التي يمكن استقضاؤها في جمل هذا الأسلوب في القرآن الكريم ونثر العرب وشعرهم.

واختار الباحث هذا الأسلوب لسببين هما: أن هذا الأسلوب يعد واحداً من أساليب البلاغة العربية، وأن هذا الأسلوب يتضمن دلالة الطلب، ولهذا الطلب معانيه التداولية الكثيرة التي يمكن استبطانها من مقامات هذا الأسلوب وظروف استعماله. ولا يتحقق لنا فهم هذه المعاني ومعرفتها إلا بمعرفة مقامات هذا الأسلوب ومعرفة الظروف التي استعمل فيها. أما

السبب الثاني فهو أن فهم هذا الأسلوب يسهم في فهم الظاهرة اللغوية على اختلاف مستوياتها في القرآن الكريم ونثر العرب وشعرهم.

وستتناول هذه الدراسة موضوعها في ثلاثة فصول، هي : الفصل الأول: "التداولية اللغوية" ويشمل هذا الفصل مبحثين هما: التداولية اللغوية في الفكر العربي . وفيه ستة مطالب، هي : المطلب الأول : مفهوم "التداولية اللغوية" في اللغة والاصطلاح. المطلب الثاني: "التداولية اللغوية" عند النحاة العرب. المطلب الثالث: "التداولية اللغوية" عند البلاغيين العرب. المطلب الرابع: "التداولية اللغوية" عند الأصوليين. المطلب الخامس: "التداولية اللغوية" عند المفسرين. أما المطلب السادس: "التداولية اللغوية" عند عبد القاهر الجرجاني رائد التداولية اللغوية في الفكر اللغوي العربي.

وأما المبحث الثاني من هذا الفصل فهو: "التداولية اللغوية" في الفكر اللغوي الغربي. وسيقتصر الحديث فيه على نشأة هذه الرؤية، وبيان أبرز أعلامها الذين نظروا لها في مصنفاتهم.

والفصل الثاني من هذه الدراسة هو : أسلوب النداء في النظر النحوي العربي القديم. ويشمل هذا الفصل مبحثين، هما: الأول : أسلوب النداء في النظر النحوي العربي القديم ، وفيه سبعة مطالب، المطلب الأول : وصف أسلوب النداء عند النحاة العرب، والتحليل التداولي له. المطلب الثاني : وصف حروف النداء، والتحليل التداولي لها. المطلب الثالث: وصف أنواع المنادى وأحكامه، والتحليل التداولي له. المطلب الرابع: وصف باب " الندبة" ، والتحليل التداولي له. المطلب الخامس : وصف باب " الاستغاثة" ، والتحليل التداولي له. المطلب السادس: وصف باب " الترخيم" ، والتحليل التداولي له. والمطلب السابع: وصف باب "الاختصاص" والتحليل التداولي له.

وأما المبحث الثاني، فهو : أسلوب النداء في النظر البلاغي العربي القديم، وفيه مطلبان: المطلب الأول: منزلة النداء في النظر البلاغي القديم. والمطلب الثاني: التحليل التداولي للنداء في البلاغة العربية.

وأما الفصل الثالث من هذه الدراسة فهو فصل تطبيقي وهو: التحليل النحوي والتداولي لأساليب النداء في القرآن الكريم. ويشمل هذا الفصل خمسة مباحث، هي : المبحث الأول : نداء الاسم المعرف ، وفيه ثلاثة مطالب، هي : المطلب الأول: نداء الاسم الموصول (الذين آمنوا). والمطلب الثاني : نداء الاسم المعرف ( الناس). والمطلب الثالث: نداء الاسم المعرف ( النبي ).

والمبحث الثاني : هو نداء الأعلام .والمبحث الثالث: هو نداء الاسم المضاف، وفيه ثلاثة مطالب، هي : المطلب الأول: نداء لفظ "ربّ" المضاف إلى ياء المتكلم. والمطلب الثاني : نداء لفظ "ربّ" المضاف إلى "نا" المتكلمين. والمطلب الثالث : نداء لفظ "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم.

والمبحث الرابع : نداء لفظ الجلالة ( اللهم ). وأما المبحث الخامس، فهو نداء النكرة المقصودة. وختمت الدراسة ببيان أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من هذه الدراسة.

#### • وصف الدراسة :

اهتمت الدراسات اللغوية الحديثة بدراسة الظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها، فقد درس المتخصصون والباحثون اللغويون هذه الظاهرة في مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والنحوي والدلالي محاولين - بصدق واجتهاد - كشف أسرار هذه الظاهرة، والوقوف على جمالياتها من خلال معرفة قواعدها وضوابطها وأحكامها.

فالتداولية اللغوية بمفهومها الشامل والواسع تتعلق بمستوى عميق من مستويات اللغة هو المستوى التداولي، وقد نظر لهذا المستوى ( المستوى التداولي ) علماء نحو النص ( نظرية

النص) في مقارباتهم النصية الحديثة؛ فحاولوا بيان أثره في تماسك النص من خلال علاقته بالمستويات الأخرى: المستوى المعجمي والنحوي والدلالي.

وموضوع هذه الدراسة يركز على أمرين، هما: وصف "نحوية" أسلوب النداء في سور القرآن الكريم، واستبطان المعاني التداولية التي يمكن قراءتها واستنتاجها في جمل أسلوب النداء في كل سور القرآن الكريم، موضوع الدراسة. فاستبطان هذه المعاني "المقصودة" أمر ممكن يستطيعه الباحث، فهو يحتاج إلى ربط أسلوب النداء موضوع البحث بالظروف والمقامات التي استخدم فيها. فمقام النداء يكشف عن المعاني التداولية المتولدة فيه.

وأما فصول الدراسة. والمباحث والمطالب المتعلقة بها، فقد ذكرت في المقدمة. وستتهج الدراسة نهجاً وصفيّاً تحليلياً في وصف "نحوية" أساليب النداء المتعددة الواردة في سور القرآن الكريم وكلام العرب (شعرهم ونثرهم). وستعتمد أيضاً في بيان أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم وكلام العرب (شعرهم ونثرهم) وتحليلها تحليلاً تداولياً على رؤية عبد القاهر الجرجاني التداولية في تفسير الظاهرة اللغوية وتحليلها تحليلاً تداولياً.

#### • أهمية الدراسة والدواعي لها :

تظهر أهمية هذه الدراسة في أنها تدرس الظاهرة اللغوية (أسلوب النداء في القرآن الكريم) بطريقة غير تقليدية، فالبحث في المستوى التداولي للظاهرة اللغوية، موضوع الدراسة، يفتح آفاقاً جديدة لدارسي اللغة وباحثيها في معرفة أسرار اللغة، وظواهرها المتعددة والمختلفة، ويسهم في فهم دقيق وعميق للظاهرة اللغوية؛ وذلك بربط هذه الظاهرة بظروف استعمالها وملابساتها المتعلقة بها. وهذا هو جوهر البحث في المستوى التداولي للظاهرة اللغوية.

ويسهم البحث في المستوى التداولي للظاهرة اللغوية في تماسك النص اللغوي وانسجامه من خلال ارتباط هذا المستوى بمستويات النص الأخرى: المستوى المعجمي والنحوي والدلالي. ولكي نفهم النص القرآني، عقيدتنا ودستورنا، فإنه يتوجب علينا باحثين ومتخصصين أن نفهم حقيقة الظواهر اللغوية الواردة فيه على اختلاف مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والنحوي والدلالي والتداولي.

وعليه؛ فقد ارتأى الباحث أن يختار موضوع هذه الدراسة ليسهم ولو بجزء بسيط في فهم لغة القرآن الكريم، هدي البشرية جمعاء.

ويمكن القول أن باحثي اللغة ومتخصصيها لم يستغلوا الرؤية التداولية في أبحاثهم ودراساتهم في تفسير الظواهر اللغوية وتحليلها؛ لذا فمن الواجب عليهم أن يوظفوا هذه الرؤية الإبداعية في أبحاثهم ودراساتهم لفهم ظواهر اللغة المتعددة والمختلفة واستجلاء حقائقها وسبر أعماقها.

#### • الدراسات السابقة:

تتسم الدراسات السابقة التي تناولت " أسلوب النداء في القرآن الكريم" بأنها دراسات وصفية . فقد اكتفت هذه الدراسات بوصف هذا الأسلوب وبيان أحكامه النحوية، فبينت عناصره وأحكامه وقواعده، بمعنى أن هذا الوصف لم يتجاوز وصف التركيب النحوي ، وهذا ما عبر عنه النحاة العرب، وهذا ما نجده في كتبهم ومصنفاتهم.

وما قلناه لا يعني أن النحاة العرب قصرّوا في حفظ العربية، وبيان قواعدها وقوانينها وشروطها وضوابطها، فقد اجتهدوا في حفظها ومعرفة قواعدها واستكناه أسرارها. وخير دليل على ذلك ما قدمه النحاة والبلاغيون والأصوليون والمفسرون من كتب ومصنفات ومخطوطات في إعراب القرآن الكريم، وبيان آياته وسوره ومعرفة أسرار معانيه وإعجاز ألفاظه.

فهذا عبد القاهر الجرجاني، في نظرية النظم، يقدم لنا رؤية لغوية إبداعية في فهم اللغة ومعرفة ظواهرها المتعددة. وللجرجاني قصب السبق في إرساء قواعد نظرية لغوية شاملة تتخذ من المستوى التداولي أساساً من أساساتها، وقد سماه الجرجاني " المقام". وعلينا أن نستثمر هذه النظرية ونوظفها في فهم ظواهر لغتنا واستبطان أسرارها الكثيرة.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت " أسلوب النداء في القرآن الكريم " ما يلي :

1- النداء في اللغة والقرآن للدكتور أحمد محمد فارس، بيروت: دار الفكر اللبناني ، 1989م. ركز الدكتور أحمد فارس في دراسته على أمرين: وصف أسلوب النداء عند النحاة والبلاغيين العرب، ورصد مواضع النداء في القرآن الكريم. ويمكن القول أن وصفه لهذا الأسلوب لم يتجاوز حدود الوصف النحوي الذي نظّر له النحاة العرب، وأن حديثه عن بلاغية هذا الأسلوب انحصر في بيان المعاني البلاغية التي يخرج إليها أسلوب النداء والتي نظّر لها البلاغيون العرب في مصنفاتهم أيضاً. لم يشر في دراسته إلى تداولية هذا الأسلوب ولم يفصح عن البعد الاستعمالي له.

2- ظاهرة النداء في العربية. رسالة ماجستير للباحثة سلوى زهدي فرفور. المشرف: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى. الجامعة الأردنية، سنة 1986م. جعلت الباحثة دراستها لظاهرة النداء في العربية في مستويين: مستوى نظري وهو وصف أسلوب النداء وأحكامه وأنواعه وحروفه وصفاً نحوياً في كتب النحاة العرب ومصنفاتهم. أما المستوى الثاني فهو مستوى الاستعمال وخصصته لبيان مواضع أسلوب النداء الواردة في القرآن الكريم وشعر العرب ونثرهم. اختارت الباحثة عينة ممثلة لأساليب النداء المتعددة من القرآن الكريم وشعر العرب ونثرهم في عصر الاحتجاج وما تلاه من عصور، وشملت العينة أيضاً مجموعة مختارة من الأدب الحديث (شعره ونثره). اهتمت الباحثة في هذا المستوى بوصف أساليب النداء المتعددة التي وردت في العينة الممثلة وإحصائها. ولكنها لم توظف الرؤية التداولية في وصف أساليب النداء وتحليلها تحليلات تداولياً لمعرفة المعاني المتولدة من مقامات هذه الأساليب وظروف استعمالها.

3- النداء في القرآن الكريم. رسالة ماجستير للباحثة نوال سلطان. المشرف: الأستاذ الدكتور نورالدين عتر. جامعة دمشق، 1985م. جعلت الباحثة دراستها في محورين: الأول: وصف أسلوب النداء في العربية وصفاً نحوياً، ويشمل هذا الوصف التحليل النحوي لأساليب النداء المتعددة وحروفه المختلفة. أما المحور الثاني فهو وصف أساليب النداء المتعددة في القرآن الكريم وتحليلها. ركزت الباحثة على تحليل حروف النداء وأساليب النداء المتعددة التي وردت في القرآن الكريم، وارتأت أن تقسم النداء الوارد في القرآن الكريم في أربعة أنواع: نداء العموم ونداء الخصوص ونداء النوع ونداء مالا يعقل. وبينت حقيقة استعمال أساليب النداء المتعددة في الآيات المكية والمدنية. إن استعمال نوع معين من النداء في الآية المكية أو المدنية له دواعيه وأسبابه وأغراضه وظروفه. وأفصحت الباحثة عن مدى ارتباط استعمال أساليب النداء بجوانب الحياة المتعددة كالجوانب التربوية والإنسانية. حاولت الباحثة أن تربط بين وصف هذا الأسلوب وتحليل ضروره وحروفه وبين استعماله في جوانب الحياة المتعددة. لكن الباحثة لم تعتمد على معطيات الرؤية التداولية في تحليل أساليب النداء وتفسير استعمالها المتعددة. اكتفت الباحثة ببيان الأغراض التي يخرج إليها النداء في نداءات القرآن الكريم.

4- أسرار النداء في لغة القرآن الكريم للدكتور إبراهيم حسن إبراهيم، مطبعة الفجالة الجديدة: القاهرة، 1978م. تناول الدكتور إبراهيم دراسته في أربعة أبواب هي: وصف حروف النداء وصفاً نحوياً وبيان كيفية استعمال كل حرف منها. ووصف أنواع المنادى وصفاً نحوياً وبيان

الأحكام النحوية المتعلقة بكل نوع منها، وتفصيل القول في تابع المنادى وتابع تابع المنادى وبيان أقسامهما وأحكامهما. وبيان أغراض النداء ودواعيه المتعلقة بكل نوع من أنواع النداء. حاول أن يبين استعمالية أساليب النداء المتعددة الواردة في القرآن الكريم، لكنه لم يتعمق في بيان حقيقة الأبعاد التداولية المرتبطة باستعمال هذه الأساليب. إن استعمال أساليب النداء المتعددة يرتبط بأبعاد تداولية كثيرة كالبعد النفسي والاجتماعي والثقافي، وهو أيضاً محكوم بمقامات وظروف. ففهم المعاني التداولية المتولدة من استعمال هذه الأساليب يتوقف على معرفة ظروف استعمالها ومقاماتها.

5- أسلوب النداء وجمالياته عند النحاة والبلاغيين. رسالة ماجستير للباحث عادل نعامة. المشرف: الأستاذ الدكتور سامي عوض. جامعة تشرين، سوريا، 2004م. ركز الباحث في دراسته على وجوب دراسة التراكيب اللغوية دراسة نحوية بلاغية. فالباحث يرى أن أسلوب النداء في العربية هو أسلوب نحوي له قواعده وأحكامه، وهو أيضاً أسلوب بلاغي يكشف عن البعد الجمالي. ويتمثل البعد الجمالي فيه في خروجه عن معناه الأصلي (طلب الإقبال) إلى معانٍ بلاغية كثيرة. أشار الباحث في دراسته إلى جهود عبد القاهر الجرجاني في الفكر اللغوي العربي. فهو يرى أن الجرجاني ربط في فكرة النظم عنده بين النحو والبلاغة. فالنحو عنده هو الأساس الذي تبنى عليه ضروب البلاغة. اكتفى الباحث بذلك ولم يشر إلى إمكانية توظيف الرؤية التداولية عند الجرجاني في تحليل أسلوب النداء تحليلاً تداولياً.

6- جملة النداء بين النظرية والتطبيق. رسالة ماجستير لحليمة عميرة. إشراف أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية. إربد، جامعة اليرموك، 1990م. تركزت دراسة حليلة في محورين: الأول: وصف أسلوب النداء عند النحاة والبلاغيين العرب وصفاً نحوياً، وقد شمل هذا الوصف أنواع المنادى وأدوات النداء وأغراض النداء وتابع المنادى. ووصفت أيضاً جملة النداء من منظور لساني معاصر، وشمل هذا الوصف بيان حقيقة جملة النداء في الدراسات اللغوية المعاصرة، وبيان الأنماط التحويلية في جملة النداء. أما المحور الثاني فهو محور تطبيقي ارتأت فيه إجراء وصف إحصائي لأسلوب النداء في النثر والشعر. اعتمدت في إحصائها لأسلوب

النداء في الشعر على المفضليات؛ لأنها تمثل عينات متنوعة لشعراء من قبائل متنوعة. أما العينة النثرية فتتمثل في القرآن الكريم وجمهرة خطب العرب والأمثال. حاولت عمايرة أن تبين استعمالية أسلوب النداء في القرآن الكريم وشعر العرب ونثرهم في العينة الممثلة، لكنها لم تعتمد على معطيات الرؤية التداولية في تحليل أساليب النداء المتعددة تحليلاً تداولياً.

The Semantic Functions of the Vocative in the Holy Quran. Master of -7 linguistics, Department of English language and literature, Yarmouk University, 2005 (supervisor prof. Dr. Mahmud Wardat).

اهتم البدارنة في دراسته في بيان دلالية أسلوب النداء الوارد في القرآن الكريم ودلالية أدواته. استنتج الباحث من دراسته أن النداء الوارد في القرآن الكريم يتمحور في نوعين: نداء عمودي وهو نداء رب العالمين لأنبيائه ورسله والبشر. وهذا النداء استعملت فيه أداة نداء البعيد "يا". ونداء أفقي وهو نداء البشر تضرعهم وتذللهم لرب العالمين. وهذا النداء حذف منه أداة النداء. لم يبين الباحث البعد التداولي في استعمال حرف النداء (ذكره أو حذفه) ولم يفصح عن تداولية أساليب النداء المتعددة الوارد ذكرها في القرآن الكريم. وعليه، فقد ارتأت هذه الدراسة أن توظف معطيات الرؤية التداولية في تحليل أساليب النداء المتعددة تحليلاً تداولياً، فخصصت فصلاً مستقلاً لبيان حقيقة هذه الرؤية، وجعلت الفصل التطبيقي لتحليل أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم تحليلاً نحويًا وتداولياً.

©

## الفصل الأول: التداولية اللغوية

### المبحث الأول: التداولية اللغوية في الفكر العربي

#### • المطلب الأول: مفهوم "التداولية اللغوية" في اللغة والاصطلاح

لكلمة "تداول" معنى لغوي وآخر اصطلاحى. ولبيان المعنى اللغوي لهذه الكلمة يمكن القول أن كلمة "تداول" اشتقت من الفعل الثلاثي المجرد "دال". والدولة: العُقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة: بالضم، في المال، والدولة بالفتح، في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يُضمان ويفتحان. وقيل: هما لغتان فيهما، والجمع دُولٌ و دِوَلٌ. وقال الزجاج: "الدولة اسم الشيء الذي يتداول، والدولة المصدر، وهي الانتقال من حال إلى حال. وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة"<sup>(1)</sup>.

"ودالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم، ومرة عليهم. والدهر دُولٌ وَعَقَبٌ وَنُوبٌ. وتداولوا الشيء بينهم"<sup>(2)</sup>.

يشير المعنى اللغوي لكلمة "تداول" إلى مفهوم الاستعمال. وسيوضح ذلك الأمر عند بيان المعنى الاصطلاحى لكلمة "تداولية".

وأما المعنى الاصطلاحى لكلمة "تداول"، فقد استعملت هذه الكلمة (تداول) في كتابات بعض اللغويين العرب المعاصرين للدلالة على مضمون الكلمة الإنجليزية Pragmatics. والحق أن التداول أعم من البراجماتية؛ فهو يشمل أولاً: المجاز والاستعارة والكناية، ويشمل ثانياً: الدلالات المقامية، ويشمل ثالثاً: الدلالات الإشارية. والدلالة المقامية مبنية على دلالة خاصة بمنحها المقام للعبارة، ولا تدل ألفاظها ولا تراكيبها على ذلك المعنى"<sup>(3)</sup>.

وعليه، فإنّ الدراسة ستعتمد مفهوم "التداول" الذي يشمل الدلالات المقامية؛ لأنه يخدم موضوع الدراسة. فبالنظر في مقامات "أساليب النداء المتعددة"، موضوع الدراسة تتجلى حقيقة هذه الرؤية اللغوية ويستبين أمرها.

<sup>1</sup> - ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، باب الدال. 444/4 بتصرف.

<sup>2</sup> - الزمخشري، محمود. أساس البلاغة. ص 198.

<sup>3</sup> - استيتية، سمير. اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 289، ص 290 بتصرف.

وفي بيان حقيقة الرؤية التداولية ومضمونها، يقول أحدهم في وصفها: "إنها دراسة للعلاقة بين العلامات واستعمالها، وهي تمثل الضرورة التي تسمح بتوجيه وضبط استعمال هذه العلامات في المقام"<sup>(1)</sup>.

يتبين من هذا الوصف أن تداولية اللغة تمثل المستوى الاستعمالي لها. وأن هذا المستوى محكوم وموجه بضوابط استعمالية يفرضها مقام الكلام وظروف استعماله.

"ومن مهام التداولية أنها لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدد، وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصلية محدد"<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق أن تداولية اللغة تأخذ بعين الاعتبار ظروف المتكلم والمستمع على حد سواء حين استعمال الكلام، وتهتم بملاسات المقام وظروفه لتحقيق المعنى أو المعاني المقصودة من هذا الكلام.

ويرى ليفنسون أن البراجماتية اللغوية \* "هي دراسة العلاقات بين اللغة والسياق الذي يُعدُّ فهمه ضرورياً وأساسياً في تحقيق عملية فهم اللغة"<sup>(3)</sup>.

يتضح من التعريفات السابقة للتداولية أنها رؤية تعتمد على المقام في تفسير الظاهرة اللغوية، على اختلاف مستوياتها، وتحليلها. وفي بيان هذا الأمر يقول أستاذنا استثنائية: "إن أول ما تتصرف إليه البراجماتية اللغوية، هو تحديد هوية العلاقة بين اللغة وسياقاتها، والذين يصنعون هذه السياقات، ألا وهم الناطقون باللغة. وليست هذه العلاقة سهلة، بل هي مركب معقد من الثوابت والمتغيرات التي تتدخل فيها عوامل نفسية، واجتماعية، ومنطقية. ومن هنا، كان تلازم

<sup>1</sup> - علوي، حافظ إسماعيلي. التداوليات علم استعمال اللغة. ص 20 ، ص 23 .

<sup>2</sup> - المرجع السابق. ص 40.

<sup>3</sup> - انظر: Steven Levinson . Pragmatics. Cambridge University Press , 1985 , P.21.

وانظر : استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 125 .

البراجماتية اللغوية، وعلم النفس، والمجتمع، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، أمراً ملحوظاً في كل الدراسات البراجماتية اللغوية" (1).

وعليه، فإن التداولية تولي، إلى جانب فهم السياق اللغوي للظاهرة اللغوية، أهمية كبيرة لفهم السياق غير اللغوي المتعلق بالظاهرة اللغوية بخاصة وبالكلام بعامة؛ "فهم الكلام يتجاوز كثيراً فهم معاني الكلمات، والعلاقات النحوية بينها، وذلك يعني أنّ الاكتفاء بالبحث عن المعاني المعجمية للكلمات، والاكتفاء بمعرفة العلاقات النحوية بينها، لا يؤدي إلى الفهم الحقيقي العملي للغة" (2).

ويرى حسان أن مقام الكلام هو أهم قرينة نعتد عليها في فهم مقاصد الكلام ومعانيه. عبر عن ذلك بقوله: "ولأن الكلام وهو مجلّي السياق لا بد أن يحمل من القرائن المقالية (اللفظية) والمقامية (الحالية) ما يُعَيّن معنى واحداً لكل كلمة. فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وظيفياً أم معجمياً) متعدد ومحتمل؛ لأن المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعين المعنى إلا بالقرينة" (3).

وعليه؛ فمعاني الكلام ومقاصده وأغراضه لا يمكن معرفتها والكشف عنها إلا بمعرفة مقاماتها وظروف استعمالها، وتشمل هذه الظروف ظروف المتكلم والمخاطب وطبيعة الخطاب وعوامل أخرى كالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية، والتي تتعلق بجميع أطراف الخطاب. إن فهم اللغة يتطلب فهم سياقين: سياق لغوي وآخر غير لغوي هو المقام.

وعليه، فإنّ من الممكن، وبعبارة دالة موجزة، تقديم تعريف واضح لهذه الرؤية يخدم موضوع الدراسة مفاده أنها دراسة ظواهر اللغة على اختلاف مستوياتها ضمن مقامات محددة.

1 - استيتية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 113.

2 - المرجع السابق. ص 125 .

\* مصطلح " البراجماتية " يعادل مصطلح " التداولية " في المعنى . انظر: استيتية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . الفصل الثالث " البراجماتية اللغوية " من ص 113 - 132 .

3 - حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها . ص 39 .

## • المطب الثاني: " التداولية اللغوية" عند النحاة العرب

اهتم سيويه بتداولية الظاهرة اللغوية، على اختلاف مستوياتها، اهتماماً كبيراً، ونجد هذا الاهتمام جلياً في معظم أبواب كتابه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل"<sup>(1)</sup>. إن عنوان هذا الباب يكشف عن البعد التداولي فيه. فالعرب لم يضمروا الفعل في حالتي الأمر والنهي إلا لمعنى تداولي أرادوه كالدعاء أو السخرية أو الحث على العمل أو غير ذلك من المعاني التداولية التي تفهم من مقام الطلب (الأمر أو النهي). ومن أمثلة هذا الباب الذي يظهر فيه البعد التداولي ظهوراً واضحاً: "قول العرب في مثل من أمثالهم: "اللهم ضيماً وذنباً" إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل. قال سيويه: "وإذا سألتهم ما يعنون بذلك؟ قالوا: اللهم اجمع أو اجعل فيها ضيماً وذنباً، وكلهم يفسر ما ينوي. وإنما سهل تفسيره عندهم؛ لأن المضمّر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار"<sup>(2)</sup>.

فالعرب استعملت هذا الفعل ( اجمع أو اجعل) مضمراً ومظهراً لمعنى تداولي هو الدعاء بالشر على غنم رجل ( افتراسها من الضيع أو الذئب)؛ " لأنّ المعنى المقصود من قولهم : اللهم ضيماً وذنباً، هو المعنى نفسه الذي كانوا يصرّحون به فيقولون: اللهم أرسل ضيماً وذنباً؛ فقد كانوا يصرحون أحياناً، ويضمرون أحياناً. فما قالوه بالإضمار قالوه بالتصرّيح والمباشرة، بمعنى أنّ ما صرحوا به يكشف عما أضمره وعندما كان أحدهم يضمّر، فيقول: اللهم ضيماً وذنباً، يكون من السهل على الآخرين أن يعرفوا المقصود؛ فسبب الإضمار هو الدعاء الذي غلّفته الرغبة بإخفاء كونه دعاء، وبقيت الحركة الإعرابية دليلاً عليه"<sup>(3)</sup>.

يتبين مما سبق أن لفتحة المفعول ( ضيماً) معنى تداولياً هو الدعاء بالشر إلى جانب معناها الدلالي ( المفعولية). و " هذا يعني أنّ التداولية كما يكون لها وجه منطوق يدل عليها، فإن

1- سيويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1 / 255 .

2 - المرجع السابق، 1/ 255 .

3 - استنبئية، سمير. علم الأصوات النحوي، ص 100 ، ص 101 .

لها وجهاً آخر تدل عليه الحركة الإعرابية. وهذا يدل على أنّ إعراب الكلم له وظائف تداولية كما أنّ له وظائف دلالية<sup>(1)</sup>.

وفي مثال آخر عن الاسم المنصوب، يقول سيبويه: "ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال"<sup>(2)</sup>.  
في المثال السابق يمكن قراءة البعد التداولي من خلال استحضار عناصر المقام فيه. ففيه المستمع ( أنت ) والمتكلم ( الناس ) والزمان والمكان والحال ( الموقف )، وجميع ما يتعلق بهذا الموقف من ملايسات .

لقد علل سيبويه نصب كلمة " الهلال " على أنها مفعول لفعل مضمّر استعملته العرب في مواقف سابقة مظهراً. هذا على المستوى النحوي.

أما على المستوى التداولي، فإن لنصب كلمة " الهلال " معاني تداولية يمكن قراءتها، منها أن المتكلم والمستمع يشتركان في ثقافة دينية واحدة، وأن التكبير عند رؤية الهلال مظهر من مظاهر الإيمان، وعلامة من علامات التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى. وأن رؤية الهلال دليل على بداية فرض الصوم أو نهايته، وأن الصوم عبادة يتقرب بها العبد المؤمن من ربه، ويفرح لتأديتها.

ويعلق مقبول على تداولية اللغة عند سيبويه، فيقول: "ولسيبويه إحساس دقيق تجاه اللغة وقوتها التداولية، إذ لا تكاد تمر عليه لفظة أو كلام من فم عربي إلا وينطلق لتصور سياقه ومقامه حتى يتسنى له توجيهه وفق ما يقتضيه إنجازه في موضعه ومحلّه"<sup>(3)</sup>.

ويضيف في موضع آخر، فيقول: "إنّ اعتماد سيبويه النظرة الفعلية للغة من خلال متابعته للاستعمال اللغوي للمتكلم العربي وإصراره على استعمال لفظة " كلام " بدل الجملة يدلان على ترسيخ البعد التداولي عنده"<sup>(4)</sup>.

1 - استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص101.

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 257/1.

3 - مقبول، إدريس. الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 297.

4 - المرجع السابق. 277. يتصرف .

وتؤيد الدراسة ما ذهب إليه إدريس مقبول؛ لأن سيبويه اهتم بتفصيل الظاهرة اللغوية مرتبطة باستعمالها ضمن سياقات ومقامات معينة. فالظاهرة اللغوية عنده لا يمكن فهمها ومعرفة معانيها إلا بمعرفة مقاماتها وظروف استعمالها. لذا فقد ركز سيبويه على استعمال لفظ " كلام " في تنظيره لقواعد اللغة؛ لأن هذا اللفظ يدل على البعد التداولي للغة.

وفي بيان تداولية اللغة عند سيبويه، يقول أحدهم: " ومن المعلوم أنّ صاحب الكتاب، يقصد سيبويه، قد ضمن كتابه كثيراً من الشواهد التي استدل بها على صحة قاعدته، ولم يكن وهو يستل هذه الشواهد ببعيد عن سياقها وملابساتها، وظروف قائلها، ومن ثم يأتي اختياره لوجهها الإعرابي، وتحليله له نابعاً من تذوقه لسياقها، وتابعاً لأغراض قائلها. فهو لم يُرد بكتابه ذلك النحو الشكلي الذي اقتصرته مهمته على أواخر الكلمات إعراباً وبناء، وإنما أراد به انتحاء سبيل العرب في بنية ألفاظها وأساليبها، وما يستتبعه المقام ومقتضى الحال من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو فصل ووصل، أو قصر وإطلاق، أو تعريف وتكثير، وغير ذلك من الظواهر اللغوية"<sup>(1)</sup>.

وترى الدراسة أن ما قاله هذا الباحث صحيح. فاهتمام سيبويه باللغة لم يقتصر على تفصيل الظواهر اللغوية وبيان أحكامها وشروطها وضوابطها بل تعداه إلى ربط هذه الظواهر بمقاماتها وظروف استعمالها. فالسياق عنده سياقان : سياق لغوي أساسه صحة القاعدة وسلامتها، وسياق غير لغوي ( المقام ) وبهما نفهم المعنى المراد ونعي المقصود.

ويبين الموسى حقيقة تداولية نحو سيبويه في " الكتاب " حين تحدث عن البعد الخارجي في التحليل النحوي عنده فهو يقول: " وكنت نظرتُ في كتاب سيبويه ، ألتمس لديه هذا العنصر من عناصر التحليل، فوجدته، منذ ذلك العهد المبكر يفرع إلى " السياق " والملابسات الخارجية وعناصر " المقام " ليرد ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلباً للاطراد المحكم"<sup>(2)</sup>.

1- محمد، أحمد سعد. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي . ص213، ص 215.  
2 - الموسى، نهاد. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث. ص 88 .

فنحو سيبويه نحو وصفي معياري يحتمك إلى قواعد اللغة وقوانينها المطردة وهو أيضاً،  
نحو تداولي تخضع قاعدته للاستعمال والمقام.

ويبرهن على صحة ما ذهبنا إليه قول الموسى في موضع آخر: "تلقانا في " الكتاب"  
أمثلة كثيرة من الجمع بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق. وذلك حيث نرى سيبويه يقف إلى  
تركيب مخصوصة فيردها إلى أنماط لغوية مقررة، ويقدر ما يكون عرض لها من الوجهة  
اللغوية الخالصة من حذف أو غيره، وفق نظرية العامل. ولكنه لا يقف عند ذلك، بل يتسع في  
تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها وما يلابس هذا الاستعمال من  
حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام. وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية  
الجوانية للتركيب النحوي، ورسم خطوط هادية في تعلم العربية تعليماً يضع كل تركيب موضعه،  
ويُعرف لكل مقال مقامه"<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول إن من نتائج اهتمام سيبويه بتداولية اللغة أن ربط بين النحو والبلاغة؛  
فالنحو عنده أساس متين تبنى عليه ضروب البلاغة العربية. ففكرة المقام ومقتضى الحال التي  
نادى بها البلاغيون العرب مرتبطة بقواعدية التركيب النحوي ومعياريته، ولا يمكن فصل هذه  
العلاقة؛ لأن علاقتهما تقضي إلى معرفة المعنى المقصود. يضاف إلى ذلك " أن فكرة المقام  
ومقتضى الحال لا تقف عند مباحث ما يسمى بعلم المعاني، ولكنها تمتد لتشمل كل الوسائل  
والأساليب البلاغية؛ فالمقام ومقتضى الحال هو الذي يفرض استخدام أسلوب ووسيلة معينة على  
أخرى وهو الذي يستدعي التقديم أو التأخير، الذكر أو الحذف، والتعريف أو التكرير، والفصل أو  
الوصل، والتشبيه أو الاستعارة، والسجع أو الجناس أو الطباق، وهكذا بقية الوسائل"<sup>(2)</sup>.

ويمكن لنا أن نستعين بمعطيات هذه الرؤية؛ فندرس كل باب من أبواب كتاب سيبويه  
دراسة نحوية تداولية.

1- الموسى، نهاد. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث. ص 88.

2 - محمد، أحمد سعد. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، ص 241.

سار النحاة العرب على خطى سيبويه في أمر التداولية اللغوية، ومن الأمثلة على ذلك قول المبرد: "أقياماً وقد قعد الناس. لم تقل هذا سائلاً، ولكن قلته موبخاً منكرًا لما هو عليه، ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار؛ لأن الفعل إنما يضمّر إذا دلّ عليه دالٌّ؛ كما أنّ الاسم لا يُضمّر حتى يُذكر، وإنما رأيتَه في حال قيام في وقت يجب فيه غيره، فقلت له منكرًا"<sup>(1)</sup>.

في المثال السابق نصب المبرد كلمة "قياماً" لأنها مصدر منصوب لفعل مضمّر؛ والتقدير: أتقوم قياماً. وفي هذا بيان وتعليل لوجود الحركة الإعرابية (تتوين النصب) على المصدر. هذا على المستوى النحوي.

أما على المستوى التداولي، فقد استحضر المبرد جميع عناصر الخطاب في هذه الجملة من متكلم ومخاطب وحال (موقف كلامي) وجمهور (مشاهدين للموقف). لقد صرح المبرد بالمعنى التداولي المستفاد من الاستفهام في هذه الجملة وهو التوبيخ والإنكار؛ فقال: "لم تقل هذا سائلاً، ولكن قلته موبخاً منكرًا لما هو عليه"<sup>(2)</sup>.

وقد تختلف عناصر المقام، ويتغير الحال (الموقف) فيكون لهذا الاستفهام معنى تداولي آخر غير التوبيخ والإنكار كالاستبطاء مثلاً أو السخرية أو الحث على القعود إلى غير ذلك من المعاني التي قد تتولد من المقام؛ فالمقام هو الذي يحدد المعاني التداولية المتولدة من السياق ويظهرها.

يتضح مما سبق أن النحاة العرب لم يغفلوا عناصر الخطاب ومقام الكلام في تعليل الظواهر اللغوية وتعيدها. فالظاهرة اللغوية ومقامها شيئان متلازمان، وتلازمهما يظهر المعنى المقصود؛ وهذا الأمر غاية الإعراب؛ لأن الإعراب فرع المعنى، وأن علامات الإعراب هي دوال على المعاني المقصودة.

1 - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، 228/3.

وانظر المثال في: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1/169.

2- المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، 228/3.

ولابن جني نظر عميق تجاه تداولية اللغة؛ فقد قال في حد اللغة: "أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(1)</sup>.

فابن جني في تعريفه للغة ينبه إلى مقاصد اللغة وأغراضها. فالكلام في كل لغات العالم لا يصدر عن المتكلم إلا تحقيقاً لمعانٍ وأغراض يقصدها ويريدها من كلامه. وإذا ما دققنا النظر فيما قاله ابن جني نستنتج أنه استحضر جميع عناصر الخطاب من متكلم ومخاطب وحال وكل ما يلابس الحدث الكلامي من معطيات.

فباللغة كما يراها ابن جني حدث تواصل يقيم بين طرفين هما: "المتكلم والمخاطب" ويلزم لهذا الحدث أن يتم في ظروف وملابسات معينة، وإذا ما تحققت هذه الشروط فإن الوجه التداولي للغة سيظهر.

فالكلام لا يصدر عن المتكلم (المرسل) إلا في موقف كلامي يهدف فيه إلى تحقيق معنى مقصود وغرض منشود.

ويكشف ابن جني عن تداولية اللغة أيضاً في باب بديع سماه: "باب في الرد على مَنْ ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"، فهو يقول في وصف هذا الباب: "اعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربية، وأكرمها، وأعلاها، وأزورها. وإذا تأملته عرفت منه وبه ما يؤنقك ويذهب في الاستحسان له كل مذهب بك"<sup>(2)</sup>.

ويتابع ابن جني بيانه لأهمية المعاني وقوتها عند العرب، فيقول: "وذلك أن العرب كما تُعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها"<sup>(3)</sup>.

يشير ابن جني إلى أهمية المعاني عند العرب؛ لأن المعاني هي القصد والأغراض والمرامي التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها من كلامه. وقد عبر ابن جني عن هذا الأمر بقوله:

1 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 1 / 34 .  
2 - المرجع السابق، 1 / 216 .  
3- المرجع السابق ، 216/1 .

فأول ذلك عنايتها بألفاظها. فإنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها، ومراميها، أصلحها ورتبها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد" (1).

ولم يغفل ابن جني في هذا الباب عن بيان استعمالية اللغة، وقد أفصح عن ذلك بقوله: "ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً لئلا سامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجئ به من أجله" (2).

ويرى ابن جني أن العرب اهتمت بالألفاظ خدمة للمعاني. وقد بين ذلك بقوله: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا تزين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتتويبه بها، وتشريف منها" (3).

وفي موضع آخر يلفت ابن جني نظرنا إلى أهمية عنصر الحال في فهم تداولية الكلام، فيقول: "فالعائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئاً أو استنقاله، وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس" (4). ويضرب ابن جني مثلاً على ذلك، فيقول: "ألا ترى إلى قول الشاعر:

تقول - وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس !

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صكّ الوجه، لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكورة، لكنه لما حكى الحال، فقال: "وصكت وجهها" علم بذلك قوة إنكارها،

1 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 216/1، 217.

2 - المرجع السابق، 217/1.

3 - المرجع السابق، 218/1.

4 - المرجع السابق، 246/1.

وتعاطف الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين<sup>(1)</sup>.

فاين جني يؤكد أهمية دور عنصر الحال في فهم معاني اللغة وقصودها وبيان أغراض الكلام ومراميه.

وتظهر تداولية اللغة عند ابن جني في باب آخر سماه: "باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى"<sup>(2)</sup>. وفيه يشير إلى تداولية الإعراب. فالحركة الإعرابية للكلمة يكون لها تفسير نحوي وظيفي؛ لأن الكلمة في الجملة أو الكلام يكون لها وظيفة معينة تقوم بها. هذا على المستوى النحوي. وأما على المستوى التداولي؛ فإن للحركة الإعرابية معنى تداولياً يفهم من مقام الجملة أو الكلام.

ويضرب ابن جني مثلاً على ذلك، فيقول: "وذلك كقولهم في تفسير قولنا: "أهلك والليل" معناه الحق أهلك قبل الليل، فربما دعا ذلك من لا درية له إلى أن يقول: "أهلك والليل" فيجره، وإنما تقديره: الحق أهلك وسابق الليل"<sup>(3)</sup>.

في هذا المثال فسر ابن جني نصب كلمة "الليل" على أنه مفعول لفعل مضمر تقديره "سابق". هذا على المستوى النحوي.

وأما على المستوى التداولي، فإن للفتحة معنى تداولياً هو التحذير من الليل، وقد صرح بهذا المعنى سيوييه، فقال: "وإنما المعنى أن يحذره أن يدركه الليل. والليل محذر منه"<sup>(4)</sup> ويمكن لنا أن نستنتج معاني تداولية أخرى من التركيب نفسه، منها: حث المخاطب على الالتزام بالجماعة وعدم مفارقتها أو حث المخاطب على طاعة الوالدين، إلى غير ذلك من المعاني التداولية المتولدة من التركيب. ولا يمكن لنا الوقوف على حقيقة تداولية هذا التركيب، ومعرفة معانيه إلا بمعرفة عناصر المقام التي قيل فيها هذا التركيب.

1 - المرجع السابق ، 246/1 ، 247 .

2- المرجع السابق ، 280/1 .

3 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ، 280/1 .

4 - سيوييه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 275/1.

وتؤكد الدراسة تداولية الإعراب بما قاله أستاذنا استثنائية من " أن الإعراب نفسه بليغ. وحسبك أن تخبرك الحركة الإعرابية بأن هذه الكلمة فاعل، وأن تلك مفعول به، وأن هذه الكلمة تتبع تلك وتصفها، أو أنها منقطعة عن التي قبلها، ليكون ذلك دليلاً على أن للإعراب وظيفة بلاغية تؤديها في اللسان العربي. بل يكفي أن تشير الحركة الإعرابية إلى عامل محذوف أو مقدر، ليكون لذلك أثر بلاغي واضح" (1).

وعليه، فإن لعلامات الإعراب في الكلام معاني وظيفية تُفهم من السياق (النظم)، وأخرى تداولية تُفهم من المقام. ففهم الكلام يتوقف على فهم هذين المعنيين (المعنى الوظيفي والتداولي). وتؤكد الدراسة على أن النحاة العرب كانوا تداوليين في تفصيلهم لأبواب النحو ومناقشة مسأله؛ فقد أشاروا إلى عناصر المقام المرتبطة بالظاهرة اللغوية على اختلاف مستوياتها في مصنفاتهم.

ومن الإنصاف أن نقول إن النحو العربي نحو معياري أساسه صحة القاعدة النحوية وسلامتها وخضوعها لأحكام اللغة وشروطها وقوانينها وضوابطها العامة. وأنه أيضاً نحو تداولي راعت قاعدته مقام الظاهرة اللغوية على اختلاف مستوياتها؛ فأفصحت عن مقاصد المتكلمين وأغراضهم، وكشفت عن الحال الملازمة لأقوالهم.

وللمحدثين آراء ونظرات خاصة تجاه التداولية اللغوية استفادوها من فهمهم لتراثنا النحوي والبلاغي، ومن اطلاعهم على النظريات اللغوية الغربية الحديثة.

ومن هؤلاء تمام حسان، فهو يرى أن ربط الكلام بالمقام هو "الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى. وأن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المنقضي والذي يمكن أن يُعاد بناؤه بالوصف التاريخي وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائماً سبباً في قصور الفهم. ومن التعبيرات

1 - استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 325 .

الشائعة عند الإنجليز قولهم في العبارة البريئة المظهر السيئة الأثر ما معناه: ليس العبرة بما قيل، ولكن بالطريقة التي قيل بها " (1).

ولأستاذنا استثنائية رأي بديع في بيان تداولية اللغة وأثر المجتمع في تكوين هذه الرؤية، فيقول: "إن الصورة البراجماتية الحقيقية للغة، تتمثل في اعتبار المجتمع بأنه مصدر الكثير من عبارات الفرد، تماماً مثلما يكون المجتمع مصدر الكثير من الخبرات التي يستبصرها الفرد، ويكون منها الكثير من تصوراته الخاصة. وأخيراً، فإن المجتمع هو المصب الذي ينبغي أن تؤول إليها الاعتبارات الفردية، حتى تكون ذات قيمة ويكون لها معنى" (2).

ويضيف مبيناً أثر معطيات الرؤية التداولية في فهم اللغة، فيقول: "أن فهم الكلام يتجاوز كثيراً فهم معاني الكلمات، والعلاقات النحوية بينها، وذلك يعني أن الاكتفاء بالبحث عن المعاني المعجمية للكلمات، والاكتفاء بمعرفة العلاقات النحوية بينها، لا يؤدي إلى الفهم الحقيقي العملي للغة" (3).

فالفهم الحقيقي للغة يكون أولاً، في فهم مستويات الكلام: المعجمي والصرفي والنحوي والدلالي، ثم فهم المعاني التداولية المتولدة من هذه المستويات في سياقات الكلام (مقاماته). ويرى بشر أن النحاة والبلاغيين العرب نظروا إلى اللغة نظرة معيارية باحثين نحو صحة الإعراب وصحة الجملة، ولم يهتموا بمقام الكلام، وإن أشاروا إليه، الاهتمام الكافي الذي يفضي إلى فهم اللغة ومعرفة ظواهرها (4)؛ لذا فهو يطلب من دارسي اللغة أن يراعوا مقام الكلام وظروفه حتى يفهم وتعرف مقاصده. وقد عبر عن هذا الأمر بقوله: "والاهتمام بالمقام أمر لا يختلف فيه أحد، بل هو مما يصر اللغويون المحدثون على مراعاته، ولكن لا بالصورة التي تنبأها علماء العربية. وإنما على وجه آخر" (5).

1 - حسّان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 372، ص 373 .

2- استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 124 .

3 - المرجع السابق . ص 125 .

4 - انظر: بشر، كمال. دراسات في علم اللغة . القسم الثاني . ص 64 .

5 - المرجع السابق، ص 64 .

ويؤكد بشر دراسة الكلام ضمن مقام معين سماه المسرح اللغوي (1) " يتلخص هذا في أن الكلام، منعزلاً عن مسرحه أو مقامه، ضرب من الضوضاء، ومن ثم وجبت دراسته في إطار هذا المسرح وفي حدوده، إذ الكلام في هذا الوضع يعيش في بيئته الحقيقية التي تعين الباحث على فهمه وعلى درسه كذلك" (2).

ويبين حقيقة المقام فيقول: " والمقام، في نظرنا، ليس مجرد مكان يلقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها بحجز البعض. فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض، وهناك كذلك ما في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه. وهناك كذلك الكلام نفسه. وهذا الكلام، في حقيقة الأمر، ليس إلا عنصراً واحداً من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يتم فهمه إلا في هذا الإطار العام بما فيه من شخوص وديكور وعدد وآلات الخ" (3).

يتضح مما سبق أن اللغويين المحدثين اهتموا بعناصر المقام من متكلم ومستمع وحال ملابسة للموقف الكلامي إلى غير ذلك من هذه العناصر وجعلوها وسيلتهم لفهم مقاصد اللغة وأغراضها واستيعاب مقاصد الكلام ومراميه.

ويعبر مصطفى عن قصدية الكلام بقوله: " وذلك أنّ لكل كلمة وهي منفردة معنى خاصاً تتكفل اللغة ببيانه، ولل كلمات مركبة معنى؛ هو صورة لما في أنفسنا، ولما نقصد أن نعبر عنه ونؤديه إلى الناس . وتأليف الكلمات في كل لغة يجري على نظام خاص بهما، لا تكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه، ولا تزيغ عنه " (4).

فهو يشير في كلامه السابق إلى أمرين مهمين يتعلقان بحقيقة اللغة، أولهما: نظامها الخاص الذي يجري عليه الكلام الفصيح، وثانيهما: المقام الذي يجري فيه الكلام. وهذان الأمران، مجتمعان، يحققان تداولية اللغة.

- 
- 1- انظر: بشر، كمال. دراسات في علم اللغة . القسم الثاني. ص 65 .
  - 2 - انظر: المرجع السابق. ص 65 .
  - 3 - المرجع السابق. ص 65 .
  - 4 - مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو، ص 2 .

ويشير أحدهم إلى دور الحال النفسية في فهم تداولية اللغة فيقول: "أما اللغة على وجه العموم، ولاسيما طريقة التعبير بها وتركيب ألفاظها لتدل على المعاني والأفكار، فهي أوثق صلة بالحال النفسية منها بالفكر المجرد. وكثيراً ما ينتقل المتكلم تبعاً للحالة النفسية من الإخبار إلى الإنشاء، ومن الخطاب المباشر إلى الحديث على سبيل الغيبة" (1).

فالحال النفسية عنصر مهم من عناصر المقام التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تحليل الكلام وتفسيره؛ فلا يتحقق لنا فهم الكلام ومعرفة أغراضه ومقاصده إلا بمعرفة جميع عناصر المقام بما فيها الحال النفسية.

ويؤكد أستاذنا استثنائية أهمية دور المقام في فهم اللغة ومعرفة مقاصد الكلام، فهو يقول: "إنّ المقام ليس جزءاً من الكلام، بمعنى أنّه ليس منطوقاً. لكننا في الواقع لا نستطيع أن نعزل اللغة عن المقام، تعرف ذلك من أية جملة تسمعها" (2).

وترى الدراسة أن من الضروري توظيف معطيات الرؤية التداولية في فهم نحونا العربي. فنحن بحاجة إلى إعادة دراسة أبواب النحو العربي ومسائله دراسة تداولية مستنديين إلى معطيات هذه الرؤية وعناصرها .

#### • المطلب الثالث : " التداولية اللغوية " عند البلاغيين العرب

يظهر البعد التداولي للغة عند البلاغيين العرب في تعريفهم لعلم المعاني؛ فهو في مصنفاتهم: "علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال" (3). وهو أيضاً "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" (4).

1 - الجواري، أحمد عبد الستار. نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي. ص 61 .

2 - استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 132 .

3- القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، 52/1 .

- وانظر: الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، ص 201 .

4 - السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، ص 161 .

يتضح من التعريفين السابقين لعلم المعاني أن البلاغيين العرب ركزوا على أمرين مهمين في فهم موضوعات علم المعاني: أولهما: وجوب صحة التراكيب اللغوية العربية وخضوعها لقواعد العربية وسمتها الخاص بها، وثانيهما: مراعاة الحال التي تقال فيها هذه التراكيب على تعددها واختلافها.

ويفصح البلاغيون العرب عن حقيقة مفهوم "مقتضى الحال" المرتبط بتراكيب اللغة وأساليبها فهو عندهم مراعاة حال المتكلم وحال السامع ومعرفة الموقف (الحال) الذي يقال فيه الحدث الكلامي. فإذا ما عُرِفَتْ هذه الحال وما يرتبط بها من ملابسات تتعلق بالحدث الكلامي فُهِمَ المعنى المقصود والغرض المنشود من الكلام. ويظهر هذا الأمر، جلياً، فيما رواه الجاحظ عن بشر بن المعتمر أنه قال: "والمعنى ليس يَشْرَفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال" (1).

ويبين البلاغيون العرب أهمية عناصر المقام ودورها في بيان المعنى المقصود، ويتضح هذا الأمر في قول بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (2).

ويرى ابن قتيبة أن أساليب اللغة المتعددة والمختلفة لم توضع إلا مراعاة لمقام الكلام، وإبانة للمعنى المقصود. وقد بين هذا الأمر بقوله: "بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً

1 - الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، 1/136.  
2- المرجع السابق، 1/139.

في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارةً للتوكيد، وحذف تارةً للإيجاز، وكرر تارةً للإفهام<sup>(1)</sup>.

يتضح من الكلام السابق أن اللغويين العرب ( النحاة والبلاغيين ) اهتموا بنحوية التراكيب اللغوية وتداوليتها ( استعماليتها). فالمعاني التداولية الحقيقية المتولدة من سياقات هذه التراكيب لا تظهر إلا باستعمالها في مقامات معينة؛ فقد ذكر ابن قتيبة مثلاً على ذلك الأساليب اللغوية التي وردت في القرآن الكريم .

ويرى القيرواني أن سر صناعة الشعر ومغزاه يكمن في معرفة مقاصد القول. وقد أفصح عن ذلك بقوله: " فأول ما يحتاج إليه الشاعر، بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية، حُسْنُ التأنى والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخلّ وأوجع، وإن فخر خبّ ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا"<sup>(2)</sup>.

ويكشف السكاكي عن تداولية الكلام مبيناً عناصر المقام المرتبطة بالكلام من متكلم ومستمع وحال ملابسة للكلام إلى غير ذلك من عناصر المقام، يقول: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية. ومقام المدح يباين مقام الذم... "<sup>(3)</sup>.

يشير السكاكي إلى غرض الكلام ومقصوده وما يرتبط بهذا الغرض من عناصر مقامية كحال المتكلم والمستمع وحال الكلام المرتبطة بغرض الكلام ومقصوده.

ويؤكد السكاكي استحضر حال المخاطب ( المستمع ) في مقام الكلام، فيقول: " وكذا مقام الكلام ابتداءً يغيّر مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار. ومقام البناء على السؤال

1 - ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. أدب الكاتب، شرح وتقديم علي فاعور، ص 20 .

2 - القيرواني، ابن رشيح الحسن. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 1/ 199 .

3 - السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، ص 168 .

يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر<sup>(1)</sup>.

ويتابع السكاكي أيضاً بيانه لحال الكلام الملايسة له، فيقول: "ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال"<sup>(2)</sup>.

ويظهر البعد التداولي للبلاغة في المفهوم الاصطلاحي لها؛ فقد قالوا في تعريفها "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته أي فصاحة الكلام، وقيل البلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء"<sup>(3)</sup>.

يكشف التعريف الاصطلاحي للبلاغة عن البعد التداولي فيها. والحق أن تداولية البلاغة، بمفهومها الشامل والواسع، تتجاوز حدود "مقتضى الحال" عند العرب إلى فضاء أرحب ومجال أوسع في تحليل ضرورياتها المتعددة والمختلفة وبيان معاني هذه الضروب وقصودها. ويجعل أستاذنا استنيتية مراعاة مقتضى الحال وظيفية من وظائف البلاغة، وقد عبر عن ذلك بقوله: "تعرف البلاغة أحياناً بأنها مراعاة مقتضى الحال. وهذا إلى وصف إحدى وظائف البلاغة أقرب. فإن من وظائف البلاغة أن يقع الكلام في موقعه الصحيح، وأن يصل إلى الناس منه بمقدار ما تلم به أفهامهم، وتستوعب عقولهم، وتحيط به مداركهم"<sup>(4)</sup>.

ما ذهب إليه أستاذنا استنيتية يدل على تداولية البلاغة؛ ويدعم رأيه السابق نظره العميق تجاه تداولية البلاغة، فهو يرى أن البلاغة إبداع. وأن للإبداع في القول صور كثيرة، منها: إعادة تفسير الأشياء، ومراعاة مقتضى الحال، والمقابلة بين الأشياء، واستخلاص عبرة من الحياة أو موقف ما، وإخفاء ما هو معلوم<sup>(5)</sup>.

1 - المرجع السابق، ص 168 .

2 - السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ص 168، ص 169.

3 - الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، ص 72 .

4 - استنيتية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص 313.

5 - انظر: المرجع السابق، ص 312 - 316 .

فالبحث عن مواطن التداولية في ضروب البلاغة يحتاج إلى إعمال نظر يتجاوز معرفة أشكالها، وإتقان قواعدها التي نظّر لها البلاغيون العرب في مصنفاتهم. فالنظر التداولي بمفهومه الواسع يتجاوز على سبيل المثال، المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام؛ لأن المعاني التداولية المتولدة من سياق الاستفهام أو من غيره من سياقات التراكيب النحوية أو سياقات الأشكال البلاغية تفوق المعاني التي ذكروها؛ والسبب في ذلك هو اتساع دلالة مفهوم المقام، وتعدد العناصر المرتبطة به.

#### المطلب الرابع: "التداولية اللغوية" عند الأصوليين

يظهر البعد التداولي للغة عند الأصوليين في سعيهم إلى معرفة مقاصد الشريعة وأغراضها. فقد بحثوا عن دلالات الألفاظ داخل سياقات الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة لمعرفة المعاني والأغراض المقصودة من هذه الألفاظ داخل سياقاتها.

ويبدو هذا الأمر جلياً في مصنفاتهم. فهذا الشافعي يرى أن الله تعالى خاطب بكتابه العرب بلغتها التي تعرف ألفاظها وتدرك معانيها، فيقول: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها"<sup>(1)</sup>.

ويشير الشافعي إلى تداولية المعنى المتولد من اللفظ، بقوله: "وظاهراً يُعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره"<sup>(2)</sup>. ويؤكد في موضع آخر تداولية المعنى بقوله: "وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تُعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جهالتها"<sup>(3)</sup>.

ما قاله الشافعي يدل على تداولية الكلام عند العرب. فهم يتخاطبون بلغة يعرفون ألفاظها ويدركون معانيها في مقام معين تتوافر فيه جميع عناصره.

فالشافعي يسعى إلى معرفة مقاصد الشريعة وأغراضها من خلال فهم مقامات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

1 - الشافعي، محمد بن إدريس. الرسالة، تحقيق عبداللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، ص 87.

2 - المرجع السابق، ص 88 .

3 - المرجع السابق، ص 88 .

ويؤكد الغزالي دور المتكلم في بيان المعاني المقصودة من الكلام؛ يقول: "ولا متكلم إلا وهو محتاج إلى نصب علامة لتعريف ما في ضميره، إلا الله تعالى، فإنه قادر على اختراع علم ضروري به، من غير نصب علامة" (1).

يفهم من كلام الغزالي أن المتكلم هو موجد الكلام، وأن علامات الإعراب هي دوال على معاني هذا الكلام. وهذا ما قاله النحاة وصرّحوا به (2).

ويشير الغزالي في موضع آخر إلى القرائن ودورها في إيضاح المعنى المقصود من لفظ الكلام، فيقول: "وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ. والقرينة إما لفظ مكشوف، وإما إحالة على دليل العقل، وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولو اُحِق لا تدخل تحت الحصر والتجنيس، يختص بدركها المشاهد لها" (3).

يتضح مما سبق أن المعنى المراد من لفظ الكلام لا ينكشف إلا بقرينة لفظية أو عقلية أو حالية (مرتبطة بالمقام). والحق أن قرائن الأحوال هي أكثر القرائن دلالة على المعنى المقصود من اللفظ.

يتبين مما سبق أن فهم مقاصد الشريعة، ومعرفة أصولها يتطلب معرفة العربية واستيعاب نحوها؛ فبهما يتحقق للأصولي والمفسر معرفة مقاصد الخطاب في الكتاب والسنة.

وللشاطبي رأي بديع يكشف فيه عن تداولية الكلام. وقد عبر عن هذا الرأي بقوله:

ووجوه الاستعمال كثيرة، ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان (4).

ما قاله الشاطبي يكشف عن تداولية الكلام؛ فالمعاني التداولية المتولدة من سياقات تراكيب اللغة، على تعددها واختلافها، لا تكشف عنها إلا مقاماتها المرتبطة بها. والحق أن

1 - الغزالي، محمد. المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، 2 / 22.

2 - انظر: ابن الحاجب، عثمان بن عمر. الكافية في النحو، شرح رضي الدين الاسترلابادي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 1 / 60.

3 - الغزالي، محمد. المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، 2 / 22، 23.

4 - الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبدالله دراز. 271/3.

المعنى المقامي المتولد من السياق هو أظهر المعاني، وهو المعنى الذي يمثل الجانب الإبداعي للغة.

ويركز الأصوليون على دور المتكلم في استعمال الكلام وبيان مقاصده؛ فمعاني الألفاظ يوجدونها المتكلم بالاستعمال والقصد. يقول الأمدي في بيان ذلك: " لأن دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته" (1).

ولابن القيم نظرات خاصة تجاه تداولية اللغة؛ فهو يعد قصد المتكلم الأساس في فهم معاني الألفاظ؛ لأن المتكلم هو مَنْ يصدر عنه الكلام، ولا يصدر الكلام عنه إلا لمعنى وقصد. بيّن ابن القيم ذلك بقوله: " والتعويل في الحكم على قصد المتكلم. والألفاظ لم تقصد لنفسها، وإنما هي مقصودة للمعاني والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم" (2).

ويرى ابن القيم أنّ للقرائن المرتبطة بمراد المتكلم دوراً مهماً في بيان مقاصد الكلام وأغراضه. وقد أعرب عن ذلك بقوله: " فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب إتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو إيماء أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يخل بها" (3).

#### المطلب الخامس: " التداولية اللغوية " عند المفسرين

تتمثل تداولية اللغة عند المفسرين في اهتمامهم بتفسير آيات القرآن الكريم وفهمها ومعرفة معانيها واستيعاب أغراضها. ولهم في هذا الأمر نظرات خاصة وآراء جليلة بثوها في مصنفاتهم ومطائهم التي وصلت إلينا.

يرى الواحدي أنّ فهم آيات القرآن الكريم واستيعاب معانيها لا يكون إلا بمعرفة أسباب نزولها؛ فمعرفة أسباب نزول الآيات تكشف عن معانيها وأغراضها وقصودها. بيّن

1 - الأمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيّد الجميلي، 35/1.

2 - ابن القيم، محمد. أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق وضبط عبدالرحمن الوكيل، 1/ 239.

3 - المرجع السابق. 240/1.

الواحدي ذلك بقوله: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن عملها وجدّوا في الطلاب" (1).

ويذكر في موضع آخر، سبب اهتمامه ببيان أسباب نزول آيات القرآن الكريم، فيقول: "وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن؛ فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدّوا في تحفظه بعد السماع والطلب ولا بُدَّ من القول أولاً في مبادئ الوحي وكيفية نزول القرآن ابتداءً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعهد جبريل إياه بالتنزيل والكشف عن تلك الأحوال والقول فيها على طريق الإجمال، ثم نفرع القول مفصلاً في سبب نزول كل آي روي لها سبب مقول، مروى منقول" (2).

ويقول الزركشي في بيان ضرورة معرفة أسباب النزول: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته؛ لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد: منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومنها تخصيص الحكم به عند مَنْ يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى. وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا ومنها أنه قد يكون اللفظ عاماً، ويقوم الدليل على التخصيص" (3).

يتضح مما سبق أن معرفة أسباب النزول والاطلاع على الظروف والملابسات المرتبطة بها يكشفان عن المعاني المقصودة من آيات القرآن الكريم، وهذا غاية ما نسعى إليه من التفسير.

ويفصل السيوطي القول في المعارف التي ينبغي على المفسر أن يعرفها؛ فيقول: "من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه، أولاً، من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فُسر في موضع

1 - الواحدي، علي بن أحمد. أسباب النزول، تحقيق السيد الجميلي، ص 16 .

2 - المرجع السابق ، ص 17.

3 - الزركشي، محمد بن عبدالله . البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 22، 23.

آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه. فإن أعياء ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح" (1).

وينكشف الوجه التداولي للغة عند المفسرين في حاجة المفسر إلى علوم اللغة. وقد بين السيوطي ذلك بقوله: "ولأن اللغة بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. ومعرفة المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالتالي وجوه تحسين الكلام" (2).

ويرى السيوطي في موضع آخر أن المتكلم يستعمل الألفاظ في الكلام ليدل بها على ما يريد من معانٍ وأغراض. بين ذلك بقوله: "السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لا بدّ من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب؛ كحركات أو إشارات، أو نقوش، أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها وأفيدها وأعمها الألفاظ. فلما كانت الألفاظ أيسر وأفيد وأعم صارت موضوعة بإزاء المعاني" (3).  
ويظهر البعد التداولي للغة عند المفسرين أيضاً في حاجة المفسر إلى الإعراب؛ "لأن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين" (4).

يتبين مما قاله السيوطي أن معرفة علوم اللغة من نحو ومعانٍ وبيان وبديع وغيرها تعين المفسر في فهم المعاني التداولية المتولدة من آيات القرآن الكريم واستيعابها.

1 - السيوطي، جلال الدين. الإتيان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ص 763.

2 - المرجع السابق، ص 771.

3 - السيوطي، جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، 38/1.

4 - السيوطي، جلال الدين. الإتيان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ص 384.

ويؤكد الزملكاني تداولية المعاني في السياق القرآني ؛ فهي المقصودة لذاتها وأما ألفاظها فهي تتبع لها، ظهر ذلك بقوله: " قد يظن ظان أن المعاني تتبع للألفاظ حيث رأى سهام المعاني تخرق قرطاس سمعه بعد قرع الألفاظ هدف أذنه منكباً عن معرفة تغير المعنى مع بقاء الألفاظ على أماكنها حتى يعرض لها تقدير تقديم أو تأخير أو زيادة أو حذف أو نحو ذلك ليصح بذلك المعنى المطلوب. ولو تحقق ذلك لقضى بأن الألفاظ هي التابعة وأن المعاني هي المتبوعة. فمن التقديم، قوله تعالى: " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" (1) فـ "الفجر" كما تراه منتظماً مع " الخيط الأسود " في الظاهر وليس للفجر سواد، والتقدير: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل، أي : حتى يتبين لكم بياض الصبح في بقية سواد الليل" (2).

يتبين مما سبق أن علماء التفسير جهدوا أنفسهم في بيان المعاني المقصودة من آيات القرآن الكريم مستنديين، في ذلك، إلى فهم سياقين: سياق لغوي يكشف عن المعنى المقالي وسياق غير لغوي يكشف عن المعنى المقامي \* وبهذا الفهم تحقق لهم فهم مقاصد الكتاب والسنة.

#### المطلب السادس: "التداولية اللغوية" عند عبد القاهر الجرجاني

يعد عبد القاهر الجرجاني رائد التداولية في الفكر اللغوي العربي؛ فقد نظر إلى اللغة نظراً تداولياً عميقاً منطلقاً من فكرة النظم التي نظر لها في كتابيه: " دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة" والتي اعتمد عليها في تفسير ظواهر اللغة وتراكيبها وأساليبها.

ويمكن القول أن رؤية الجرجاني التداولية للغة انبثقت من هذه الفكرة؛ ولبيان هذا الأمر يجب تفصيل القول في أمرين: أولهما: حقيقة " النظم" عند الجرجاني. وثانيهما: حقيقة العلاقة القائمة بين " النظم" و " التداول" عند الجرجاني في نظريته.

1 - سورة البقرة ( من الآية 187).

2 - الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، ص 302 .

\* " المعنى المقالي" و"المعنى المقامي" مصطلحان استخدمهما تمام حسان في كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها.  
انظر ص 339 .

ينظر الجرجاني إلى اللغة نظرة وظيفية عميقة تتجاوز ظاهر ألفاظها وحركات الإعراب المرتبطة بها، ويظهر هذا الأمر بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" (1). ويقول في موضع آخر: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها" (2).

يتضح مما سبق أن "النظم" عند الجرجاني يعني، في حقيقته، السياق اللغوي، وأن لهذا السياق شروطاً وقواعد وأصولاً بها تعرف صحته، منها قرائن التعليق: القرائن المقالية (المعنوية واللفظية) والقرائن الحالية التي تعرف من مقام الكلام (3).

ويمكن القول أن الجرجاني لم يقصد من وضع نظريته "النظم" الاقتصار على بيان حقيقة السياق اللغوي وفهمه، وإنما أراد تجاوز هذا الفهم إلى فهم أعمق وأشمل للغة. ويظهر هذا الأمر بقوله: "أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليس المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض لها بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض" (4).

فالنظم عند الجرجاني مرتبط بمعاني الكلام وأغراضه. وهذا الأمر يفضي إلى حقيقة مفادها شدة ارتباط "النظم" عند الجرجاني بالجانب التداولي للغة. وهذا ما ستبينه الدراسة.

#### • ارتباط فكرة "النظم" بتداولية اللغة عند الجرجاني:

ينكشف الوجه التداولي للغة عند الجرجاني في نظرية النظم في نظريته العميقة إلى اللغة؛ فهو يرى أن "اللغة منظومة ثلاثية مكونة من: مقتضيات عقلية، وسياق، ومقام. أما

1 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 4.

2 - المرجع السابق، ص 81.

3 - أنظر: حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 190.

4 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 87.

المقتضيات العقلية للغة، فهي المستوى الذهني الذي تتمثل فيه أنظمة اللغة وقوانينها وأصولها. وهذه المقتضيات مكافئة لمفهوم الكفاية كما جاء به تشومسكي. وقد ذكر الجرجاني هذا المستوى، وركز عليه في غير موطن<sup>(1)</sup>، فهو يقول: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"<sup>(2)</sup>.

ويفصل الجرجاني القول في بيان حقيقة هذا المستوى، فيقول: "لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجله الآخر"<sup>(3)</sup>.

وتتكشف حقيقة هذا المستوى أيضاً في قوله: "وأوضح من هذا كله، وهو أن هذا النظم الذي يتوأسفه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة. وإذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة، ويستخرج بالرؤية، فينبغي أن ينظر في الفكر، بماذا تلبس؟ بالمعاني أم الألفاظ؟ بأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك. فمحال أن تتفكر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئاً"<sup>(4)</sup>.

ويرتبط المستوى الذهني للغة عند الجرجاني بمستوى ثانٍ وهو المستوى المنطوق بصورة منظمة. وقد سمي هذا المستوى "النظم"<sup>(5)</sup>. فهو يصرح بمفهوم هذا المستوى، بقوله: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص126، ص 127.

<sup>2</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص49، ص 50.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص 51.

<sup>4</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ص 51.

<sup>5</sup> - استثنائية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص129.

<sup>6</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص44.

مفهوم "النظم" عنده، يرادف مفهوم "السياق"<sup>(1)</sup>؛ يظهر هذا الأمر بقوله: "فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ"<sup>(2)</sup>.

ويؤكد الجرجاني مفهوم المستوى الثاني للغة "النظم" في موضع آخر، بقوله: "وهل يقع في وهم وإنّ جهد، أنّ تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التآليف والنظم"<sup>(3)</sup>.

إنّ الجرجاني لم يُردّ من فكرة "النظم" عنده في كتابه "الدلائل" تقسيم اللغة إلى مستويين: مستوى ذهني (مقتضى العقل) ومستوى منطوق (النظم)؛ بل كانت نظرته إلى اللغة نظرة عميقة شاملة تتجاوز النظر إلى هذين المستويين إلى مستوى ثالث به تفهم حقيقة اللغة وتُسوّع أغراضها وقصودها. وقد صرّح الجرجاني بهذا الأمر؛ فكشف عن هذا المستوى (المقام) في مواضع كثيرة من الكتاب، نذكر منها: قوله: "فإذن ربّ هزل صار أداة في جد، وكلام جرى في باطل ثم استعين به على حق، كما أنه ربّ شيء خسيس، توصل به إلى شريف، بأنّ ضرب مثلاً فيه، وجعل مثلاً عليه... وعلى العكس، فرُبّ كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم، كما عرفت من خبر الخارجي مع علي رضوان الله عليه (يريد قول الخارجي: لا حكم إلا لله، ورد الإمام علي بقوله: رب كلمة حق أريد بها باطل)"<sup>(4)</sup>.

تدل الأقوال السابقة على حقيقة المقام عند الجرجاني؛ فهو "الموقف الذي يوظف فيه الكلام. وهو بذلك مختلف عن مفهوم السياق الذي هو الصورة المنطوقة من اللغة. فالمقام وظيفة لغوية، والسياق صورة تكتنف ذلك الموقف"<sup>(5)</sup>.

1 - انظر: استنبطية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص129.

2 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص46.

3 - المرجع السابق. ص44.

4 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ص 14، 15.

5 - استنبطية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص129.

ويمكن القول أن الجرجاني قد أشار إلى الدلالات المتولدة من مقامات الكلام في مواطن كثيرة من كتابه، منها قوله: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر "النظم" على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام" (1).

ويشير الجرجاني في موضع آخر إلى تداولية الكلام بقوله: "وجملة الأمر، أن" الخبير" وجميع الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف أنها مقاصد وأغراض" (2).

وللجرجاني نظر تداولي عميق تجاه الإعراب؛ فهو يفصح عن هذا النظر بقوله: "إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلامٍ ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه" (3).

ما قاله الجرجاني يدل على أن علامات الإعراب هي دوال على معاني الألفاظ في الكلام، وبهذه العلامات يُستدلُّ على أغراض الكلام ومقاصده. وهي أيضاً معيار صحة الكلام أو عدم صحته (سقمه).

لقد دافع الجرجاني عن النحو، وبين أهميته في اختلاف ضروب الكلام، وتتنوع أساليب اللغة؛ فيه تُعرفُ وجوه الكلام وأساليب اللغة؛ وبسببه تتعدد هذه الوجوه، وتتباين الأساليب؛ وبعلاماته (علامات الإعراب) يُكشف عن معاني الكلام وأغراضه. بين الجرجاني ذلك بقوله: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر "النظم" على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا

1 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 87.

2 - المرجع السابق، ص 528.

3 - المرجع السابق، ص 28.

تجد لها ازدياداً بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرضُ بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض<sup>(1)</sup>.

وعليه؛ فإنّ فهم الجرجاني للغة فهم عميقٌ تجاوز فيه نظر التداوليين لها من ناحية، وأصحاب التوليدية التحويلية من ناحية أخرى. فقد تجاوز التداوليين، من حيث إنه تنبه إلى التفريق بين السياق والمقام، وأشار إلى الدلالة التي يقتضيها المقام. كما أنه تجاوز التوليديين التحويليين من حيث أنه جعل الأداء في مظهرين، هما: الأداء المنطوق (السياق أو النظم)، والأداء بحسب الموقف أو المقام، وهو الذي يمكن أن يسمى الأداء الموظف<sup>(2)</sup> \* .

يستنتج مما سبق أن الجرجاني أراد أن يضع لنا نظرية لغوية شاملة نعتمد عليها في فهم اللغة وتفسير تراكيبها وأساليبها تفسيراً تداولياً أساسها مقام الكلام وظروف استعماله. فاللغة أداة تواصل بين البشر، وهي وسيلة خطاب يستخدمونها لتحقيق أغراضهم ومقاصدهم.

#### • تداولية الحذف:

يظهر البعد التداولي للغة عند الجرجاني في تنبيهه إلى المعاني المتولدة من سياقات الكلام وأساليب اللغة، بيّن ذلك بقوله: "ويتصرّف في التعريف، والتتكير، والتقديم، والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار؛ فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"<sup>(3)</sup>.

يتضح مما سبق أنّ استعمال أساليب اللغة وتراكيبها يكشف عن معانٍ وأغراض وقصود يريد بها المتكلم، وهي محكومة بمقامات معينة وملابسات خاصة تتعلق بالمتكلم والمستمع وموقف الكلام إلى غير ذلك من عناصر المقام. فمن أساليب اللغة التي نوّه الجرجاني إلى البعد

<sup>1</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 87.

<sup>2</sup> - استيتية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص، ص 131 بتصرف

\* اعتمدت الدراسة مصطلح "التداولية" ليدل على مصطلح "البرجماتية" الذي استعمل في هذا المرجع.

<sup>3</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 82.

التداولي فيها أسلوب الحذف. فهو يقول في وصفه: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر... وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبَيِّن"<sup>(1)</sup>.

فالحذف لا يقع في نظم الكلام (سياقه) إلا لمعنى وغرض يريده المتكلم. وقد فصل الجرجاني القول في حذفين، هما: حذف المبتدأ وحذف المفعول به. وهذان الحذفان من نوع حذف المفرد (حذف الاسم المفرد)<sup>(2)</sup>.

#### • حذف المبتدأ:

يشير الجرجاني إلى بعض المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ. من هذه المواضع: القطع والاستئناف؛ فيقول في بيان هذا الموضوع: "بيدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر. وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ. مثال ذلك قول الشاعر: <sup>(3)</sup>

هُمُ حَلُّوا مِنْ الشَّرْقِ الْمُعَلَّى      وَمِنْ حَسْبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا  
بِنَاةٍ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةٍ كَلَمٍ      دَمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشَّافِءِ

حُذِفَ المبتدأ في البيت الثاني "هم"؛ لأنه في موضع قطع واستئناف للكلام، وقد دلَّ عليه ذكره في البيت الأول. وتقدير الكلام: هم بناة مكارم.... وتم هذا الحذف على المستوى النحوي. أما على المستوى التداولي؛ فإن للحذف معنى تداولياً هو المبالغة في المدح. فهم في نظر الشاعر بناة للمكارم وأساءة يعالجون الناس، ودماؤهم شراب يشفي الناس.

وفي موضع آخر لحذف المبتدأ، يقول الأفيشر في ابن عم له موسر: <sup>(4)</sup>

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه      وليس إلى داعي الندى بسريع  
حريصٌ على الدنيا، مُضِيعٌ لدينه      وليس لما في بيته بمُضِيع

1 - المرجع السابق، ص 146.

2- انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 2/363.

3 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 147، 148.

4 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ص 150.

حُذِفَ المبتدأ في البيتين السابقين في موضعين. فتقدير الحذف في الموضع الأول: هو سريع. وفي الموضع الثاني هو حريص. وسبب هذا الحذف فيهما هو القطع والاستئناف. وهو حذف، في الموضعين على المستوى النحوي. أما على المستوى التداولي؛ فقد حذف المبتدأ في الموضعين لمعنى تداولي هو المبالغة في الذم والتوبيخ؛ لقد بالغ الشاعر في ذم ابن عمه؛ لأنه في نظره بخيل حريص على جمع المال لا ينفقه في وجوه الخير.

يؤكد الجرجاني المعاني التداولية المتولدة من مقام الحذف في الأبيات السابقة وغيرها بقوله: "فتأمل هذه الأبيات كلها، واستقرها واحداً واحداً، وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ... وأن رُبَّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد" (1).

#### • حذف المفعول به :

يرى الجرجاني أن المعاني والأغراض المتولدة من مقام حذف المفعول به كثيرة ولطيفة. عبّر عن ذلك بقوله: "فإن الحاجة إليه يقصد حذف المفعول به أمسُّ وهو بما نحن بصدده أخصّ واللطائف كأنها فيه أكثر ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر" (2). فحذف المفعول به في نظره لا يقع إلا لمعنى وغرض يريد المتكلم. فمن المواضيع التي يحذف فيها المفعول به: "حذفه لإثبات معنى الفعل، لا غير. ومثال ذلك: قول الناس: "فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ... المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول" (3). فالمعنى التداولي المتولد من حذف المفعول في الأمثلة السابقة هو المبالغة في حدوث الفعل وتكثير أثره على المفعول. بيّن الجرجاني حقيقة هذا الغرض بقوله: "حتى كأنك قلت: " صار إليه الحل والعقد وصار بحيث

1 - المرجع السابق. ص 151.

2 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ص 153.

3 - المرجع السابق، ص 154.

يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي<sup>(1)</sup>. فالفعل لا يُعدى بمفعول معين؛ "لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى"<sup>(2)</sup>.

وقد يحذف المفعول به لمعنى تداولي أو أكثر يُفهم من مقام الكلام، ومثاله، قول

البحثري:<sup>(3)</sup>

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصرٌ ويسمعَ واعٍ

قيل هذا البيت في مقام مدح الخليفة المعتز. بيّن ذلك الجرجاني بقوله: "وذلك أنه يمدح خليفة وهو المعتز ويعرّض بخليفة وهو المستعين، فأراد أن يقول: إنّ محاسن المعتز وفضائله، المحاسن والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المستحق للخلافة والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها، فأنت ترى حساده وليس شيء أشجى لهم وأغیظ، من علمهم بأن ههنا مبصراً يرى وسامعاً يعي، حتى ليتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها، وأذن يعي معها، كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الإمامة، فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته إيّاها"<sup>(4)</sup>.

يتضح مما سبق أنّ لحذف المفعول به معنى تداولياً يُفهم من مقام الكلام هو المبالغة في مدح الخليفة. فضائل الممدوح ومحاسنه كثيرة يدركها كل مبصر ويعيها كل سامع.

ومن الأمثلة التي ذكرها الجرجاني على حذف المفعول به قول البحثري، وهو يذكر

محاماة الممدوح عليه، وصيانته له، ودفعه نوائب الزمان عنه:<sup>(5)</sup>

وكم ذُذتَ عنيّ من تحاملٍ حادثٍ وَسُورَةٍ أَيامٍ حَزَزْنَ إِلَى العظم

يقول الجرجاني معلقاً على حذف المفعول في هذا الشاهد: "الأصل لا محالة:

حززن اللحم إلى العظم، إلا أنّ في مجيئه به محذوفاً، وإسقاطه له من النطق، وتركه في

الضمير، مزية عجيبة وفائدة جليّة. وذاك أن من حذف الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع

1 - المرجع السابق، ص 154.

2 - المرجع السابق، ص 155.

3 - المرجع السابق، ص 156.

4 - المرجع السابق، ص 156.

5 - الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ص 171.

إيقاعاً يمنع به من أن يتوهم في بدء الأمر شيئاً غير المراد، ثم ينصرف إلى المراد. ومعلوم أنه لو أظهر المفعول، فقال: "وسورة أيام حزن اللحم إلى العظم"، لجاز أن يقع في وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله: "إلى العظم"، أن هذا الحز كان في بعض اللحم دون كله، وأنه قطع ما يلي الجلد ولم ينته إلى ما يلي العظم. فلما كان كذلك، ترك ذكر "اللحم" وأسقطه من اللفظ؛ ليبرئ السامع من هذا الوهم، ويجعله بحيث يقع المعنى منه في أنف الفهم، ويتصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يردّه إلا العظم"<sup>(1)</sup>.

لقد حُذِفَ المفعول به في الشاهد السابق "اللحم"؛ لغرض أرادته الشاعر وهو المبالغة في أثر الفعل على المفعول؛ "فالحز مضى في اللحم حتى لم يردّه إلا العظم"<sup>(2)</sup>. وهذا الغرض يفضي إلى معنى تداولي يُفهم من مقام البيت، وهو مبالغة الشاعر في مدح الممدوح؛ فقد صانته الممدوح في أصعب الظروف، ودفع عنه نوائب الزمان. فمبالغة الشاعر في وصف الظروف الصعبة التي عاشها يقابلها مبالغة في مدح الممدوح، وبيان فضائله عليه.

ويؤكد الجرجاني تداولية باب الحذف في العربية بقوله: "وليس لنتائج هذا الحذف، أعني حذف المفعول، نهاية، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة، وإلى لطائف لا تحصى"<sup>(3)</sup>. ما قاله الجرجاني يدل على أن الحذف في العربية باب واسع من أبواب تداولية اللغة، وأن المعاني والأغراض المتولدة من سياقات هذا الباب (الحذف) كثيرة ومتعددة ولا حصر لها.

#### • تداولية البيان:

يصف الجرجاني علم البيان بقوله: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأعلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر... إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 171، 172.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 172.

<sup>3</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 163.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص 5، 6.

يشير الجرجاني، في وصفه السابق لعلم البيان إلى الجانب التداولي لهذا العلم. فهو يرى أن المعاني المتولدة من ضروب هذا العلم كثيرة ولا يمكن حصرها.

ويؤكد، في موضع آخر تداولية هذا العلم بقوله: "فاعلم أنهم يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكنى وعرض، ومثل واستعار، ثم أحسن في ذلك كله وأصاب"<sup>(1)</sup>.

وينكشف الوجه التداولي للبيان عند الجرجاني بقوله: "وكل ما شاكل ذلك مما يُعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم؛ ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"<sup>(2)</sup>.

ويصحح الجرجاني عن تداولية المجاز والتمثيل بقوله: "ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم، أن يوهموا أبدأً في الألفاظ الموضوعية على المجاز والتمثيل، أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويُطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة، وبمكان الشرف"<sup>(3)</sup>.

لقد نظر الجرجاني إلى ضروب البيان نظراً تداولياً عميقاً منطلقاً من فكرة النظم. فهو يشير إلى المعنى المتولد من التشبيه، فيقول: "نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد، فتقول: "زيد كأسد"، ثم تريد هذا المعنى بعينه، فتقول: "كأن زيدا الأسد"، فتفيد تشبيهه أيضاً بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء، بحيث لا يتميز عن الأسد، ولا يقصر عنه، حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي"<sup>(4)</sup>.

ويجعل الجرجاني النظم سبباً في تولد المعنى الثاني من التشبيه، فيقول: "وإذا كان هذا كذلك، فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه، حيث قدّم "

1 - المرجع السابق ، ص 263.

2 - المرجع السابق ، ص 43.

3 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، ص 305 .

4 - المرجع السابق.ص 258.

الكاف" إلى صدر الكلام وركبت مع " أن؟" وإذا لم يكن إلى الشك سبيل أن ذلك كان بالنظم، فاجعله العبرة في الكلام كله، ورُض نفسك على تفهم ذلك وتتبعه، واجعل فيها أنك تزاول منه أمراً عظيماً لا يقادر قدره، وتدخل في بحر عميق لا يدرك قعره<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول إن الفرق في التشبيه عند المتكلم لا تظهر إلا في مقام معين؛ لذا فإن هذا المتكلم يوظف إمكانات اللغة المتمثلة بالنظم في بيان المعنى المقصود من التشبيه. ولا يكون هذا الأمر إلا في مقام معين .

فالتشبيه في قولنا: " كأن زيدا الأسد" له معنى تداولي هو المبالغة في بيان قوة زيد وشجاعته. ولا يتحقق لنا فهم المعاني التداولية المتولدة من التشبيه ومعرفتها إلا بالوقوف على مقامه وظروف استعماله. فقد يرد التشبيه لبيان صفة معينة من صفات المشبه. وقد يكون للتشبيه في مقام معين معنى تداولي معين كالمدح أو الذم أو السخرية ... ألخ.

ويؤكد الجرجاني أن النظم هو الأساس الذي تنطلق منه ضروب البيان، بيّن ذلك بقوله: " وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم، وعنه يحدث وبه يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو . فلا يتصور أن يكون ههنا " فعل " أو " اسم" قد دخلته الاستعارة، من دون أن يكون قد ألف مع غيره. أفلا ترى أنه إن قُدر في " اشتعل" من قوله تعالى: " واشتعل الرأس شيباً"<sup>(2)</sup> أن لا يكون " الرأس" فاعلاً له، ويكون "شيباً" منصوباً عنه على التمييز، لم يتصور أن يكون مستعاراً؟ وهكذا السبيل في نظائر " الاستعارة"<sup>(3)</sup>.

فضروب البيان على تعددها واختلافها هي المعاني الثواني للكلام (معاني البيان) وهي منبثقة عن المعاني الأول للكلام (معاني النظم). وقد ترد ضروب البيان في الكلام في مقامات معينة؛ فتكون لها معانٍ وأغراض وقصود كالمدح أو الذم أو إظهار الحزن أو الشكوى ... ألخ. ولا يمكن لنا معرفة هذه المعاني إلا بمعرفة مقامات الكلام (مقامات ضروب البيان).

1 - المرجع السابق ، ص 258.

2 - سورة مريم ( من الآية 4 ) .

3 - الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر. ص 393.

ويفصح الجرجاني في موضع آخر عن تداولية التمثيل، بقوله: "وهكذا كل كلام كان ضرب مثل، لا يخفى على مَنْ له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد. ولو كان الذي يكون غرض المتكلم يُعلم من اللفظ، ما كان لقولهم: "ضرب كذا مثلاً لكذا" معنى، فما اللفظ "يضرب مثلاً" ولكن المعنى. فإذا قلنا في قول النبي، صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدّمن"، إنه ضرب عليه السلام "خضراء الدّمن" مثلاً للمرأة الحسنة في منبت السوء، لم يكن المعنى أنه صلى الله عليه وسلم ضرب لفظ "خضراء الدّمن" مثلاً لها. هذا ما لا يظنه مَنْ به مَس، فضلاً عن العاقل" (1).

فالمعنى التداولي الذي يمكن أن نستنتجه من المثل السابق هو أن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، يحذرنا من الزواج بالمرأة الحسنة ذات الأخلاق السيئة، ويأمرنا بالزواج من المرأة المسلمة الصالحة؛ لأن ما يترتب على اختيار الزوجة يسهم في بناء المجتمع الإسلامي سلباً أو إيجاباً.

ويكشف الجرجاني عن الوجه التداولي للاستعارة؛ فيذكر أغراضها بقوله: "ولكن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة، وكما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيها وعلّة، كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها" (2).

فالاستعارة عند الجرجاني ضرب بياني يخضع (يلتزم) لقواعد النظم وقوانين البلاغة وأشكالها الجامدة، لكنه ينفلت إلى فضاء أرحب ومجال أوسع هو مجال التداولية؛ فنقع الاستعارة لأغراض ومعانٍ يريدها المتكلم، ولا يكون هذا الأمر إلا في مقام أو موقف معين.

1 - المرجع السابق. ص 441.

2 - الجرجاني، عبدالقاهر. أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتز، ص 220، 221.

فإذا قلنا على سبيل المثال: " حضر البحر مجلسنا" ونحن نقصد شخصاً معيناً مقصوداً بالمدح، فإن هذا المثال يتضمن استعارة، فقد شُبّه الممدوح (الشخص) بالبحر؛ لأنه كريم. وهذا على المستوى الدلالي أما على المستوى التداولي فإن لهذه الاستعارة معنى تداولياً يتمثل في إعطاء الممدوح كل صفات البحر المتمثلة بسعة العطاء وكثرة الخير وتجدد المنفعة ومصدر الخصب والنماء. وقد نقال هذه الاستعارة في مقامات أخرى كمقام الذم أو السخرية أو وصف الشخص المقصود بالبخل... ألخ.

ويضيف واصفاً المعاني اللطيفة للاستعارة، فيقول: " إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون... وإنما ينجلي الغرض منها ويبين إذا تكلم على التفاصيل، وأُفرد كل فن بالتمثيل"<sup>(1)</sup>.

ويظهر البعد التداولي للاستعارة عند الجرجاني في تعليقه على صلاحية كل تشبيه للاستعارة، فيقول: " وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ويكون في الحال دليل عليه، وفي العرف شاهد له حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف الغرض ويعلم ما أردت"<sup>(2)</sup>.

فالاستعارة عند الجرجاني أسلوب بياني يهدف المتكلم منه إلى إظهار غرضه وبيان مقصوده في مقام معين.

لقد تجاوز الجرجاني في نظريته إلى ضروب البيان قوانين البلاغة وقواعدها الصارمة وقوالبها الجامدة إلى فضاء أرحب؛ فوظف فكرة " النظم"، عنده في فهم المعاني والأغراض المتولدة من التراكيب النحوية والأساليب البلاغية على حد سواء.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 41، 42.

<sup>2</sup> - الجرجاني، عبدالقاهر. أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتز، ص 224.

## المبحث الثاني: "التداولية اللغوية" في الفكر اللغوي الغربي

### • مصطلح "التداولية" في الفكر اللغوي الغربي:

نظر اللغويون الغربيون إلى اللغة نظرة تداولية، وهذه النظرة تدل على اهتمامهم بالكيفية التي تستعمل فيها اللغة في مقامات معينة وبالحال التي يتلبس بها الكلام في ظروف معينة أيضا. لذا فقد اجتهدوا في إيجاد مصطلح يدل على تداولية اللغة ويكشف عن مستواها الاستعمالي.

إن أول من أشار إلى تداولية اللغة في الفكر اللغوي الغربي الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس. فقد استخدم هذا الفيلسوف مصطلح "التداولية" سنة 1938 م ليبدل على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية Semiotics . هذه الفروع هي : علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية (1).

لقد أراد موريس أن يبين لنا أن للغة مستوى تداولياً يبنى على مستويها التركيبي والدالي. وبهذا المستوى تعرف مقاصد اللغة ويكشف عن معانيها. ومن التعريفات الاصطلاحية التي أوردتها المعاجم للتداولية أنها رؤية لغوية " تُعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلام" (2).

يتبين من هذا التعريف أن التداولية رؤية لغوية تهتم بالجانب الاستعمالي للغة. فاللغة أداة تواصل بين البشر وبها يتخاطبون ويتفاهمون ويعبرون عن أغراضهم ومقاصدهم، ولا يكون هذا الأمر إلا في مقامات وظروف تحكم هذا الخطاب وتوجهه.

1 - Levinson, Stephen . Pragmatics , P1

وانظر: نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 9 .

2 - Baalbaki ,Ramzi . Dictionary of Linguistics terms, P390.

ويرى ليفنسون أن التداولية" هي دراسة العلاقات بين اللغة والسياق الذي يعد فهمه ضرورياً وأساسياً في تحقيق عملية فهم اللغة"<sup>(1)</sup>.

ما قاله ليفنسون يدل على اهتمامه بفهم السياق؛ لأن فهمه يفضي إلى فهم اللغة. ويمكن القول أن فهم اللغة يتطلب فهم سياقين: سياق لغوي وآخر غير لغوي (المقام). إن فهم اللغة لا يتحقق إلا بمعرفة مقامها. فمعرفة مقام الكلام وظروف استعماله تفضي إلى معرفة معانيه وأغراضه ومقاصده.

ويقول ليتش: "نحن، حقيقة، لا نستطيع فهم طبيعة اللغة نفسها إلا إذا فهمنا استعمالها في الاتصال"<sup>(2)</sup>. فهو يرى أن فهم اللغة لا يتحقق إلا بمعرفة جميع الظروف والملابسات المتعلقة باستعمال اللغة في موقف كلامي معين.

فالتداولية عنده " دراسة معنى اللغة مرتبباً بظروف الكلام والمتكلم ( مستعمل اللغة)"<sup>(3)</sup>. ويؤكد ليتش في موضع آخر تداولية اللغة بقوله: " لا نستطيع فهم طبيعة اللغة إلا بدراسة نحوها ( النظام التركيبي لها) ودراسة مبادئ استعمالها ( تداوليتها)"<sup>(4)</sup>.

يتبين مما سبق أن ليتش يركز على الجانب الاستعمالي للغة في فهمها ومعرفة مقاصدها وأغراضها؛ فمعرفة مقام الكلام ( ظروفه) يجعلنا نفهم مقاصده ونعي أغراضه.

ويرى جاك موشلار أن التداولية " علم جديد للتواصل يسمح بوصف وتحليل وبناء استراتيجيات التخاطب اليومي والمتخصص بين المتكلمين في ظروف مختلفة"<sup>(5)</sup>.

يتضح من التعريفات السابقة لمنظري التداولية الغربية أنها رؤية تهتم ببيان الجانب الاستعمالي للغة؛ ففهم هذا الجانب يفضي إلى فهم اللغة ومعرفة أغراضها ومقاصدها. وهذا غاية ما نريده من اللغة.

<sup>1</sup> - Levinson, Stephen . Pragmatics , P21.

وانظر: استيتية، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. ص 125.

<sup>2</sup> - Leech, Geoffrey. Principles of Pragmatics, P.1.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص 6.

<sup>4</sup> - Leech, Geoffrey. Principles of Pragmatics, P.4.

<sup>5</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

• نشأة " التداولية" في الفكر اللغوي الغربي وصلتها بالعلوم الأخرى:

يكشف النظر التداولي الغربي للغة عن الجانب الاستعمالي لها، وقد انبثق هذا النظر عندهم من النظر البنيوي والتوليدي التحويلي. عبر بوقرة عن نشأة التداولية في الفكر الغربي بقوله: " تمثل التداولية أهم اتجاه لغوي ازدهر في الثقافة اللغوية الغربية التي شكلت البنيوية والتوليديّة مراحلها النظرية الأولى، إذ تميز النظر اللساني في هذين الاتجاهين بالعناية بالنظام اللغوي والملكة اللسانية المتحكمة، مما يمكن أن نصطح عليه بلسانيات الوضع أو النظام. إذ غدا القول بوساطة هذه الملكة وفي إطار التنظيم اللغوي الاجتماعي فعلاً واقعيّاً لا يختلف من حيث أثره عن أي فعل مادي، وهذا ما يُعبّرُ عنه بنظرية أفعال الكلام، والتي غدت قطب الرحي في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة"<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول أن النظر التداولي للغة عندهم تجاوز النظر البنيوي والتوليدي؛ فنظر إلى اللغة نظرة واقعية استعمالية مركزاً على مقاصد الكلام وأغراضه، لقد سعى التداوليون الغربيون إلى فهم اللغة ومعرفة مقاصدها؛ فاهتموا بالمقام اللغوي وجعلوه هادياً ومرشداً إلى مقاصد الكلام وأغراضه. فالكلام، في نظرهم، لا يصدر عن المتكلم إلا في مقام معين يحكمه ويكشف مقاصده.

وعليه؛ فقد اعتمد التداوليون الغربيون في فهم اللغة ومعرفة مقاصدها على سياقين: سياق لغوي نابع من داخل اللغة وسياق فوق لغوي يتمثل في جملة من العلوم التي ترتبط باللغة مثل الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس. عبر عن ذلك بوقرة بقوله: " ويغذي الرؤية التداولية بالإضافة إلى اللغة جملة من العلوم، أهمها الفلسفة التحليلية، واللسانيات، والانثروبولوجيا، وعلم النفس المعرفي، وعلم الاجتماع"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 160 .  
<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 163.

فهم اللغة يحتاج إلى فهم سياقين: سياق لغوي يمثله نظام اللغة، وآخر غير لغوي (المقام) تشترك في صنعه جملة من الظروف والملابسات وتغذيته، أيضاً، جملة من العلوم السابقة.

وعلى الرغم من اهتمام اللغويين الغربيين بالجانب الاستعمالي للغة في وقت مبكر من القرن العشرين إلا " أن التداولية لم تصبح مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، هم : أوستن وسيرل وجرايس. وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية في مقابل مدرسة اللغة الشكلية ( الصورية) التي يمثّلها كارناب. وكانوا جميعاً مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إيلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها. وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداولية، أيضاً<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية " بيرس":

من اللغويين الغربيين الذين اجتهدوا في بيان الجانب الاستعمالي للغة العالم بيرس. وتشير الدراسات اللغوية إلى أنه " يُعدُّ الأب الحقيقي للتداولية الغربية؛ فقد نادى بفكرة " الدليل" الذي يتوفر، في نظره، على علاقة ثلاثية تتحقق بواسطة سيرورة متجانسة تدعى semiosis . والأبعاد الثلاثية للدليل ، هي: الفكرة ، والموضوع، والنوعية. من جهة أخرى يميز " بيرس" بين ثلاثة أنماط من الأدلة، هي : الرمز، والأيقونة، والأمانة. يمتاز الرمز بعلاقة الاعتباطية التي تربطه بموضوعه من ذلك مثلاً، أصوات لغة ما. أما الصفة الأيقونية للدليل فإنه يتم الوقوف عليها من خلال شبهها الصوري المحض بموضوعها. فالصوت المحاكي للطبيعة، على سبيل المثال، أيقونة. أما بالنسبة للأمانة ( القرينة) فإنها تتدرج في علاقة العلة بالمعلول. فالدخان دليل على النار، والدموع دليل على الحزن أو الألم<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 9، ص 10 .  
<sup>2</sup> - دلاش، الجبالي. مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن، ص 9 .

يتضح مما سبق أن " بيرس " في أفكاره السابقة قد سعى إلى إيجاد طريقة لفهم اللغة ومعرفة أغراضها ومقاصدها؛ فنبه إلى ضرورة معرفة مقام الكلام ( ظروفه وملابساته)؛ لأن مقام الكلام يكشف لنا عن أغراضه وقصوده. فاللغة عنده حدث تواصل في مقام معين.

#### • تداولية " موريس " :

تأثر " موريس " بـ " بيرس " في نظرية الدليل " فلم يبتعد كثيراً عن تصور " بيرس " اللهم إلا من حيث البعد السلوكي. إن سيرورة الدليل أو ما يُعرف بـ semiosis تحتوي، في نظره، على أربعة عناصر هي : العنصر الذي يقوم مقام الدليل ( الناقل)، والعنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه أو المدلول عليه، وعنصر الأثر الذي يحصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول، والمؤول. ولا توجد هناك تراتبية تنتظم هذه العناصر حال كونها تساهم في السيرورة السيميائية<sup>(1)</sup>.

وتأثر بالعالمين " بيرس " و " موريس " العالم " بوهلر "؛ " فقد نافح من أجل لسانيات ديناميكية غير سكنوية (لسانيات النشاط اللغوي)، حيث تنصرف مهمة اللساني إلى دراسة الاستعمال البشري الخاص للدليل. وهذه المهمة لم ينجزها سوسير<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق أن التداوليين الغربيين قد سعوا إلى إيجاد وسائل عملية لتفسير اللغة وفهمها فهماً تداولياً معتمدين على واقع استعمالها في ظروف وملابسات معينة.

ومن التداوليين الغربيين الذين تأثروا بـ " بيرس " واتباعه العالم " ياكبسون "، فقد " وسّع نظرية الدليل بنموذجه التبليغي الذي يميز فيه بين ست وظائف ترتبط بستة عناصر، هي: السياق ويرتبط بالوظيفة المرجعية، والمرسل ويرتبط بوظيفة التعبير، والمرسل إليه ويرتبط بوظيفة المعاناة، والرسالة وترتبط بوظيفة الاتصال، والوضع اللغوي ويرتبط بالوظيفية التحقيقية، والوظيفة الشعرية وهي موجهة مباشرة إلى الرسالة وأماراتها عديدة، منها القوافي والاستعارة والجناس<sup>(3)</sup>.

1 - دلاش، الجبالي. مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن ، ص 10 ، 11.

2- المرجع السابق ، ص 13، 14، 15 .

3 - المرجع السابق ، ص 16 بتصرف.

يُسْتَنْتَج مما سبق أنهم جاهدوا أنفسهم في بيان تداولية اللغة، وذلك بالتتويه إلى ظروف استعمالها في مواقف معينة؛ فتولد عن كل استعمال وظيفة من وظائف اللغة مع الأخذ بعين الاعتبار جميع الظروف والملابسات المرتبطة بهذه الوظيفة وهذا الاستعمال.

### • تداولية "فيتجنشتاين" :

من اللغويين الغربيين الذين نظروا إلى اللغة نظرة تداولية العالم فيتجنشتاين فقد " نظر إلى اللغة من جانب فلسفي. وتعتمد هذه الفلسفة، عنده، على ثلاثة مفاهيم أساسية هي : الدلالة، والقاعدة، وألعاب اللغة. فالدلالة هي المعنى الذي يتحصل في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة. والقاعدة نماذج ومُثُل من اللغة صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين. وأما ألعاب اللغة فهي الممارسة اللغوية وتمثل شكلاً من أشكال الحياة. وهي فكرة فيتجنشتاين الأساسية في تداوليته، ومثال ذلك: سرد حكاية أو ترجمة من لغة إلى أخرى، أو عبارة من عبارات التحية (نشاط اجتماعي)"<sup>(1)</sup>.

فاللغة في نظر فيتجنشتاين نشاط اجتماعي محكوم بمقامات معينة وأحوال متعددة تتعلق بالمتكلمين والمستمعين وجميع ظروف الكلام وملابساته. ويؤكد فيتجنشتاين تداولية اللغة بحقيقة مفادها " أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، لكن للغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتمني والشكر والتهنئة واللعن والقسم والتحذير ... الخ . وليست اللغة، عنده، حساباً منطقياً دقيقاً، لكل كلمة فيها معنى محدد، ولكل جملة معنى ثابت بحيث لا تنتقل من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل مراعيلاً قواعد الاستدلال المنطقي بل الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها. فالمعنى عنده هو الاستعمال"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - دلاش، الجيلالي. مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن ، ص 18-20 بتصرف.  
<sup>2</sup> - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 41 ، 42 بتصرف.

فاللغة عند فيتجنشتاين نشاط حياتي يستعمله الفرد لتأدية مجموعة من الأغراض والقصود في جميع مجالات الحياة. ومعاني اللغة وأغراضها الواردة في أساليبها متولدة من مقامات هذه الأساليب وظروف استعمالها.

### • تداولية " أوستن " ( نظرية الأفعال اللغوية ) :

من اللغويين التداوليين الذين تأثروا بفلسفة فيتجنشتاين التداولية العالم " أوستن ". فقد قام بالرد على فلاسفة الوضعية في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي ( 1952 - 1954 م ) ، ومحاضرات أخرى في هارفارد سنة 1955م ، والتي اختار لها جامعها إرمسون سنة 1960م عنواناً مميزاً هو : ماذا نصح بالكلمات؟ " وتأتي أهمية ردوده في رفضه أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية يُحكم على مقولاتها بالصدق أو الكذب بالنظر إلى المطابقة أو عدمها، عاداً ذلك الموقف الفلسفي مغالطة وصفية بخاصة إذا نظرنا إلى كم هائل من العبارات التي لا تصف العالم، ولا تقرر حقيقة إنما تتجز فعلاً وتوقع عملاً<sup>(1)</sup>.

يتبين مما سبق أن أوستن رفض أن تكون اللغة تراكيب وأساليب جامدة نحكم عليها بالصدق أو الكذب. فاللغة في نظره نشاط إنساني استعمالي محكوم بمقامات وظروف وملابسات معينة.

وعليه فقد قاده هذا النظر إلى عد اللغة " شيئاً متصلاً اتصالاً وثيقاً بالطبيعة البشرية في جانبيها الرئيسين، وهما: القوة الإبداعية، والقدرة العقلية التي تتحكم في رسم بنية العالم. وجعله يميز بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية تقريرية وصفية يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب. وأفعال أدائية إنجازية يمكن أن تكون موفقة أو غير موفقة، مثل: التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد. وحتى تكون الأفعال الأدائية موفقة لا بد أن تحقق جملة من الشروط، وزعها أوستن على نوعين، هما: الشروط التكوينية (الملاءمة)، والشروط القياسية<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، ص 185.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 186.

ولكي يميز أوستن بين فعل وفعل آخر في واقع الاستعمال، فقد " وصف بنية الفعل الكلامي نفسه فبان له تكونه من ثلاثة أفعال بسيطة هي: الفعل اللفظي ( النطقي): ويمثله انتظام الأصوات المنطوقة في السلسلة الكلامية وفق تأليف نحوي يحقق معنى يحيل إلى مرجع معلوم. والفعل الإنجازي: ويمثله المعنى الإضافي المؤدّي خلف المعنى الأصلي أو الحرفي (المُتَضَمَّنُ في القول). والفعل التأثيري ( الناتج عن القول): وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع سواء كان سلوكاً ظاهرياً أو لغوياً"<sup>(1)</sup>.

لكنه ركز على الفعل الإنجازي في نظريته؛ لأنه يكشف عن المعنى المتولد من المعنى الأصلي. وجعله أساس هذه النظرية، لذا فقد سميت هذه النظرية بالنظرية الإنجازية. "وقدم أوستن تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية يشتمل على خمسة أصناف، ولم يتردد في القول بأنه غير راضٍ عن هذا التصنيف. وهي: أفعال الأحكام، وأفعال القرارات، وأفعال التعهد، وأفعال السلوك، وأفعال الإيضاح"<sup>(2)</sup>. وقد يكون سبب عدم رضاه عن هذا التصنيف النقص وعدم الشمول؛ فأفعال اللغة المستخدمة في الحياة كثيرة ومتعددة تتجاوز الأصناف السابقة التي ذكرها أوستن.

لقد حاول أوستن بنظره التداولي ( النظرية الإنجازية) أن يظهر (يبين) لنا حقيقة الجانب الاستعمالي للغة المتمثل بأفعال اللغة التي لا يستعملها المتكلم (مستعمل اللغة) إلا لغرض أو معنى يقصده. فاستعمال أفعال اللغة في واقع الاستعمال لها يكشف عن مقاصد الكلام وأغراضه.

#### • تداولية " سيرل " :

تأثر "سيرل" بأستاذه " أوستن" في نظرية الأفعال اللغوية؛ " فإذا كان فضل السبق والتأسيس يعود إلى " أوستن" في إرساء نظرية الفعل الكلامي فإن لسيرل دوراً لاينكر في تطوير مفاهيم ضرورية كالفعل الإنجازي من حيث هو الوحدة الصغرى في الاتصال والتحليل اللساني،

<sup>1</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، ص 187. وانظر: أوستن، جان. نظرية

أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قينيني، ص 123.

<sup>2</sup> - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 46.

ومفهوم القوة الإنجازية، وكذا إبراز دليل القوة الإنجازية والمتمثل في نظام بناء الجملة والنبر والتنغيم، وعلامات الترقيم وصيغة الفعل والأفعال الأدائية<sup>(1)</sup>.

يتبين مما سبق أن سيرل حاول أن يطور نظرية الأفعال اللغوية التي أرسى قواعدها أستاذه أوستن، فنظر إلى مجموعة من العناصر المرتبطة بالفعل الإنجازي كنظام بناء الجملة والنبر والتنغيم والتي تسهم حقيقة في إبراز قوة هذا الفعل التداولية في الاستعمال. " فالفعل الكلامي، عنده، أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط، أيضاً، بالعرف اللغوي والاجتماعي"<sup>(2)</sup>.

ولم يكتف سيرل بذلك فقد " أعاد صياغة شروط الملازمة التي وصفها أوستن في نظريته؛ فجعلها أربعة شروط، هي: شروط المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي. وميز، أيضاً، بين الفعل الإنجازي المباشر الذي يحقق المطابقة بين المعنى القولوي والمعنى الغرضي، والفعل غير المباشر الذي يخالف مراد المتكلم فيه مقتضى الفعل، ويكون السامع قادراً على فهم المغزى المراد من خلال استراتيجية الاستنتاج التي عبر عنها " غرايس" بمبدأ التعاون الحوارية"<sup>(3)</sup>.

ما قاله سيرل يدل على اهتمامه بتداولية الكلام المتمثلة باستعمال الفعل الإنجازي في مقام معين. إن استعمال الفعل الإنجازي عنده محكوم بسياقين: سياق لغوي، وآخر غير لغوي تشترك فيه عناصر المقام كالمتكلم والسامع والعرف اللغوي والاجتماعي إلى غير ذلك من العناصر.

ويمكن القول أن التأثر بنظرية الأفعال اللغوية لم يتوقف عند سيرل؛ فقد تفرع من هذه النظرية اتجاهات لغوية أخرى، منها: " دراسة الأعمال في ذاتها، ودراسة الأعمال عن طريق المحادثة وسبيل المتكلم في التعبير عن نفسه بصورة تجعل المخاطب قادراً على فهم

<sup>1</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 188.

<sup>2</sup> - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 47.

<sup>3</sup> - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 189.

مقصده باستعمال عمليات ذهنية معينة، وأشهر أعلامه " غرايس"، ودراسة متضمنات القول، والافتراضات المسبقة، والمحااجة، وأشهر أعلامها " ديكرو" (1).

وسّع " سيرل" أفق ( حدود) النظرية الإنجازية التي وضعها أستاذه " أوستن"؛ فقد حاول بآرائه الجديدة استحضار جميع الظروف والملابسات المرتبطة بالكلام لفهم أغراضه ومقاصده.

#### • تداولية " غرايس" :

يُعدُّ العالم " غرايس" واحداً من فلاسفة اكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية(2). تأثر هذا العالم بنظرية أفعال الكلام(3). ونتج عن هذا التأثير رأي تداولي جديد في فهم اللغة ومعرفة أغراضها ومعانيها، ابتكره هذا العالم هو مبدأ الاستلزام (التعاون) الحوارية(4).

بنى غرايس رؤيته التداولية للغة على مبدأ الاستلزام الحوارية. وتتلخص حقيقة هذا المبدأ في " أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون؛ فجعل كل همّة إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يُقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال؛ فأراد أن يفرق بين ما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمّن؛ فنشأت، عنده، فكرة الاستلزام(5).

يتبين مما سبق أن غرايس أراد أن يفرق بين سياقين حين استعمال الكلام: سياق لغوي وآخر غير لغوي محكوم بمراد المتكلم وقدرة السامع على تفسير هذا المراد مع الأخذ بعين الاعتبار جميع ظروف الاستعمال المرتبطة بالموقف اللغوي بينهما.

1 - بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 192.

2 - انظر: نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 32.

3 - انظر: بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 192.

4 - انظر: نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 32.

5 - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

وضح غرايس حقيقة مبدأ الاستلزام الذي بنى عليه رؤيته التداولية. " فرأى أن الاستلزام نوعان: استلزام عرفي واستلزام حواري. فأما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. ومن ذلك مثلاً كلمة " لكن" فهي تستلزم دائماً أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع. مثل " زيد غني لكنه بخيل". وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها. وفصل " غرايس" في الاستلزام الحواري وبينه عن طريق مبدأ سمّاه مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي : مبدأ الكم (اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه) ومبدأ الكيف ( لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه ) ، ومبدأ المناسبة ( اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع )، ومبدأ الطريقة ( كن واضحاً ومحددًا؛ فتجنب الغموض، وتجنب اللبس وأوجز، ورتب كلامك). هذه هي المبادئ التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوار مثمر" (1).

وعليه؛ فقد حاول " غرايس"، بفكرة الاستلزام الحواري، أن يقدم رؤية تداولية جديدة في فهم اللغة ومعرفة أغراضها ومقاصدها مستحضراً مقام الكلام ( ظروف استعماله ) من متكلم ومخاطب وحال ملائمة له إلى غير ذلك من عناصر المقام.

من الإنصاف القول أن اللغويين العرب ( النحاة والبلاغيين ) قد سبقوا التداوليين الغربيين بمئات السنين في هذا الأمر؛ فقد نظروا إلى اللغة نظرة تداولية عميقة تجاوزت معيارية التراكيب النحوية، وتخطت شكليّة الأساليب البلاغية إلى فضاء أرحب ومدى أوسع هو " تداولية اللغة" ، وخير من يمثل هذه التداولية في الفكر اللغوي العربي العالم عبدالقاهر الجرجاني. وقد فصل القول في نظره التداولي إلى اللغة في الصفحات السابقة من هذا الفصل.

<sup>1</sup> - نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 33، 34.

## الفصل الثاني : أسلوب النداء في النظر النحوي العربي

يتناول هذا الفصل من الدراسة أسلوباً من أساليب اللغة التي يتواصل بها أفراد المجتمع الواحد في موقف معين من مواقف الحياة. " فأسلوب النداء عند النحاة العرب في مصنفاتهم أساليب متعددة فهو نداءات كثيرة ظهرت بسبب تعدد المواقف والأغراض التي تستعمل فيها"<sup>(1)</sup>.

فكل نداء رسالة موجهة من مرسل إلى مستقبل، فأنت " لا تستعمل أساليب النداء إلا وأنت تفترض أن الآخر يستقبل الرسالة ، فيستجيب لك. والأصل طبعاً افتراض استجابته لك، وإلا لما وجد النداء في اللغة أصلاً "<sup>(2)</sup>.

تستند الرؤية التداولية، في وصف الظاهرة اللغوية وتحليلها إلى عدة أمور تتعلق بهذه الظاهرة منها : المتكلم والمستمع و طبيعة الخطاب وجميع الظروف والملازمات المتعلقة بهذا الخطاب .

وعليه، فإن كل أسلوب من أساليب النداء المتعددة يتطلب تحليلاً تداولياً يتناسب مع مضمونه وظروف استعماله ومقامه الذي تم فيه .

**المبحث الأول : أسلوب النداء في النظر النحوي العربي**

**المطلب الأول : وصف أسلوب النداء عند النحاة العرب ، والتحليل التداولي له .**

• **وصف أسلوب " النداء " عند النحاة العرب :**

بسط النحاة العرب القول في أسلوب النداء وتوسعوا فيه . فقد أفردوا له باباً خاصاً سموه "باب النداء" . وجعلوا هذا النداء نداءات كثيرة. فهو في مصنفاتهم : " تنبيه المدعو للإقبال ، وهو " ندبة " واستغاثة وترخيم واختصاص "<sup>(3)</sup> .

1 - انظر مثلاً، باب النداء في: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، من 274-182/2 .

2 - استيتية، سمير. اللسانيات : المجال ، والوظيفة، والمنهج ، ص 691 .

3 - انظر مثلاً ، باب النداء في: ابن السراج، محمد بن سهل. الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1.

" والنِّداءُ والنُّداءُ في اللغة الصوت مثل الدُّعاء والرَّغاء ، وقد ناداه ونادى به ، وناداه مناداة ونداء : أي صاح به ، وأندى الرجل إذا صاح به " (1) .

وفي الاصطلاح : " إحصار الغائب ، وتنبيه الحاضر ، وتوجيه المُعْرَض ، وتفريغ المشغول ، وتهيج الفارغ . وهو في الصناعة : تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه" (2) .  
والنداء أيضاً ضربان : " النداء الحقيقي ، وهو ما كان فيه المنادى اسماً لعاقل ، مثل :  
" يا أخي إني أحبك " . والنداء المجازي ، وهو ما كان فيه المنادى اسماً لغير العاقل ، كقول لبيد بن ربيعة: (3)

يا دارَ مِيَّةٍ بالعلياءِ فالسندِ أقوتَ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ

يتبين من التعريف الاصطلاحي للنداء أن النداء نداءات كثيرة . فكلُّ نداءٍ منها نداء خاص، له مقامه وظروفه التي انتج فيها . ويمكن لنا أن نستنتج البعد التداولي في كل نداء من هذه النداءات . وهذا ما ستفصح عنه الدراسة في هذا الفصل.

وفي وصف النداء يقول سيبويه : " اعلم أنَّ النداء ، كلُّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره . والمفرد رفعٌ، وهو موضع اسم منصوب" (4) .  
وتبعه في هذا الوصف جميع النحاة العرب، فهذا المبرد يقول: " اعلم أنك إذا دعوت مضافاً نصبته ، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره " (5) .

يُسْتَنْتَج من وصف النحاة العرب للنداء أنهم جعلوه على ضربين ، هما : المنادى المنصوب ، والمنادى المبني في محل نصب . وجعلوا المنصوب ثلاثة ، هي : المضاف ، والشبيه بالمضاف، والنكرة غير المقصودة . وجعلوا المبني اثنين : العلم ، والنكرة المقصودة (6) .

1 - ابن منظور. لسان العرب ، تصحيح أمين عبدالوهاب ومحمد العبيدي، باب النون 97/14 .  
2 - الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات" معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 364/4 .  
3 - بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي ، 1101/2 . وانظر: الجبوري، يحيى. لبيد بن ربيعة العامري، ص 242 .  
4 - سيبويه ، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 182 /2 .  
5 - المبرد ، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة، 202 /4 .  
6 - انظر: ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1 ، 330 .

لكنّ هذا الاستنتاج يطرح علينا ثلاثة تساؤلات ينبغي علينا أن نحسنَ إجابتها، وهي ما يلي:

التساؤل الأول: لِمَ نَصَبَ العرب المنادى المنصوب، وما علة نصبه؟

التساؤل الثاني: لِمَ بنى العرب المنادى المبني، وما علة بنائه؟

التساؤل الثالث: هل النداء إنشاء أم خبر؟

وللإجابة على التساؤل الأول يمكن القول أن العرب نصبوا المنادى بفعل مضمّر وجوباً تقديره "أدعو" أو "أنادي" (1). فعندما نقول: يا باغي الخير، أقبل، فإن المعنى: أدعو باغي الخير. فالمنادى مفعول لفعل وفاعل مضميرين نابت عنهما أداة النداء "يا".

ولبيان حقيقة العلاقة بين عامل نصب المنادى، والعلة التي أدت إلى نصبه، فإننا نقول إن النحاة العرب في تفعيمهم لأبواب النحو المتعددة في مصنفاتهم ربطوا بين العامل النحوي والعلة النحوية في كل باب من أبواب النحو. فقد استدلوا على عامل نصب المنادى، بقولهم: "أنّ ما يُقدَّر ناصباً هو "أدعو" أو "أنادي"، ولكنّ ذلك على جهة التمثيل والتقريب" (2).

أما علة نصب المنادى عندهم فهي حمله على منصوب مثله، وقد صرح بذلك سيبويه حين قال: "وزعم الخليل أنّهم نصبوا المضاف، نحو يا عبدالله ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحاً، حين طال الكلام، كما نصبوا: هو قبلك وهو بعدك. وقولهم: "يا إياك" لما كان المنادى منصوباً، وكنّوا عنه، أتوا بضمير المنصوب" (3).

يُستنتج من التوضيح السابق في هذه المسألة أنّ النحاة العرب أجمعوا على أن العامل في نصب المنادى هو فعل محذوف تقديره "أنادي"، وقد سدّت مسده أداة النداء. لكن بعض النحاة خالفوا هذا الرأي، فعدوا أداة النداء هي العاملة في المنادى لنيابتها عن الفعل، وهو رأي

1 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2 / 182.

2 - المرجع السابق، 2 / 182.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2 / 182، 183، وابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 1 / 316.

المبرد<sup>(1)</sup>. ووافق ابن جني المبرد في رأيه ، فعَدَّ " يا " متميزة في عملها فهي تقوم مقام الفعل ، وهذه الميزة ليست لسائر الحروف ، يقول : " وذلك أن " هل " تتوب عن أستفهم .

و " ما " تتوب عن أنفي ، و " إلا " تتوب عن أستثني ، وتلك الأفعال النائية عنها هذه الحروف هي الناصبة في الأصل . فلما انصرفت عنها إلى الحروف طلباً للإيجاز ، ورغبة عن الإكثار ، أسقطت عمل تلك الأفعال ، ليتم لك ما انتحيتّه من الاختصار ، وليس كذلك " يا " وذلك أن " يا " نفسها هي العامل الواقع ، وحالها في ذلك حال أدعو وأنادي في كون كل واحد منهما هو العامل في المفعول " (2) .

ومهما يكن من خلاف ، في هذه المسألة بينهم ؛ فقد اتفقوا في أن عدّوا النداء مفعولاً به ؛ فأدرجوه في مصنفاتهم النحوية في باب المنصوبات ، بل أتبعوه باب المفعول به<sup>(3)</sup> .

وأكد النحاة العرب أيضاً أن جملة النداء جملة تامة . فقال ابن جني : " فكل لفظ مستقل بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه ، فهو كلام " (4) . ويتضح هذا الأمر في تعريف ابن جني للكلام ، فقد عده رديفاً لتعريف الجملة ، فقال : " أمّا الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون : الجملة ، نحو ، زيد أخوك ، وقام محمد " (5) .

وأكد ابن جني ذلك ، حين تحدث عن خصوصية عمل " يا " في المنادى وقيامها مقام الفعل ، فقال : " فلما قويت " يا " في نفسها وأوغلت في شبه الفعل تولّت بنفسها العمل ؛ لأنك إذا قلت : يا عبدالله تم الكلام بها وبمنصوب بعدها " (6) .

يتبين لنا من الكلام السابق أن النحاة العرب عدّوا صيغة النداء كلاماً مفيداً له معنى وعليه ، فإن الدراسة ترى أن جملة النداء تمثل جملة فعلية مكتملة العناصر ( فعل وفاعل ومفعول

1 - انظر : المبرد ، محمد بن يزيد . المقتضب ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، 202/4 .

2 - ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، 278/2 ، 279 .

3 - انظر ، مثلاً ، باب المنادى في : " الاسترلابادي ، رضي الدين محمد . الكافية في النحو ، تحقيق عبدالعال سالم مكرم ، 345/1 .

4 - ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، 18/1 .

5 - المرجع السابق 18/1 .

6 - المرجع السابق . 279/2 ، 280 .

به ) . فعندما نقول على سبيل المثال : يا محمد، فإننا نعني: أنادي أو أدعو محمداً. وأن العامل الذي نصب المنادى ( على اعتبار أن المنادى منصوب) هو الفعل المضمر أدعو أو أنادي.

وفي جواب التساؤل الثاني يمكن القول أن العرب بنوا المنادى العلم والنكرة المقصودة. فقال سيبويه في وصف المنادى المبني: " والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب" (1) . وعلل رفعه، فقال: " ورفعوا المفرد كما رفعوا قبلُ وبعُدُ وموضعهما واحدٌ ، وذلك قولك : يا زيدُ ويا عمرو . وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ " (2) .

وعلل المبرد رفع المنادى بقوله: " فإن كان المنادى واحداً مفرداً أو معرفةً بُنيَ على الضم . ولم يلحقه تنوين ، وإنما فعلَ ذلك به؛ لخروجه عن الباب، ومضارعتة ما لا يكون معرباً.

فلما قلت : يا زيدُ خاطبته بهذا الاسم ، فأدخلته في باب ما لا يكون إلا مبنياً نحو ، أنتَ ، وإيّاك ، والتاء في قمت ، والكاف في ضربتك ، فلما أُخْرِجَ من باب المعرفة ، وأدخل في باب المبنية ، لَزِمَهُ مِثْلُ حَكْمِهَا ، وبنيته على الضم ، لتخالف به جهة ما كان عليه معرباً ، لأنه دخل في باب الغايات " (3) .

ويفرق المبرد بين النكرة المقصودة المبنية ، والنكرة غير المقصودة المعربة ، فيقول: "والفصل بين قولك : يا رجلُ ، أَقْبِلْ إنْ أَرَدْتَ به المعرفة، وبين قولك : يا رجلاً ، أَقْبِلْ إذا أَرَدْتَ النكرة، أَنَّكَ إِذَا ضَمَّمْتَ فَإِنَّمَا تَرِيدُ رجلاً بعينه تشير إليه دون سائر أمته . وإذا نصبت ونونت ، فَإِنَّمَا تَقْدِيرُهُ يا واحداً ممن له هذا الاسم ، فَكُلُّ مَنْ أَجَابَكَ مِنَ الرِّجَالِ فَهُوَ الَّذِي عَنِيَتْ" (4) .

ووصف ابن السراج المنادى المبني فقال: " والمعرفة المضمومة في النداء على ضربين: إحداهما : ما كان اسماً علماً قبل النداء ، نحو : زيد وعمرو فهو على معرفته ، وضرب كان نكرة فتعرّف بالنداء ، نحو : يا رجلُ ، أَقْبِلْ ، صار معرفة بالخطاب " (5) .

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/ 182 .

2 - المرجع السابق . 2/ 183 .

3 - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة، 4/ 204 ، 205 .

4 - المرجع السابق . 4/ 206 .

5 - ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، 1/ 330 ، 331 .

لم يكتفِ ابن السراج بالوصف ، فقد بيّن علة بناء المنادى المفرد فقال : " وأما السبب الذي أوجب بناء الاسم المفرد فوقه موقع غير المتمكن ، ألا ترى أنه قد وقع موقع المضمره والمكنيات ، والأسماء إنما جُعِلَتْ للغيبة ، لا تقول : قام زيد، وأنت تحذف زيدا عن نفسه ، إنما تقول : قمت يا هذا ، فلما وقع زيد وما أشبهه بعد " يا " في النداء موقع أنت والكاف وأنتم ، وهذه مبنيات لمضارعتها الحروف بُني . وبني على الحركة في النداء؛ لأن أصله التمكن، ففرق بينه وبين ما لا أصل له في التمكن ، فأما تحريكه بالضم دون غيره فإنهم شبهوه بالغايات نحو قبلُ وبعدُ " (1).

يتضح من تعليقاتهم السابقة أنهم جهدوا أنفسهم في بيان ثلاثة أمور تتعلق ببناء المنادى العلم والمنادى النكرة المقصودة ، وهي علة البناء ، وعلة الحركة وعلة الضم . وهذه الأمور ترتبط عندهم بأصول تفكيرهم النحوي الذي يعتمد على العامل النحوي والعلّة النحوية المرتبطة به . وهذا ما نجده في كل باب من أبواب النحو الذي نظر له النحاة العرب في مصنفاتهم النحوية . ويظهر هذا الأمر جلياً في تعليقات الأنباري في هذه المسألة، فهو يقول: " إن قال قائل : لم بُني المنادى المفرد المعرفة ؟ قيل : لوجهين أحدهما : أنه أشبه كاف الخطاب ، وذلك من ثلاثة أوجه : الخطاب ، والتعريف ، والإفراد ؛ لأن كل واحد منهما يتصف بهذه الثلاثة فلما أشبه كاف الخطاب من هذه الأوجه بُني كما أن كاف الخطاب مبنية . والوجه الثاني : أنه أشبه الأصوات ؛ لأنه صار غاية ينقطع عندها الصوت ، والأصوات مبنية ، فكذلك ما أشبهها . فإن قيل : فلم بُني على حركة ؟ قيل لأن له حالة تمكن قبل النداء، فبني على حركة : تفضيلاً على ما بُني وليس له حالة تمكن . فإن قيل : فلم كانت الحركة ضمة؟ قيل: لثلاثة أوجه : الوجه الأول : أنه لو بني على الفتح لالتبس بما لا ينصرف ، ولو بني على الكسر لالتبس بالمضاف إلى النفس ، وإذا بطل بناؤه على الكسر والفتح ، تعيّن بناؤه على الضم . والوجه الثاني : أنه بني على الضم فرقاً بينه وبين المضاف ، لأنه إن كان المضاف مضافاً إلى النفس كان مكسوراً وإن كان مضافاً إلى غيرك كان مفتوحاً ، فبني على الضم لئلا يلتبس بالمضاف ، لأن الضم لا

<sup>1</sup> - ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي . 1 / 333 .

يدخل المضاف . والوجه الثالث : أنه بني على الضم ؛ لأنه لما كان غاية يتم بها الكلام وينقطع عندها، أشبه " قبلُ وبعْدُ " فبنوه على الضم كما بنوهما على الضم " (1) .

ويعلق ابن هشام بقوله : " يستحق المنادى البناء بأمرين : إفراده وتعريفه ، ونعني بإفراده أن لا يكون مضافاً ولا شبيهاً به ، ونعني بتعريفه أن يكون مراداً به معين ، سواء كان معرفة قبل النداء كزيد وعمرو ، أو معرفة بعد النداء ، بسبب الإقبال عليه ، كرجل وإنسان ، تريد بهما معيناً؛ فإذا وجد في الاسم هذان الأمران استحق أن يبنى على ما يرفع به لو كان معرباً ، تقول : " يا زيدُ " بالضم ، و " يا زيدان " بالألف ، و " يا زيدون " بالواو " (2) .

وبيّن ابن يعيش رأيه في هذه المسألة ، فقال في علة بناء النكرة المقصودة " أن رجلاً في كلامنا يا رجلُ نكرة في الأصل ، وإنما صار معرفة في النداء ، وذلك أنك لما قصدت قصده ، وأقبلت عليه ، صار معرفة ، باختصاصك إياه بالخطاب دون غيره . وأما علة بناء العلم " فإنما بني لوقوعه موقع غير المتمكن ، ألا ترى أنه وقع موقع المضمّر ، والمتمكنة من الأسماء إنما جعلت للغيبة ، فلا تقول : " قام زيد " وأنت تحدثه عن نفسه ، إنما إذا أردت أن تحدثه عن نفسه فتأتي بضميره ، فنقول : " قمتَ " . والنداء حال خطاب ، والمنادى مخاطب ، فالقياس في قولك : " يا زيد " أن تقول : " يا أنتَ " . والدليل على ذلك أن من العرب من ينادي صاحبه إذا كان مقبلاً عليه ، ومما لا يلتبس نداؤه بالمكني فيناديه بالمكني عن الأصل ، فيقول : " يا أنتَ " (3) .

وبضيف السيوطي مبيناً علة بناء المنادى ، بقوله : " وعلة البناء الوقوع موقع كإف الخطاب . وقيل : شبهه بالضمير ، وخصّ بالضم لئلا يلتبس بغير المنصرف لو فُتِحَ ، وبالمضاف للياء لو كُسِرَ " (4) .

يُسْتَنْتَج مما سبق ، أن النحاة العرب عدّوا المنادى المعرب المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة وكذلك المنادى المبني : العلم والنكرة المقصودة منصوبات ؛ لأنهم

1 - الأنباري، عبدالرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص224، ص225 .

2 - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ص 222.

3 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 319/1 ، 321 .

4 - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، 3 / 38 .

فسروها بجملة فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول به، وهذا ما جعلهم يتبعون المنادى بباب المنصوبات بل اتبعوه باب المفعول به . وهذا التفسير سببه النزعة المعيارية التي اتصف بها النظر النحوي في جميع أبواب النحو في مصنفاتهم النحوية .

وإذا ما دققنا النظر في كل ضرب من ضروب النداء المعرب والمبني كما وصفوها ، فإننا نستنتج أن لكل ضرب منها خصوصية معينة ، وهذه الخصوصية تتمثل في دلالة أمور عدة، منها : دلالة حرف النداء المستخدم في كل واحد منها ، ودلالة الحركة الإعرابية التي وضعوها لهذا الضرب أو ذلك ، ودلالة مضمون النداء الوارد في كل منها مع الأخذ بعين الاعتبار سياقات هذه النداءات والمقامات التي تستخدم فيها .

وفي جواب التساؤل الثالث المتعلق بإنشائية " النداء " أو خبريته ، نقول : إنَّ النحاة العرب فسروا التركيب الشكلي لصيغة النداء بجملة فعلية (جملة المفعول به ) ، وهي جملة تتضمن معنى الخبر . ولكنهم أكدوا إنشائية صيغة النداء لعدة أسباب ، وقد ذكروا هذه الأسباب صراحة في بيان قواعد هذا الباب وتفصيلاته .

بيّن السيرافي إنشائية النداء بقوله: " وقد ذكروا أنّ ما يقدر ناصباً هو " أدعو " أو " أنادي " ولكن ذلك على جهة التمثيل والتقريب ؛ لأنهم أجمعوا أنّ النداء ليس بخبر " (1) .

وأما الأسباب التي تدل على إنشائية النداء فقد ذكرها السيوطي ، فهو يقول : " للزوم إضمار الفعل في باب النداء ، أسباب منها : الاستغناء بظهور معناه، قصد الإنشاء، إظهار الفعل يوهم الإخبار، كثرة الاستعمال، والتعويض منه بحرف النداء ويقدر بأنادي أو أدعو إنشاءً وهذا مذهب الجمهور " (2) . ويضيف أيضاً: " وذهب بعضهم إلى أن النداء منه ما هو خبر لا إنشاء، وهو النداء بصفة، نحو: يا فاسق، ويا فاضلٌ لاحتمال الصدق والكذب في تلك الصفة، ومنه ما هو إنشاء وهو النداء بغير صفة " (3) .

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2 / 182 .

2 - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، 3 / 33 .

3 - المرجع السابق. 34/3 .

يتبين مما سبق أنّ النحاة العرب أبدعوا في بيان إنشائية النداء فهو عندهم، إنشاء طلبى يتضمن خطاباً موجهاً وقصدية معينة ، وبمعنى أدق هو رسالة بين مرسل ومستقبل تنتقل عبر قناة اتصال معينة وضمن ظروف وملابسات تتعلق بطرفيها ( المرسل والمستقبل ) . وهذا الأمر يكشف بوضوح عن المعاني التداولية المستكنة في هذا الأسلوب والتي يمكن لنا استظهارها وبشكل جلي في كل ضرب من ضروب النداء .

وفي حقيقة الأمر ، فإنّ النحاة العرب لم يناقضوا أنفسهم في أنهم عدوا النداء إنشاءً . فالنداء في حقيقته إنشاء طلبى يتضمن خطاباً مقصوداً (رسالة موجّهة ) يكون بين طرفين ، هما المنادى ( اسم الفاعل ) والمنادى ( اسم المفعول ) ضمن ظروف وملابسات معينة وفي مقام خاص يجمع هذين الطرفين . والبلاغيون العرب عدوا النداء ضرباً من ضروب الإنشاء الطلبى الذي يتضمن طلباً معيناً ، وما الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء إلا معانٍ تداولية تكشف عن إنشائية النداء وتداوليته .

وللنحاة المحدثين آراء متباينة حول حقيقة جملة النداء . فقد وصف المخزومي جملة النداء فقال: " إنّ النداء ليس جملة فعلية ، ولا جملة غير إنشائية ، وإنما هو مركب لفظى بمنزلة أسماء الأصوات ، يُستخدم لإبلاغ المنادى حاجة ، أو دعوته إلى إغاثة أو نصرة ، أو نحو ذلك " (1) . واستدل على هذا الوصف لأنه " عدّ المنادى من المنصوبات التي لا تؤدي وظيفة إعرابية في أثناء الجملة ، كالمفعولات والحال وغيرها من متعلقات الجملة " (2) . وبين هذا الأمر بقوله : " فليس في المنادى إسناد ، ولا إضافة ، وليس المنادى من متعلقات الجملة ، نحو: يا عبدالله أقبل . ويا راغباً في النجاح اجتهد ونحوها . فليس " عبدالله " أو " راغباً " مفعولاً ، أو شبيهاً بالمفعول ، وحين أُريد إلى تحريكهما في وصل الكلام نصبا ، لأنه لا سبيل إلى تحريكهما بغير

1 - المخزومي، مهدي. في النحو العربي - نقد وتوجيه . ص 311 .

2 - المخزومي، مهدي. في النحو العربي - قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ص 70 بتصرف.

الفتحة ، لأن الفتحة هي الحركة التي يلجأ إليها العرب إذا أرادوا إلى تحريك الكلمة الخارجة عن الإسناد والإضافة ، مما كان من متعلقات الفعل ، ومما لم يكن من متعلقاته " (1) .

ويعدّها تمام حسان جملة إنشائية طلبية تفيد السؤال (2) ويلخص الجوّاري أسلوب النداء بقوله : " النداء إنشاء فهو كلام ينشئه المتكلم ، ولا يحتمل الصدق والكذب ، على حد ما يصفون به الإخبار ، وليس له في خارج الكلام نسبة تصدقه أو لا تصدقه ، وقد يكون أقرب إلى طبيعة النداء أن يؤول بفعل طلب . فيكون قول القائل : يا زيد ، ويا فاعل الخير : تعال أو أقبل أو أجبني ، ونحو ذلك . ولو أنهم فعلوا ذلك لكانوا أدنى إلى فهم وظيفة النداء ومعناه ، وهو إنشاء لا ريب " (3) .

" وقد تأتي جملة متمم النداء استفهاماً " (4) وذلك نحو قوله تعالى: " إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " (5) . فالمعاني التي يخرج إليها أسلوب النداء المرتبط بالأمر أو النهي أو الاستفهام أو التمني أو غيرها في آيات القرآن الكريم أو الشعر أو النثر هي معانٍ كثيرة تتجاوز في عددها المعاني البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون العرب في كل ضرب من ضروب الإنشاء الطلبي؛ لأن مواقف الحياة كثيرة ومتعددة. والتحليل التداولي لأسلوب النداء المرتبط بتممه من أمر أو نهى أو غيره لا يقف عند مضمون الجمليتين ( جملة النداء ومتمم النداء ) بل يؤخذ بعين الاعتبار عند التحليل حرف النداء ودلالته وحذفه أو إثباته ويُراعى في ذلك الظروف المتعلقة بالمنادي ( المتكلم ) والمنادى (المخاطب ) والمقام الذي أنشئ فيه هذا الأسلوب .

1 - المرجع السابق، ص 71 .

2 - انظر: حسان ، تمام. الخلاصة النحوية. ص 137 .

3 - الجوّاري، أحمد عبد الستار. نحو المعاني. ص 145، 146 بتصرف.

4 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 23.

5 - سورة المائدة ، من آية (112) .

## • التحليل التداولي لأسلوب النداء :

يرتبط التحليل التداولي لأي ظاهرة من ظواهر اللغة بالرؤية التداولية في فهم هذه الظاهرة وتفسيرها . والرؤية التداولية رؤية شاملة تضم جميع مستويات الظاهرة اللغوية في التحليل . فهي تضم المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والتداولي بل إنها تأخذ بعين الاعتبار كل ما يتعلق بهذه المستويات من خارج اللغة . وعليه ، فإن الظاهرة اللغوية بجميع مستوياتها المختلفة لا يمكن فصلها عن السياق الذي ترد فيه ولا يمكن فهمها أيضاً إلا بفهم المقام الذي تقال فيه .

فالرؤية التداولية رؤية شمولية في فهم الظاهرة اللغوية وتحليلها . فهي من ناحية تشمل جميع مستويات الظاهرة اللغوية من صوت وصرف ونحو ودلالة وتداول ، وهي من ناحية أخرى رؤية عملية تركز على وظيفية كل مستوى من مستويات الظاهرة اللغوية . وتظهر وظيفية كل مستوى من هذه المستويات بالنظر إلى سياقين : سياق لغوي وآخر غير لغوي (خارجي) وهو المقام<sup>(1)</sup> .

وفي بيان حقيقة هذه الرؤية اللغوية ، يقول أستاذنا سميح استيتية : " إن أول ما تتصرف إليه البراجماتية اللغوية ، هو تحديد هوية العلاقة بين اللغة ، وسياقاتها ، والذين يصنعون هذه السياقات ، ألا وهم الناطقون باللغة . وليست هذه العلاقة سهلة ، بل هي مركب معقد من الثوابت والمتغيرات التي تتدخل فيها عوامل نفسية ، واجتماعية ، ومنطقية . ومن هنا ، كان تلازم البراجماتية اللغوية ، وعلم النفس ، والمجتمع ، وعلم الاجتماع ، وعلم المنطق ، أمراً ملحوظاً في كل الدراسات البراجماتية اللغوية"<sup>(2)</sup> .

يتضح مما سبق ، أن الرؤية التداولية اللغوية تهتم بمعياريين اثنين ، هما : السياق اللغوي ويقصد به العلاقات القائمة بين الكلمات والألفاظ داخل السياق الواحد ودلالاتها . والمعيار الثاني: المقام ، ويشمل جميع الظروف والعوامل التي تكون من خارج اللغة ، وهذه

1 - انظر : استيتية، سميح . منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص من ص 129 - ص 132 .

2 - استيتية، سميح . منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص . ص 113 . مصطلح " البراجماتية اللغوية" يساوي مصطلح " التداولية اللغوية" .

العوامل قد تكون نفسية أو اجتماعية أو منطقية . وترتبط هذه العوامل بطرفي الخطاب : المتكلم والمتلقي ويتضافر ويتعاقد هذان المعياران في تحقيق أمر التداولية اللغوية وإظهارها إلى حيز الوجود . وهذا هو جوهر هذه الرؤية وأساسها الذي قامت عليه .

فأسلوب النداء من الأساليب اللغوية التي يظهر فيها البعد التداولي ظهوراً واضحاً؛ لأن النداء في أصله خطاب موجّه مقصود . ويتضح هذا البعد في قول الجرجاني : " فصار قولك: يا عبد الله ، ويا غلام زيد ، يفيد في أنك في حال دعائه ، وأن في نفسك أرادة متوجهة إليه وقصدًا مختصاً به" (1).

ويتضح ذلك أيضاً في تعليل السيوطي لإضمار الفعل الذي ينصب المنادى . فمن أسباب إضمار الفعل عنده قصد الإنشاء (2) . وهذا السبب يدل على إنشائية النداء وقصديته . وبهذه القصديّة تنشأ المعاني التداولية التي قد تُستَبَطَنُ من سياقات النداء على اختلاف ضروبه .

ويظهر البعد التداولي للنداء في وصف الفارابي لهذا الأسلوب ، فهو يقول : " فإن النداء يُقتضى به أولاً من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظراً لما يخاطبه به بعد النداء " (3) . فالنداء خطاب يتم بين طرفين ( متكلم ومخاطب ) في ظروف وملابسات معينة في مقام خاص يجمعهما . وبالنظر إلى هذه الظروف ، وهذا المقام تُفهم المعاني التداولية التي يقصدها المتكلم .

والنداء أساليب متعددة ومختلفة ، وهذا ما نجده في مصنفاتهم النحوية فهو عندهم ، " تنبيه واستغاثة وترخيم وندبة وتعجب واختصاص" (4) . وفي حقيقة الأمر، فإن البعد التداولي يمكن استنتاجه في كل نداء خاص من أبواب النداء المتعددة . " ويلاحظ أن النداء يأخذ خطأً علوياً وسفلياً وأفقياً وحقيقياً ومجازياً ، ويُنادى الفرد والجماعة ( الحقيقية والمعنوية)، ويُنادى

1 - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج2/754.  
2 - انظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 33/3 .  
3 - الفارابي، محمد بن طرخان. كتاب الحروف، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين. ص 96.  
4 - انظر، مثلاً، باب النداء في : الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق. كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد. من ص 147- ص 177 .

العالم المرئي وما وراء الطبيعة ، وينادى العاقل وغيره ، والحي والجماد <sup>(1)</sup> . فتعددية النداء، وكثرة المسارات فيه تكشف بوضوح عن الوجه التداولي في كل ضرب من ضروبه ، وفي كل مسار من مساراته .

وأسلوب النداء ظاهرة لغوية مكتملة المستويات من صوت وصرف ونحو ودلالة وتداول . وهذه الظاهرة لا يمكن دراسة أي مستوى فيها دون النظر إلى المستوى الآخر ومعرفته . فكل مستوى من مستويات هذه الظاهرة يصب في معرفة المستوى الآخر ، وإذا ما فصلنا بين مستوى وآخر في دراسة هذه الظاهرة ، فإنه الفصل الذي لا يكون إلا لغايات البحث والدراسة .

والتحليل التداولي لأسلوب النداء سيضم التحليل التداولي لحروف النداء جميعها ، وهي ثمانية حروف في واقع الاستعمال اللغوي لهذا الأسلوب <sup>(2)</sup> . فقد وضع النحاة العرب لكل ضرب من ضروب النداء حرفاً اختص به دون غيره ، وأثبتوا هذا الحرف في مواضع وحذفوه في أخرى . وما اختصاص حرف النداء أو إثباته أو حذفه إلا لمعنى تداولي أرادوه .

وينكشف الوجه التداولي لأساليب النداء المتعددة في استعمال حرف النداء واختصاصه بضرب دون غيره . يقول أحد الباحثين : " والنداء أسلوب خاص بالمتكلم موجّه إلى المخاطب ، يتم بحروف خاصة يهتف بها المتكلم لتبنيه المنادى ، ويستعملها ليجذب من خلالها انتباه المنادى وإقباله عليه" <sup>(3)</sup> .

والتحليل التداولي أيضاً سيضم نوع المنادى وحكمه الإعرابي ، والعلامة الإعرابية التي اختص بها دون غيرها . وما هذا الاختصاص إلا لمعانٍ تداولية يمكننا استنباطها والوقوف عليها .

1 - فارس، أحمد محمد. النداء في اللغة والقرآن. ص 6 .

2 - انظر: عدّة حروف النداء في : السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، 34/3 .

3 - العوادي، أسعد خلف. سياق الحال في كتاب سيبويه: دراسة في النحو والدلالة. ص 176 .

والتحليل التداولي لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى تحليل المواقف التي يقال فيها هذا النداء أو ذلك. ويتبع هذه المواقف الحالة النفسية والاجتماعية لطرفي الخطاب الندائي (المتكلم والمخاطب) .

### • المطلب الثاني: حروف النداء، توصيفاً وتحليلاً تداولياً

#### • عدّة حروف النداء عند النحاة العرب :

اختلفت عدّة حروف النداء عند النحاة العرب . فقد أفرد سيبويه باباً لحروف النداء سمّاه " هذا باب الحروف التي ينبه بها المدعو " ، وعدّ فيه خمسة حروف لتنبه المدعو ، وهي: يا ، أيأ، هيا، أي ، الألف<sup>(1)</sup> وتبعه في ذلك معظم النحاة العرب<sup>(2)</sup> ، إلا أن السيوطي عدّها ثمانية حروف وهي : ( الهمزة ، أي ، يا ، أيأ، هيا ، أي ، آ ، وا ) ، وتبعه ابن عصفور<sup>(3)</sup> . ومهما اختلفت عدّة هذه الحروف فإنها ارتبطت بالبعد التداولي لها . فقد بيّن سيبويه حقيقة هذا البعد في وصفه لهذه الحروف ، وكيفية استعمالها . فهو يقول : " فأما الاسم غير المنسوب فينبه بخمسة أشياء : بـ " يا ، أيأ ، هيا ، أي وبالألف إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المترخي عنهم ؛ والإنسان المعرض عنهم ، الذي يرون أنه لا يقبل عليهم إلا بالاجتهاد ، أو النائم المستقل " <sup>(4)</sup> .

يتضح من الوصف السابق أن سيبويه جعل الحروف الأربعة: (يا ، أيأ ، هيا، أي ) لنداء البعيد والبعيد عنده ، ليس واحداً فهو مراتب . فالبعيد قد يكون معرضاً أو متثاقلاً في الرد والاستجابة أو نائماً إلى غير ذلك من المراتب التي تتعلق بهذا البعيد .

واختيار سيبويه لهذه الحروف يتناسب مع مقامات نداء البعيد ؛ لأنها حروف مد . فمدّ الصوت وإطالته له دلالة تنفق مع مقام نداء البعيد . أما الألف ( الهمزة ) ، فقد جعلها سيبويه

<sup>1</sup> - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 229 / 2 .

<sup>2</sup> - انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 233/4 .

- وانظر: ابن السراج، محمد بن سهل. الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1 .

<sup>3</sup> - انظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 34/3 -

36 . وانظر: ابن عصفور، علي بن مؤمن. المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبدالله الجبوري، ك

192 / 3 .

<sup>4</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 229/2 ، 230 .

لنداء القريب لأن القريب في موقف لا يحتاج إلى مد الصوت وإطالته . " وأن الهمزة صوت  
مجهور شديد يمنع الصوت أن يجري فيه"<sup>(1)</sup> . فالحقيقة الصوتية للهمزة تتفق مع مقام نداء  
القريب في الدلالة والتداول ، ويظهر هذا الأمر جلياً في مقامات نداء القريب المتعددة .

ويظهر البعد التداولي في الاستعمالات المتعددة لحرف النداء ، فقد يُنادى القريب  
بحروف مناداة البعيد لعلو منزلته أو بعده النفسي عن المنادي ( المتكلم ) أو لأي معنى تداولي  
يقصده . وقد عبر عن ذلك سيبويه بقوله: "وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف"<sup>(2)</sup> .

إن دلالة حرف النداء المستخدم يحددها المقام الذي تُقال فيه جملة النداء. لذا فإن  
المعاني التداولية المتولدة في أساليب النداء المتعددة يولدها المقام وظروف إنتاجه.

ولأن الأصل في النداء نداء البعيد ، فإن النحاة العرب اختاروا أصوات المد التي  
تناسب مناداة هذا البعيد ودعوته . وفي وصف المد يقول ابن جني : " وذلك أن أصل المد وأقواه،  
وأعلاه وأنعمه وأنداه ، إنما هو للألف . وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها "<sup>(3)</sup> . فابن  
جني في مقولته السابقة يربط بين حقيقة المد ومناسبتها للنداء . " ويظهر المد كذلك في مواقف  
تحتاج إلى درجة أعلى في الدلالة ، لا يبلغها اللفظ بدلالاته المعجمية والسياقية ولكن المقام  
يقتضيها "<sup>(4)</sup> . فاستخدام المد في مقامات معينة للنداء يولد معاني تداولية كثيرة.

ووصف سيبويه أصوات المد بقوله : " وهذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف  
لين ومد ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت ؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ؛ ولا  
أمد للصوت ؛ فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها "<sup>(5)</sup> .

1 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 4/434. وانظر: استيتية، سمير.  
الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية. ص 133 .  
2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 2/230 .  
3 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 3/ 129 .  
4 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 170 .  
5 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 4/176.

وعليه ، فإن " أصوات المد هذه ذات خصائص تخدم اختيارها كأصوات للنداء من حيث إنها ذات قدرة عالية في الإسماع ، ذلك أنها لم تفقد شيئاً من طاقتها لعدم تعرضها للاحتكاك عند خروجها ، وهذا عنصر أساسي يميزها عن الصوامت "(1) .

وفيما يلي بيان لكل حرف من حروف النداء في واقع الاستعمال اللغوي له:

### • حرف النداء " يا " : وصف تداولي

استعملت العرب لكل أسلوب من أساليب النداء حرفاً خاصاً به يناسب مقامه وظروف استعماله. فأكثر حروف النداء استعمالاً عند العرب حرف النداء "يا " : " وهي أمُّ الباب ، وهي حرفٌ موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً . وقد يُنادى بها القريب توكيداً ، وقيل : مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل : بينهما وبين المتوسط ، وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً . ولهذا لا يُقدَّرُ عند الحذف سواها . ولا ينادى اسم الله ، والاسم المستغاث، وأيُّها وأَيُّهَا ، إلا بها ، ولا المندوب إلا بها أوبـ " وا " . ولم يرد في التنزيل الكريم نداء بغيرها"(2) .

يظهر البعد التداولي لهذا الحرف في استعمالاته الكثيرة ، وفي مقاماته المتعددة . فنداء البعيد ، حقيقةً ، هو أصل استعمال " يا " ؛ لأنها حرف مد وُضِعَ لنداء البعيد وتبنيه . يُستعمل حرف النداء "يا" في جميع أحوال المنادى بلا استثناء. فقد استعمل لنداء البعيد والقريب ونداء العاقل وغير العاقل. ونجد ذلك بكثرة في شواهد الخطاب الندائي في القرآن الكريم وفي الشعر والنثر. ولكل استعمال منها مقامه الخاص فيه. ويجدر القول أن مناداة البعيد بحرف النداء "يا" لا تقتصر على تبنيه وطلب إقباله، ولكنها تتعدى هذا المعنى إلى معانٍ تداوليةٍ أخرى كالاستغاثة والإغراء والتمني وبث الشكوى والحزن والتحسر والتعجب والاستحسان والندم والفخر والمدح والوصف والندبة إلى غير ذلك من المعاني التداولية التي يفرضها مقام استعمال هذا الحرف.

<sup>1</sup> - عميرة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 50 .

<sup>2</sup> - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 36/2. مبحث "يا". والسيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 30/3 ، والحمد، علي، والزعبي، يوسف. المعجم الوافي في النحو العربي. ص 370 .

وشواهد استعمال حرف النداء "يا" كثيرة في القرآن الكريم والشعر والنثر، نذكر منها شاهداً واحداً من القرآن الكريم. قال تعالى: "يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً"<sup>(1)</sup>.

استعمل حرف النداء "يا" في هذه الآية لمعنى تداولي هو إظهار ندم المنافق وحسرتة على ما فاتته من غنائم. وأسهم في كشف هذا المعنى وتجليته استعمال حرف التمني "ليت". فمقام نداء "ليت" مقام ندم وحسرة من المنافق؛ لأن المنافق لا يهمله أجر الجهاد في سبيل الله تعالى بقدر ما يهمله الحصول على الغنائم والانتفاع بها بسبب ضعف إيمانه.

قد يستعمل حرف النداء "يا" في نداء القريب المنزل منزلة البعيد لمعنى تداولي يفرضه المقام. من أمثلة ذلك قولنا للإنسان الساهي: يا فلان!.

فالمعاني التداولية المتولدة من مقام استعمال حرف النداء "يا" في هذا المثال كثيرة، منها: تنبيه السامع بسبب غفلته وشروء ذهنه أو ذمه وتوبيخه أو إظهار الغضب عليه أو تحذيره من خطر قريب منه أو تعظيمه أو إظهار الاهتمام به إلى غير ذلك من المعاني التداولية الكثيرة التي يكشفها مقام النداء وظروف استعماله.

#### • حرف النداء "أيا" وصف تداولي

من الحروف التي استعملها العرب في النداء حرف النداء "أيا" : " وهي حرف النداء الثاني عند النحاة العرب . وهو لنداء البعيد أو ما في حكمه كالنائم أو الساهي أو المتغافل أو المستنقل أو المتراخي عنك " <sup>(2)</sup> . " وذهب الجوهري إلى أنه لنداء القريب والبعيد ، وردَّ ابن هشام قوله هذا " <sup>(3)</sup> . " ولا يجوز حذفها وإبقاء المنادى. وإذا وجدنا منادى دون حرف نداء ، حكمنا بالحذف لـ " يا "؛ لأنها أمُّ الباب ، والله أعلم " <sup>(4)</sup> .

<sup>1</sup> - سورة النساء. من آية (73).

<sup>2</sup> - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 229/2، 230 .

- وانظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 235/4.

- وانظر: ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1 .

والمرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني. ص 419 .

<sup>3</sup> - انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين

عبد الحميد ، 42/1 . حرف "أيا" . وانظر : السيوطي ، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ،

تحقيق عبد العال سالم مكرم ، 35/3 .

<sup>4</sup> - المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني. ص 419 .

وفسر النحاة العرب اختيار هذا الحرف لنداء البعيد أو ما في حكمه؛ لأنه لمد الصوت. يقول المبرد: "وأما "أيا"، و"هيا" فلا يكونان إلا للنائم، أو المستقل، والمترخي عنك؛ لأنهما لمد الصوت"<sup>(1)</sup>.

ومن الشواهد الشعرية التي استعمل فيها هذا الحرف قول الشاعر عبد يغوث الحارثي<sup>(2)</sup>:

أيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْ      نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

يكشف النداء بحرف النداء "أيا" عن شعور نفسي ذاتي يتعلق بنفسية الشاعر الحزين المأسور الذي جُهِزَ للقتل. فهو يواجه مصيره وحده في أرض الغربة ولا نصير له. لذا فقد نادى راكباً من الركبان يبلغ خبره وحاله. واختيار النكرة غير المقصودة للنداء، وحرف النداء "أيا" يتفقان مع مقام هذا النداء وظروفه. فالمعنى التداولي المتحصل من استعمال "أيا" والنكرة غير المقصودة هو إظهار حزن الشاعر العميق على نفسه بسبب الأسر والغربة.

والمعاني التداولية التي قد تستنتج من استعمال هذا الحرف كثيرة ومتعددة يحددها مقام النداء وظروفه. ومن الأمثلة على استخدام هذا الحرف: قولنا: "أيا سيدي ومولاي"<sup>(3)</sup>. في نداء شخص قريب منا. استُخدمَ هذا الحرف في نداء القريب لمعنى تداولي هو علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه. وقد تنادي إنساناً يجلس معك، فنقول في ندائه: "أيا هذا، تنبّه؛ فالمكاره محذقة بك. استخدم هذا الحرف في نداء القريب لمعنى تداولي هو غلظة المخاطب ولهوه وعدم انتباهه. فأنت تريد ان تبعده عن الأخطار.

فالمعاني التداولية المتولدة في هذه الاستخدامات لا تحددها دلالة الحرف المستخدم فحسب، بل يحددها المقام وظروف الاستعمال المرتبطة به.

1 - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 235/4.

2 - هذا البيت من شواهد سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 200/2. ومن شواهد: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 204/4. وانظر: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1080/2. ويروى البيت بـ "فيا راكباً".

3 - انظر: المثالين في: وهبه، نجيب. الموسوعة العربية في النحو والصرف والبلاغة والإلقاء. ص 607.

وقد تبدل همزة " أيا " هاء كقول الحطيئة : (1)

فَقُلْتُ هَيَا رَبَاهُ ضَيْفٌ وَلَا قِرَى  
بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تَا اللَّيْلَةَ اللَّحْمَا

قال الشاعر هذا البيت في مقام الدعاء لطلب الرزق ، فهو يريد أن يكرم ضيفه ؛ لكنه فقير . فرزقه الله تعالى صيداً وأكرم ضيفه . والله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ، لكن الشاعر استعمل حرف النداء للبعيد ؛ لعلو منزلة الخالق و قدسيته . "ويمكن القول أن حرف النداء " أيا " لم يستعمل إلا في الشعر، إذ إنه لم يرد في القرآن الكريم، ولا في خطب العرب وأمثالهم، ولعل من أسباب عدم وروده في النثر بعامة أنه يبدأ بالهمزة التي يميل المستعمل للغوي إلى تسهيلها أو التخلص منها إن أمكن ذلك " (2) .

#### • حرف النداء " هيا " : وصف تداولي

استعملت العرب حرف النداء "هَيَا" : فهو حرف لنداء البعيد ، وينادى به النائم أو المستنقل أو المترخي أو المعرض؛ ففيه يُمدُّ الصوتُ(3). أُسْتُعْمَلُ الحرفان ( أيا ، هيا ) لنداء البعيد ؛ " لأن الهمزة والهاء فيهما يحملان قيمتين صوتيتين متقاربتين " (4) . " فمخرجهما واحد وهو أقصى الحلق " (5) . " وأبدلت العرب الهاء من الهمزة ، فقالوا : " هرقت الماء " أي " أرقته " و " هرحت الدابة " أي " أرحتها " ، و " هنرت الثوب " أي " أنرته " ، و " هردت الشيء " أي " أردته " (6) . وحصل هذا الإبدال " على سبيل التخفيف ، إذ الهمزة حرف شديد مستقل ، والهاء

1 - انظر: الشاهد في بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي، 283/1. وانظر: ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، ص115. ويروى بـ " هيا رباه ..".

2 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 55 بتصرف.

3 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 229/2 .

- وانظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 235/4.

- وانظر: ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1 .

وانظر: المرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني. ص 507 .

4 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 58 .

5 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 433/4.

6 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب ، 401/5. بتصرف .

حرف مهموس خفيف " (1) . وفي واقع الاستعمال، " فإن " أيا " أكثر استعمالاً من " هيا " ، فجاز أن يعتقد أنها أصل . وقال آخرون هي " يا " أدخل عليها هاء التنبيه مبالغة<sup>(2)</sup> . وقد يكون سبب كثرة استعمال " أيا " سبباً صوتياً ؛ " فـصوت الهمزة، لجهريته وشدته"<sup>(3)</sup> ، يناسب مقام النداء أكثر من صوت الهاء . وفي واقع الاستعمال اللغوي لحرف النداء " هيا " ، فإن هذا الحرف لم يرد في الخطاب الندائي في القرآن الكريم . ولم يستعمله العرب، أيضاً ، في نثرهم .

واستعمل في الشعر استعمالاً قليلاً ومن هذا الاستعمال ، قول الحطيئة :

فَقُلْتُ هِيَ رِبَاهٌ ضَيْفٌ وَلَا قَرِيٌّ      بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تَا اللَّيْلَةَ اللَّحْمَا<sup>(4)</sup>

بينت الدراسة المعنى التداولي المتولد من استعمال حرف النداء " هيا " في هذا البيت في موضع سابق ( عند التحليل التداولي لاستعمال حرف النداء " أيا " ) .

#### • حرف النداء " أَيْ " : وصف تداولي

"أَيْ" : بفتح الهمزة المقصورة وسكون الياء ، وهو أحد حروف النداء . اختلف النحاة العرب في استعمال " أَيْ " في النداء . فمنهم من عدّه لنداء البعيد<sup>(5)</sup> . و عدّه ابن هشام " على وجهين : حرف لنداء البعيد أو القريب ، أو المتوسط ، على خلاف في ذلك "<sup>(6)</sup> . و عدّه أحدهم لنداء المتوسط<sup>(7)</sup> .

إنّ مقام النداء والظروف المتعلقة به هو الذي يحدد دلالة استخدام هذا الحرف أو غيره من حروف النداء . وإذا ما دققنا في واقع الاستعمال اللغوي لحرف النداء " أَيْ " فإننا نجد

1 - المرجع السابق . 401/5 .

2 - المرجع السابق . 50/5 .

3 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 434/4 .

4 - انظر: الشاهد في بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي، 283/1 . وانظر: ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، ص115. ويروى بـ " وقال : هيا رباه .."

5 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 229/2 - 230 .

- وانظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 235/4 .

- وانظر: ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1 .

6 - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 98/1 . بحث " أَيْ " .

- وانظر: المرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني . ص 233 .

7 - انظر : السيوطي ، جلال الدين . الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فايز ترخيني، 366/1 .

" أنه لم يرد في القرآن الكريم ، وشواهد من الشعر العربي قليلة جداً ، فقد ذكر ابن هشام شاهداً واحداً عليه في " المغني " . أما في النثر ، فإن الشواهد التي استعمل فيها هذا الحرف تدل على استعماله في مقام خاص للنداء هو نداء القريب المصغي للمنادي ، إذ إن معظم الشواهد التي ورد فيها اختصت بنداؤ الأبوين لأبنائهم " (1).

ومن هذه الشواهد : " أي بنية ، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت " (2) . يشير أسلوب النداء السابق إلى مقام خاص في النداء يجمع بين طرفين : الأم المحبة لابنتها الناصحة لها الحريصة على مصحتها . والبنت المحبة لأمها المصغية لها . وعليه ، فإن المعنى التداولي المستخلص من هذا النداء هو النصيح والإرشاد في موقف جديد .

وفي خطاب ندائي آخر يقول أحدهم: " أي بني ، كن جواداً بالمال في موضع الحق " (3). يشير أسلوب النداء السابق إلى مقام خاص في النداء يجمع بين طرفين : الأب الناصح والابن المصغي لنصيحة أبيه . فالأب يأمر ابنه ناصحاً أن يكون جواداً بالمال في موضع الحق ، فلا ينفق هذا المال إلا في وجوه الخير والحق . فالأب لا يريد لابنه إلا أن يكون إنساناً مؤمناً خيراً . وهنا تتجلى عاطفة الأبوة في أظهر صورها ، وعلى الابن أن يعمل بنصيحة أبيه ، ويطبّقها ليكون من الفائزين في الدنيا والآخرة. فمقام النداء يكشف عن معنى تداولي هو الدعاء للابن أن يكون من أهل الصلاح والتقوى والإيمان .

يتضح مما سبق ، أن حرف النداء " أي " استخدم في نوع خاص من النداء قد يكون مقامه النصيح والإرشاد أو الحث على أوامر الدين أو الحث على مكارم الأخلاق ، أو إلى غير ذلك من المعاني التداولية التي قد تُستنتج من النداء ومقامه .

1 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 56 بتصرف .  
- وانظر الشاهد في : ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، 98/1.  
2 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 145/1 .  
3- صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 2/ ص 4 ، 5 . والقول لعبدالله بن شداد يوصي ولده .

وقد يرد حرف النداء " أي " في نداء الأقراب أو الأصدقاء أو الحكام ، ومن ذلك :  
قول القعقاع بن عمرو لأم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، في البصرة : " أي أمة ، ما  
أشخصك ، وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقالت : أي بني إصلاح بين الناس " (1) .  
فالخطاب الندائي السابق بين القعقاع وأم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، يكشف  
عن معنى تداولي هو الحث على الإصلاح بين الناس ؛ لأنه فضيلة من الفضائل الحسنة التي  
دعا إليها الإسلام . فعائشة تعد نفسها أمّاً ناصحة لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم ، والقعقاع  
هو فرد من أفراد هذا المجتمع . والإصلاح بين الناس له نتائجه الإيجابية على الفرد والمجتمع؛  
ولأن في الإصلاح قوة للمجتمع الإسلامي ونموذجاً يحتذى .

وقد ذكر ابن هشام شاهداً شعرياً واحداً على استخدام حرف النداء " أي " هو قول كثير عزة: (2)

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيَّ عَبْدٍ فِي رَوْثِ الضُّحَى      بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهْنٍ هَدِيلُ

"استعملت "أي" لنداء القريب، وكلمة " عبد " منادى علم مرخم. والأصل " عبدة" (3) .  
استعمل حرف النداء " أي " في نداء العلم المرخم لمعنيين تداوليين هما: التقرب إلى المحبوبة  
والشوق والحنين إليها.

#### • همزة النداء : وصف تداولي

همزة النداء : هي حرف نداء للقريب . وقد عبّر سيبويه عن حقيقة استعمال هذا  
الحرف بقوله: " وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف، ولا يستعملون الألف في هذه  
المواضع التي يمدون فيها" (4) . " وأجمع جمهور النحاة، أيضاً، على أنها لنداء القريب" (5) . وفي

1 - المرجع السابق، 300/1.

2 - انظر: الشاهد ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين  
عبد الحميد، 98/1. مبحث " أي " . وانظر : ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكي درويش ، ص 134 .

3 - بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي . 280/1 .

4 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 230/2 .

- وانظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 233/4.

- وانظر: ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 329/1.

5- انظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 34/3.

- وانظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين  
عبد الحميد، 35/1. مبحث " الهمزة "

الحقيقة فإن النحاة العرب استعملوا هذا الحرف في نداء القريب، لأنه "حرف مجهور شديد"<sup>(1)</sup>.  
تناسب جهريته وشدته مقام مناداة القريب.

وفي وصف هذا الحرف، وبيان استعماله، قال المرادي: "وأما همزة النداء فهي حرف مختص بالاسم، كسائر أحرف النداء، ولا ينادى بها إلا القريب. مسافةً وحكماً، كقول امرئ القيس:<sup>(2)</sup>

وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

أَفَاطِمَ، مَهْلًا، بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّلِ

في البيت السابق استعملت "الهمزة" في مناداة القريب. فمحبوبة الشاعر في الواقع بعيدة عنه؛ لكنها قريبة من نفسه. لذا فقد استعمل الشاعر في نداءها همزة القريب. فمقام النداء يكشف عن معنى تداولي هو تدلل المحبوبة على حبيبها. وهذا التصرف لا يكون إلا بين الأحبة.  
يكثر استعمال هذا الحرف في مقام القرب النفسي. فالنداء بالهمزة خطاب نفسي خاص لا يكون إلا من أب إلى ابنه أو ابنته أو من الشاعر إلى محبوبته أو من شاعر مادح إلى ممدوحه.

وفي شاهد شعري آخر، يقول الحادرة:<sup>(3)</sup>

رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعٍ

أَسْمِيَّ وَيَحْكُ هَلْ سَمِعْتِ بَغْدَرَةَ

مقام النداء في هذا البيت مقام خاص فهو نداء من الشاعر إلى محبوبته البعيدة عنه. لكنه يفترض قربها؛ فاستعمل أداة نداء القريب. فالنداء في هذا المقام يكشف عن شعور نفسي ذاتي عند الشاعر (المنادي)، فهو يمدح نفسه ويمجدها وينكر أن يُوصَفَ بالغدرة. فمقام النداء يكشف عن معنى تداولي عميق هو افتخار الشاعر بنفسه وتمجيدها، فأخلاقه حسنة وصفاته نبيلة.

<sup>1</sup> - انظر: سيوييه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 4/434.

<sup>2</sup> - المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني. ص 35.

- وانظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 1/35. وانظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 12. ويقرأ المنادي المرخم "فاطم" بالضم والفتح.

<sup>3</sup> - الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 45. وانظر: ديوان شعر الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد، ص 310.

ويمكن القول أن في استعمال همزة النداء في هذا البيت معنى تداولي آخر يتمثل في التقرب من المحبوبة والتذلل إليها، وأسهم في إظهار هذا المعنى ترخيم المنادى العلم (سمية) .

يُسْتَنْتَج مما سبق، أن همزة النداء استعملت بكثرة في الشعر في مقام مناداة القريب. ولمناداة القريب بهذا الحرف " الهمزة" معانٍ تداولية كثيرة يكشفها المقام ويجليها الاستعمال. من هذه المعاني التحبب والتقرب وإظهار الحزن وبث الشكوى والاسترحام والتأدب في مخاطبة الأب أو الابن أو المحبوبة إلى غير ذلك من المعاني. ولم يُستعمل هذا الحرف في النداء الوارد في القرآن الكريم.

#### • حرف النداء " وا " : وصف تداولي

من حروف النداء التي استعملها العرب في مقام معين حرف النداء "وا" : وهو حرف نداء مختص بباب الندية، فلا ينادى به إلاّ المندوب<sup>(1)</sup>. ويقول سيبويه في وصف هذا الاختصاص : "واعلم أنّ المندوب لا بد له من أن يكون قبل اسمه "يا" أو "وا" ، كما لزم " يا " المستغاث به والمتعجب منه"<sup>(2)</sup>. وأجاز بعضهم استعماله في النداء الحقيقي"<sup>(3)</sup>. واختلف في " وا" فقيل: هي أصل برأسه. وهو الصحيح. وقيل: هي فرع"يا" ، وواوها بدل عن الياء. وهو قول ضعيف ، لا دليل عليه. ولـ "وا" قسم آخر ، وهو أن تكون اسم فعل ، بمعنى التعجب والاستحسان. "كقول عمر بن الخطاب لعمر بن العاص:" وا عجباً لك يا ابن العاص"<sup>(4)</sup>.

ويمكن القول أن قول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، يكشف عن بعض المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء بهذا الحرف منها التعجب والاستحسان وإظهار الاحترام والتشجيع على عمل الخير.

1 - المرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني. ص 351.

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 220/2.

3 - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 32/2.

4 - السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 36/3 .

ويعلل الأنباري اختصاص هذا الحرف بأسلوب الندبة، فيقول: " وإنما زِيدت "وا" أو " يا " في أوله، و " ألف وهاء " في آخره ليمدّ بها الصوت، ليكون المندوب بين صوتين مديدين، وزِيدت الهاء بعد الألف؛ لأن الألف خفيفة، والوقوف عليها يزيدُها خفاءً، فزِيدت الهاء عليها في الوقف، لتظهر الألف بزيادتها بعدها في الوقف"<sup>(1)</sup>.

وفي تعليل آخر يقول السيرافي: " ولما كان المندوب ليس بحيث يسمع احتياج إلى غاية بعد الصوت، فألزموا أوله " يا " أو " وا" وآخره الألف، في الأكثر من الكلام؛ لأن الألف أبعد للصوت ، وأمكن للمد"<sup>(2)</sup>.

ومن الشواهد الشعرية التي قيلت في مقام الندبة، قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:<sup>(3)</sup>

حُمِلتَ أمراً عظيماً، فاصْطَبْرْتَ لَهُ      وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمراً

استعمل الشاعر في هذا المقام حرف النداء " يا " في أسلوب الندبة. فمقام النداء في هذا البيت مقام ندبة. فالشاعر يتحسر على موت عمر بن عبد العزيز ويحزن على فقد الخليفة العادل . فمقام الندبة في هذا الموضع مقام خاص. وينظر دقيق يمكن لنا أن نستبطن بعض المعاني التداولية المتولدة من مقام الندبة وإجمالها بما هو آتٍ.

استعمل حرف النداء " يا" في مقام الندبة؛ لإظهار شدة التفجع والحزن على فقد الخليفة المسلم العادل عمر بن عبد العزيز. فالمد في حرف النداء "يا" يناسب مقام النداء فهو مقام تفجع وتحسر يحتاج إلى مد الصوت وإطالته.

واستعملت ألف الندبة في كلمة ( عمراً ) لإظهار التحسر والتفجع والحزن. ومن مقام الندبة في هذا البيت نستنتج مدحاً لعمر بن عبد العزيز، فهو الحاكم المسلم العادل الذي حكم المسلمين بعدله وتقواه وزهده وصبره.

<sup>1</sup> - الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 243 .

<sup>2</sup> - من تعليقات السيرافي في كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون. هامش (1) ، 220/2 .

<sup>3</sup> - انظر: الشاهد في ابن هشام، عبد الله جمال الدين. قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ص242 وهو للشاعر جرير من قصيدة له يرثي بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وانظر: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 326/1.

وعليه، فإن الحكم في الإسلام يتطلب عدل الحاكم المسلم وتقوى الله تعالى وتطبيق

شرعه في جميع جوانب الحياة .

وَسَيُفَصِّلُ الْقَوْلُ فِي بَابِ النَّدْبَةِ وَحَرْفِهَا فِي الْجُزْءِ الْمَخْصُصِ لَهُ .

#### • حرف النداء " آ " : وصف تداولي

من حروف النداء التي اختلف النحاة في تحديد مقام استعمالها الهمزة الممدودة فهي "حرف لنداء البعيد، وهو مسموع، لم يذكره سيبويه، وذكره غيره<sup>(1)</sup>". "وحكاه الأخفش، والكوفيون. وزعم ابن عصفور أنه للقريب، كالهزمة. وذكر غيره أنه للبعيد. وهو الصحيح؛ لأن سيبويه ذكر رواية عن العرب أن الهمزة للقريب، وما سواها للبعيد"<sup>(2)</sup> .

والراجح في القول، أن العرب استخدموا هذا الحرف لمناداة البعيد "لسهولة مد

الصوت؛ لأن الصوت الممدود يناسب مقام المنادى البعيد"<sup>(3)</sup>.

لم يرد استعمال هذا الحرف في الشواهد القرآنية وكذلك لم يستعمله العرب في شعرهم

ونثرهم. وقد يكون سبب ذلك، أن العرب استعملوا حرفاً غيره في نداء البعيد، مثل: يا أو أيا أو هيا .

#### • حرف النداء " آي " : وصف تداولي

استعمل العرب حرف النداء " آي " بالمد والسكون في نداء البعيد، وقد حكاه الكوفيون

عن العرب الذين يتقون بعروبتهم وحكاه الكسائي، وقال: "بعضهم يجوز مدّها، إذا بعدت

المسافة. فيكون المد فيها دليلاً على البعد . ولم يذكره سيبويه في باب النداء"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 42/1.

<sup>2</sup> - المرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني. ص 232.

<sup>3</sup> - بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي، 45 / 1.

<sup>4</sup> - انظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 36/3.

- وانظر: المرادي، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني. ص 233.

- انظر: بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي، 45 / 1.

لم يرد استعمال هذا الحرف في الشواهد القرآنية، وكذلك لم يستعمله العرب في شعرهم ونثرهم، وقد يكون سبب ذلك ، أنهم استعملوا حرفاً غيره في نداء البعيد، مثل : يا أو أيا أو هيا .

#### • تداولية حذف حرف النداء:

يُعدُّ بابُ الحذفِ في عربيتنا واحداً من أبواب سعة العربية، ومرونتها في الاستعمال. وهو أيضاً دليلٌ من أدلة فصاحتها. و " ربما يكون الميل إلى السهولة واليسر أحد الأسباب التي تجعل أبناء اللغة يميلون إلى الحذف " (1) .

اهتم أسلافنا من النحاة والبلاغيين ببيان تفصيلات هذا الباب. فقد تحدث ابن جني عن الحذف في باب سمّاه " باب في شجاعة العربية". فقال: " اعلم أنّ معظم ذلك إنما هو الحذف ، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. وبين حقيقة الحذف، فقال: " قد حذف العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته " (2) .

وفصل ابن هشام القول في الحذف، وبين شروطه وذكر جميع مواضعه في الكلام. فالحذف قد يقع في الحرف أو الكلمة أو الجملة، ومن أظهر شروط الحذف عنده وجود دليل حالي أو مقالي (3) .

فدليل الحذف قد يكون حالياً نستدل عليه من مقام الكلام ( المقال)، وظروف أدائه. وقد يكون مقالياً نستدل عليه من قرائن الكلام ( المقال) . والقرائن المقالية نوعان: قرائن معنوية كالإسناد، وقرائن لفظية كالإعراب (4) .

1 - استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 225 .

2- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. 362/2 .

3 - انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

شروط الحذف، 259/2 - 307.

4 - انظر: حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، القرائن. ص 190 .

وعليه، فإن حذف حرف النداء في واقع الاستعمال اللغوي لأسلوب النداء قد يتم للدليلين (الدليل المقالي والحالي). فمثلاً قد يكون الدليل المقالي علامة الإعراب ( ملفوظةً أو مكتوبةً ). وقد يكون التنغيم " فنستغني عن أداة النداء بقريئة قصده ونغمته"<sup>(1)</sup>.  
وأما الدليل الحالي على حذف حرف النداء، فيفهم من مقام النداء (الظروف التي يؤدي فيها النداء). فحذف حرف النداء في جميع الشواهد القرآنية، وشواهد الشعر والنثر قد يقع لمعانٍ تداولية كثيرة يمكن استبطانها بالنظر العميق في مقامات هذه النداءات (ظروف أدائها).  
لقد أشار سيبويه إلى المعنى التداولي المتولد من حذف حرف النداء، بقوله: " وإن شئت حذفتهن كلهن استغناء، كقولك: حار بن كعب، وذلك أنه جعلهم بمنزلة من هو مقبلٌ عليه بحضرته يخاطبه"<sup>(2)</sup>. فحرف النداء قد يحذف للقرب المكاني أو النفسي أو لأي معنى تداولي آخر. فالمعاني التداولية التي يمكن استبطانها من مقامات النداء المختلفة كثيرة؛ لأن مواقف الحياة المرتبطة بالنداء كثيرة ومتعددة.

ولأن مقام النداء مقامٌ تعريفٍ وقصدية موجهة إلى منادى بعينه، فقد أجاز سيبويه حذف حرف النداء مع المنادى المعروف كالعلم والمنادى بـ "أيها" والمنادى المضاف. وشواهد ذلك، قوله تعالى: "يوسف أعرض عن هذا"<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: "سنفرغ لكم أيها الثقلان"<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: "أن أدوا إليّ عباد الله"<sup>(5)</sup>. ومنع حذفه مع المندوب والمستغاث والمتعجب منه والبعيد والنكرة غير المقصودة والمضمر ولفظ الجلالة واسم الإشارة والنكرة المقصودة<sup>(6)</sup>.

1 - المرجع السابق. ص 220 .

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 230/2.

3 - سورة يوسف. من آية ( 29 ) .

4 - سورة الرحمن . آية ( 31 ) .

5 - سورة الدخان . من آية ( 18 ) .

6 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 230/2 ، 231 .

وفي حقيقة الأمر، فإن حذف حرف النداء امتنع في مقامات النداء السابقة؛ لأن مقام النداء في كل منها يحتاج إلى مد الصوت وإطالته، ولا يكون ذلك إلا بحرف النداء. فبالحرف نحقق تعريفية النداء وقصديته الموجهة .

والمتأمل لجميع المواضع التي حُذِفَ فيها حرف النداء يستنتج أمرين :

- 1- أن الأداة التي تُقدَّر عند الحذف هي " يا " فيما ذكر النحاة؛ لأنها أمُّ الباب (1).
  - 2- أن المنادى المعرف كالعلم أو المضاف أو المنادى بـ ( أيُّها ) يحقق قصديته بالتعريف وإن حذفت الأداة منه .
- إن ذكر حرف النداء أو حذفه أمر يتعلق بمقام النداء وحقيقته، وبنوع المنادى المقصود (المطلوب إقباله) . ولا يقع الحذف في أي ضرب من ضروب النداء إلا لمعنى تداولي يمكن استبطانه من مقامه وظروف استعماله.

لقد حذف حرف النداء في نداء المناديات المعارف، كنداء العلم والمضاف ونداء "أيها" وشواهد هذا الحذف كثيرة في القرآن الكريم والشعر والنثر. ومن الشواهد التي حذف فيها حرف النداء، قوله تعالى: " يوسف أعرض عن هذا " (2). حُذِفَ حرف النداء " يا " في نداء يوسف، عليه السلام، لمعانٍ تداولية قد تفهم من مقام ندائه. ويمكن إجمال بعض هذه المعاني بما هو آتٍ: تكريم الله تعالى ليوسف، عليه السلام وتأييده بعصمة الأنبياء والرسل ، فعصمتهم تتنافى مع الوقوع في المعصية. ويتلخص المعنى الثاني في أنّ عزيز مصر يعلم علم اليقين أن يوسف عليه السلام بريء، وهو يأمره بكتّم الأمر وعدم إظهاره لأحد(3). وأما المعنى الأخير فهو تهيئة يوسف عليه السلام لحكم مصر وهي إرادة الله المطلقة، والحاكم المسلم لا يكون إلا شريفاً صادقاً وقُدوةً سالحة.

فذكر حرف النداء أو حذفه يكشف لنا عن المعاني التداولية التي يمكن استبطانها من مقام النداء، لذا فإننا نجد " أن كل نداء، في القرآن الكريم، فيه دعاء للرب قد حذفت منه أداة

<sup>1</sup> - انظر: الميداني، عبد الرحمن . البلاغة العربية : أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، 242/1.

- انظر: هارون، عبد السلام. الأساليب الإنشائية في اللغة العربية. ص 120 .

<sup>2</sup> - سورة يوسف. من آية ( 29 ) .

<sup>3</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. 44/ 2 .

النداء"<sup>(1)</sup>). ولا يكون هذا الحذف إلا لمعانٍ تداولية مستكنة في كل نداء منها. ولا يقتصر معنى الحذف على شدة القرب النفسي بل يمكن أن تتولد معانٍ أخرى تُفهم من مقام النداء وظروف استعماله.

### • المطلب الثالث : وصف أنواع المنادى وأحكامه، والتحليل التداولي له

قسم النحاة العرب المنادى إلى نوعين أساسيين، هما : المنادى المعرب (المنصوب) ويشمل ثلاثة أنواع، هي : المنادى المضاف والشبيه بالمضاف، والنكرة غير المقصودة. وأما النوع الثاني: فهو المنادى المبني، ويشمل نوعين ، هما: المنادى المفرد العلم والمنادى النكرة المقصودة . ويظهر هذا التقسيم جلياً في قول السيوطي: " وإنما يظهر نصب مضاف وشبهه، ونكرة لم تقصد. ويبنى على ما يرفع به لفظاً أو تقديرًا علم مفرد، ونكرة مقصودة"<sup>(2)</sup>.

يظهر من التقسيم السابق للمنادى - عند النحاة العرب - أنهم جهدوا أنفسهم في إرساء أصول هذا الباب وقواعده، وبيان شروطه وضوابطه. ولعلمهم انطلقوا في ذلك من نزعتهم المعيارية في وضع قواعد العربية المتمثلة في معرفة العامل النحوي وبيان أثره في توجيه الإعراب، ومعرفة العلة النحوية وبيان أثرها في تعديد أبواب النحو المختلفة.

وعليه، فإن للحركة الإعرابية التي وضعها النحاة العرب لكل نوع من أنواع المنادى دلالات معينة ترتبط بنوع المنادى المقصود. ويمكن ملاحظة هذا الأمر في كل نوع من أنواع المنادى التي نظرت لها النحاة العرب. فقد وضعوا الفتحة للمنادى المضاف، والتنوين (تنوين الفتح) للمنادى الشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة. وجعلوا المنادى في الأنواع السابقة معرباً. ووضعوا الضم ( علامة بناء) للمنادى العلم والنكرة المقصودة وجعلوه فيهما مبنيًا<sup>(3)</sup>.

وبالاعتماد على ما قالوه، يمكن لنا أن نقف على حقيقة البعد التداولي في كل نوع من أنواع المنادى. يظهر البعد التداولي في كل فرع من أنواع المنادى في أمرين: العلامة الإعرابية. ونوع المنادى ( تسميته ). وسيحلل كل نوع من أنواع المنادى تحليلاً تداولياً وذلك

1 - الميداني، عبد الرحمن . البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها ، 242/1 .  
2 - السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 37/3 .  
3 - انظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 37/3 .  
38 .

بالنظر في العلامة الإعرابية لكل منادى ومعرفة دلالات استخدام هذه العلامة وسبب اختيارها، وتعليل تسمية كل نوع من أنواع المنادى. ويسهم هذان الأمران في إظهار تداولية كل نوع من أنواع المنادى؛ فبهما وبالمواقف المرتبطة بهما يمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية في استعمالات كل نوع من أنواع المنادى.

#### • المنادى المضاف:

يُعدُّ المنادى المضاف أصلَ الوضع لباب النداء وأنواعه. يقول سيبويه: "اعلم أنَّ النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره"<sup>(1)</sup>. ويقول ابن يعيش: "فأما المضاف فهو منصوب على أصل النداء الذي يجب فيه النصب"<sup>(2)</sup>. ويعلل الأنباري نصب المنادى المضاف، فيقول: "لأنَّ الأصل في كل منادى أن يكون منصوباً؛ لأنه مفعول"<sup>(3)</sup>. يتضح مما سبق، أنَّ النحاة العرب جعلوا المنادى المضاف منصوباً؛ لأنهم حملوه على المفعول به. والمنادى المضاف معرفة؛ لأنَّ مقام النداء مقامُ تعريفٍ وقصدية موجهة، فلا يجوز نداء النكرات (المبهمات).

فالمنادى المضاف يكتسب معرفته من إضافته إلى اسم معرفة، فنقول في المعرفة: يا عبد الله أقبل، ويا غلام زيد افعل"<sup>(4)</sup>. وقد يكتسب معرفته من إضافته إلى اسم نكرة، فنقول في النكرة: يا عبد امرأة تعال، ويا رجل سوء تَبْ"<sup>(5)</sup>.

تكشف الأمثلة السابقة عن حقيقة الإضافة في العربية فهي عند النحاة العرب نوعان: إضافة معنوية (محضة) وتكون هذه الإضافة للتعريف إن كان المضاف إليه معرفة، نحو "هذا غلام زيد". وتكون للتحديد إن كان المضاف إليه نكرة، نحو "هذا غلام امرأة". أما النوع الثاني، فهو الإضافة اللفظية (غير المحضة)، نحو: يا باغي الخير، أقبل"<sup>(6)</sup>.

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/182.

2 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 1/317.

3 - الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 226.

4 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 1/317.

5 - المرجع السابق. 1/317.

6 - انظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 2/43.

تشير التقسيمات السابقة للإضافة عند النحاة العرب إلى المعاني النحوية التي استنتجوها من الإضافة. وفي واقع الاستعمال اللغوي للمنادى المضاف يمكن لنا أن نستنتج معاني تداولية أخرى يقتضيها مقامه وظروف استعماله. وقد تظهر هذه المعاني من خلال قراءة دلالة الفتحة في المضاف، ودلالة الكسرة في المضاف إليه<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن التحليل التداولي للمنادى المضاف سيضمحل العلامة الإعرابية: فتحة المضاف وكسرة المضاف إليه، ونوع الإضافة مع الأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يستعمل فيه هذا النوع من النداء. ولحرف النداء المستخدم في هذا المنادى دلالة نحوية تداولية تسهم في فهم تداولية هذا المنادى.

#### • تداولية المنادى المضاف:

جعل النحاة العرب المنادى المضاف منصوباً بالفتحة، لأنهم حملوه على المفعول به. فالمنادى المضاف المنصوب في نظرهم مفعول به لفعل محذوف وجوباً؛ لذا فقد تشابه المنادى المضاف والمفعول في العلامة الإعرابية ( الفتحة)؛ لأن كليهما وقع الحدث عليه. فالفتحة في المنادى المضاف لها دلالة الحدث على المعين به، " ونقصد بذلك أن الفتحة تأتي لبيان المعين بالحدث، سواء كان هذا المعين ذاتاً أو موضوعاً وقع الحدث عليه"<sup>(2)</sup>. فقد ننادى ذاتاً أو موضوعاً يقع الحدث عليه في مقام معين.

وفي بيان دلالة الكسرة يقول إبراهيم مصطفى: " وأما الكسرة فإنها علم الإضافة"<sup>(3)</sup>. ويمكن القول أن للكسرة معاني أخرى غير الإضافة. بين ذلك أستاذنا استيتية بقوله: " وهذا المعنى، في الحقيقة، معنى نحوي، وليس دلالة لغوية، ولا تداولية. وليست هذه هي الدلالة الوحيدة التي تؤديها الكسرة. فهناك معان تداولية ضمنية تؤديها الإضافة من أظهرها: النسبة وتكون الكسرة مورداً جيداً للتعبير عنها"<sup>(4)</sup>.

1 - انظر: سمير استيتية. علم الأصوات النحوي، دلالات الفتحة ودلالات الكسرة، من ص 378- 379 .

2 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 379 .

3 - مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو. ص 50 .

4 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 378 .

وعليه، فإن للإضافة في واقع استعمالها في المنادى المضاف معاني تداولية قد تستبطن من مقام النداء. فالإضافة تسهم بشكل كبير في إظهار المعنى التداولي الذي يمكن استبطنه من مقام نداء المضاف.

استعمل المنادى المضاف في واقع الاستعمال اللغوي استعمالاً كثيراً، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم وفي نثر العرب وشعرهم. ورد ذكر المنادى المضاف في القرآن الكريم. وتشير شواهد في القرآن الكريم إلى استعماله مضافاً إلى الاسم الظاهر في بعضها، ومضافاً إلى الضمير في بعضها الآخر. ويمكن القول أن كل استعمال من هذه الاستعمالات يشير إلى مقام خاص في النداء. ومن هذه الشواهد قوله تعالى: "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً"<sup>(1)</sup>. في هذه الآية نستطيع قراءة بعض المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء فيها، ففي استعمال المنادى المضاف "أخت" معنى تداولي يتمثل في تكريم مريم عليها السلام فهي شبيهة هارون في الصلاح والعبادة. وهارون رجل من عبّاد بني إسرائيل المجتهدين كانت مريم تشبه به في اجتهادها. وفي إضافة المنادى "أخت" إلى هارون معنى تداولي آخر يتمثل في مدح أهل مريم عليها السلام، فهم بيت طاهر معروف بالعبادة والتقوى والصلاح<sup>(2)</sup>.

ومن أمثلة المنادى المضاف إلى الضمير في القرآن الكريم، قوله تعالى: "ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد"<sup>(3)</sup>. في هذه الآية يمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء فيها.

لقد حُذِفَ حرف النداء من نداء "ربنا" لمعنى تداولي هو شعور المؤمن بقرب الله تعالى منه واستحضاره لعظمته وقدرته. واستعمل المنادى المضاف "رب" لمعنى تداولي هو إقرار المؤمن بعبوديته التامة لله تعالى فهو رب العالمين لا معبود ولا رب غيره. وفي اختيار المضاف إليه (ضمير المتكلمين) معنى تداولي هو تعظيم الله تعالى وتقديسه وتنزيهه فهو الخالق

1 - سورة مريم آية (28) .

2 - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، 197/2.

3 - سورة آل عمران. آية (9).

الواحد القهار. وأما المعنى التداولي المتولد من جملة متم النداء في الآية فهو إيمان الفئة المؤمنة بيوم البعث، وهذا يدل على صدق إيمانهم وتقواهم.

والمتمأمل للشواهد القرآنية التي ورد فيها المنادى مضافاً إلى الضمير يجد أنّ هذا المنادى أُضيف في بعضها إلى ضمير المتكلمين، وفي بعضها الآخر أُضيف إلى ياء المتكلم. وفي الإضافتين يتحقق معنى نسبة الربوبية. وسَيُفصّلُ القول في تداولية هذا المنادى في الفصل التطبيقي من هذه الدراسة.

وورد ذكر المنادى المضاف في نثر العرب وشعرهم. وقد استعملوه في مقامات معينة. ويمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية المستكنة في هذه المقامات. ومن الأمثلة على ذلك قول هاشم بن عبد مناف: "يا معشر قريش، أنتم سادة العرب"<sup>(1)</sup>. فمقام المنادى المضاف في هذا القول يكشف عن بعض المعاني التداولية.

ففي استعمال المنادى المضاف "معشر" معنى تداولي يتمثل في تأكيد مفهوم القبلية عند العرب في العصر الجاهلي، ويظهر هذا المعنى بوضوح في نسبة المضاف المنصوب "معشر" إلى المضاف إليه المجرور "قريش". وينكشف في هذا النداء معنى تداولي آخر هو مدح قبيلة قريش وحثها على القيام بالأعمال الحسنة التي تليق بمقامهم فهم أشراف وأسياد لا تصدر عنهم إلا الأعمال الحسنة التي تعلي من شأنهم.

يتضح مما سبق أن العرب استعملوا المنادى المضاف في نثرهم في مقامات معينة. وهذه المقامات تكشف عن معانٍ تداولية فيها.

وإذا ما دققنا النظر في جميع مقامات المنادى المضاف في القرآن الكريم وشعر العرب ونثرهم نجد أنّ كلّ مقام منها يكشف عن معانٍ تداولية مستكنة فيه. ويمكن لنا أن نستبطن هذه المعاني بالرجوع إلى هذا المقام وفهمه، وحتى نفهم هذا المقام يجب علينا أن نستوعب دلالة حرف النداء المستخدم ودلالة الحركة الإعرابية (فتحة المنادى المضاف)، ودلالة الإضافة فيه، وأن نقف على جميع الظروف والملابسات التي تم بها هذا المنادى.

<sup>1</sup> - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 74/1.

## • المنادى الشبيه بالمضاف:

يُعدُّ المنادى الشبيه بالمضاف النوع الثاني من المنادى المعرب (المنصوب). يقول الجرجاني في وصف هذا النوع: "اعلم أنّ ما أشبه المضاف جارٍ على مناهجه في لزوم النصب. وذلك قولك: يا خيراً من زيد، ويا ضارباً رجلاً"<sup>(1)</sup>.

وفي بيان حقيقة الشبه بين المنادى المضاف والمنادى الشبيه بالمضاف، يقول الجرجاني: "والمشابهة من ثلاثة أوجه: أحدها: أنّ الأول عامل في الثاني، ألا ترى أنّ ضارباً قد نصب رجلاً. والوجه الثاني من المشابهة أنّ الثاني من تمام الأول وامتصل به، ألا ترى أنك إذا قلت: يا خيراً، أو يا خيراً من، لم يتم حتى تذكر زيدا، فتقول: من زيد. وكذا، يا ضارباً رجلاً، لأنك لو قلت يا ضارباً، لم يتم الاسم، وكان بمنزلة قولك: يا رجلاً؛ لأنه لا يعلم أيُّ نوع ضرب، ويكون شائعاً. والوجه الثالث: وهو أنّ الأول يتخصص بالثاني كما أنّ المضاف يتخصص بالمضاف إليه. ألا ترى أنك إذا قلت: يا ضارباً صلح أنّ يكون ضرب رجلاً أو امرأةً أو غير ذلك مما يتناول هذا الفعل. فإذا قلت: يا ضارباً رجلاً، خصصته بنوع وأزلت بعض شياعه، كما أنّك إذا قلت: عبداً مرة، خصصت المضاف الذي هو عبد بالمضاف إليه الذي هو مرة"<sup>(2)</sup>.

وإذا ما دققنا النظر في هذين النوعين من المنادى نجد أنّ التشابه بينهما تشابه ظاهري وهما في الحقيقة مختلفان نحويّاً ودلاليّاً وتداوليّاً بسبب اختلاف الحركة الإعرابية لكل منهما. ففتحة المنادى المضاف لها وظيفة نحوية ودلالية وتداولية. وقد فصل القول في ذلك عند الحديث عن نحوية المنادى المضاف وتداوليته.

وعليه فإنّ للتونين في المنادى الشبيه بالمضاف دلالة نحوية وتداولية خاصة.

وسيفصل القول في ذلك عند الحديث عن تداولية هذا المنادى.

<sup>1</sup> - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 781/2 .  
<sup>2</sup> - المرجع السابق. مج 781/2 ، 782 .

## • تداولية المنادى الشبيه بالمضاف:

لـ "تتوين" المنادى الشبيه بالمضاف أيضاً وظيفة نحوية وتداولية. وتحدد وظيفة "التتوين" النحوية في المنادى الشبيه بالمضاف في أن هذا التتوين يعمل "على تحويل المضاف إليه إلى مفعول به عند قطع المنادى عن الإضافة، كما في: يا قارئاً كتابه، فالبنية التقديرية لهذه الجملة على النحو الآتي: يا قارئ كتابه"<sup>(1)</sup>.

ولتوضيح هذه المسألة، يمكن القول أن المنادى الشبيه بالمضاف المشتق (قد يكون اسم فاعل، أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) المنون يعمل عمل الفعل، فينصب الاسم الذي يليه فيحوله من مضاف إليه إلى مفعول به. ومن الأمثلة على ذلك: "يا ضارباً زيدا"، و "يا مضروباً غلامه"، و "يا حسناً وجه الأخ"<sup>(2)</sup>.

وفي حقيقة الأمر، فإن الوظيفة النحوية للتتوين في هذا المنادى تفضي إلى وظائف أخرى دلالية وتداولية يقتضيها السياق والمقام. وليبيان ذلك، نورد مثالين: الأول على المنادى المضاف. والثاني على المنادى الشبيه بالمضاف. فمثال المنادى المضاف، قولنا: يا ضاربَ اليتيم، لك حسابٌ عسيرٌ. ومثال المنادى الشبيه بالمضاف، قولنا: يا ضارباً اليتيم، لا تفعل ذلك.

ففي المثال الأول نُصِبَ المنادى المضاف بالفتحة، وتحققت فيه الوظائف التالية:

- 1- وظيفة نحوية تتمثل في نصب المنادى المضاف وإضافته إلى المضاف إليه المجرور.
- 2- وظيفة دلالية تتمثل في تحقق فعل الضرب وإضافته إلى اليتيم المضروب؛ لأن المضاف "ضارب" قام بفعل الضرب وانتهى منه في الزمن الماضي.

- 3- وظيفة تداولية تتمثل في معاقبة ضارب اليتيم؛ لأنه قام بفعل الضرب وانتهى منه.

وفي المثال الثاني: نُصِبَ المنادى الشبيه بالمضاف بالتتوين، وتحققت فيه الوظائف التالية:

<sup>1</sup> - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 679.

<sup>2</sup> - انظر: هذه الأمثلة في: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 317/1. وانظر: عمل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة في: ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 100، 101/2، 103، 113، 134، 102.

1- وظيفة نحوية تتمثل في نصب المنادى الشبيه بالمضاف وقطعه عن الإضافة؛ على اعتبار أن هذا المنادى عَمَلَ عَمَلِ الفعل فنصب المضاف إليه وحوله إلى مفعول به. فالتنوين، في هذا المنادى، قام بوظيفة نحوية هي قطع الإضافة؛ لأن المضاف لا يكون منوناً.

2- وظيفة دلالية تتمثل في أن المنادى الشبيه بالمضاف يتضمن فعلاً دالاً على زمن الاستقبال. فالمنادى (ضارباً) في قولنا: يا ضارباً اليتيم يتضمن فعل الضرب الذي لم يقع.

3- وظيفة تداولية تتمثل في تحذير ضارب اليتيم من أن يقوم بهذا الفعل. وإذا ما عرفنا المقام الخاص للنداء في قولنا: "يا ضارباً اليتيم، لا تفعل ذلك"، فإنه من الممكن أن نستبطن المعاني التداولية الواردة في مقامه. ومن هذه المعاني، على سبيل الافتراض، الاسترحام، الاستعطاف، الشكوى والتظلم، طلب العون والمساعدة... الخ.

وفي واقع الاستعمال اللغوي لهذا النوع من المنادى؛ فإنه لم يرد في القرآن الكريم، وقد يكون سبب ذلك، أن هذا النوع من النداء لا يلبي المقاصد والأغراض التي تهدف إليها الشريعة الإسلامية. بمعنى آخر أن المعاني التداولية التي قد تستنبط من مقاصد الشريعة تتطلب نوعاً من النداء المباشر كالمنادى المضاف والمنادى العلم. لذا فإن جُلَّ شواهد النداء في القرآن الكريم هي من نوع المنادى المضاف والمنادى العلم والمنادى بـ "أبيها" أو "أيتها".

أما شواهد هذا المنادى في نثر العرب وشعرهم فهي قليلة جداً، وقد يكون سبب ذلك، أيضاً، أن العرب استخدموا في كلامهم المنادى الذي يلبي أغراضهم ومقاصدهم في جميع جوانب الحياة. لذا فقد أكثر العرب من استخدام المنادى المضاف والمنادى العلم، لأن النداء في أصل وضعه يمثل أسلوباً لغوياً عملياً يستخدمه أبناء اللغة الواحدة رغبةً في تحقيق أغراضهم ومقاصدهم الحياتية.

ومن شواهد هذا المنادى، قول الشاعر: (1).

أيا مُوقِداً ناراً لغيرِكِ ضَوْوُها      ويا حاطِباً في غيرِ حَبِّكَ تَحْطِبُ

<sup>1</sup> - انظر: الشاهد في: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 37/3. والشاهد بلا نسبة. انظر: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 68/1.

يظهر البعد التداولي للمنادى الشبيه بالمضاف " موقداً " في استعمال التتوين. فالتتوين معنى تداولي يتمثل في تحذير الإنسان من القيام بعمل تكون ثمرته لغيره، وحثه على القيام بالعمل النافع له لا لغيره.

فالمنادى الشبيه بالمضاف " موقداً " قطع عن الإضافة بسبب التتوين، ودلّ على فعل استقبال تقديره : سيوقد. فالمنادي يخاطب الإنسان الذي يكون عمله لغيره ( موقد النار على سبيل المجاز) في مقام تحذيره وتنبئيه من هذا الأمر. وفي ذكر حرفي النداء ( أيا ، يا ) في هذا البيت أيضاً معنى تداولي يتمثل في تنبيه المخاطب وتحذيره من أن يفعل ذلك. وناسب استعمال هذين الحرفين ( أيا ، يا ) غفلة المخاطب ( المنادى ) وتهاونه.

#### • النكرة غير المقصودة:

هي النوع الثالث من المنادى المعرب المنسوب. وهي، في الحقيقة، منادى مفرد. فهي ليست مضافاً أو شبيهاً بالمضاف؛ لكنّ سببويه جعلها منصوبة كالمنادى المضاف والشبيه بالمضاف لعله الطول؛ يقول في بيان ذلك: " وكذلك نداء النكرة لما لحقها التتوين وطالت، صارت بمنزلة المضاف"<sup>(1)</sup>. وعلل ابن السراج إعرابها بقوله: " وإنما أعربت النكرة ولم تبين؛ لأنها لم تخرج عن بابها إلى غير بابها كما خرجت المعرفة"<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق، أن النحاة العرب جعلوا النكرة غير المقصودة معربة منصوبة، وجعلوا التتوين علامة إعرابها؛ لأنّ " التتوين يدل على التثنية وهو علامته"<sup>(3)</sup>.

#### • تداولية النكرة غير المقصودة:

لا يعني نصب النكرة غير المقصودة بالتتوين إبهامها وغموضها. فهي نداء يتضمن خطاباً موجهاً، لكنه غير مقصود. بمعنى أن نداءها لا يُقصدُ به محدد ( معين ). فالخطاب فيها موجّه إلى عموم المنادى لا خاصته. ويدل على ذلك قول الجرجاني: " فالنكرة جارية على أصل

<sup>1</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/199.

<sup>2</sup> - ابن السراج، محمد بن سهل . الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، 1/332.

<sup>3</sup> - مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو . ص 61 ، ص 63 .

النداء، لأنها منصوبة البتة كقولك: يا رجلاً خذ بيدي لا تريد رجلاً مخصوصاً، وإنما القصد واحداً من هذا النوع. فكل مَنْ أجابك من الأمة فذاك مقصودك" (1).

نستنتج مما سبق أنّ مقامَ النداء مقامُ تعريفٍ وقصديّة. فالنداء خطابٌ موجّه إلى مقصود (مُعَيَّن) في مقام خاص به. وما النكرة غير المقصودة إلا وجه تداولي من وجوه النداء التداولية المتعددة المتمثلة في ضروبه المتعددة والمختلفة .

ومما يدل على تداولية النكرة غير المقصودة تأكيد النحاة على خطابية هذه النكرة وقصديتها، وإن كانت عامة غير معينة، وقد صرّحوا بذلك، " فذهب الأصمعي إلى منع نداء النكرة مطلقاً. وذهب المازني إلى أنه لا يتصور أن يوجد في النداء نكرة غير مقبل عليها، وأن ما جاء منوناً، فإنما لحقه التثوين ضرورة" (2) .

وفي واقع الاستعمال اللغوي لنداء النكرة غير المقصودة، نجد أن هذا النوع لم يرد في شواهد النداء في القرآن الكريم؛ لأن مقامات النداء في القرآن الكريم لا تتسجم مع حقيقة هذا النوع وأصل استعماله. فهي مقامات تتطلب استعمال نداء المعارف والأعلام؛ لذا فقد كثر استعمال نداء المعارف والأعلام فيها.

وأما شواهد في نثر العرب وشعرهم فإنها قليلة جداً، فقد استعمل هذا النوع من النداء في أبيات معدودة من شعر العرب، نذكر منها قول عبد يغوث الحارثي: (3)

فيا ركباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْ  
نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

استعمل الشاعر نداء النكرة غير المقصودة (راكباً) في مقام خاص يتعلق بالشاعر. فقد قاله حين جهزه بنو تميم للقتل. ويمكن لنا أن نجمل بعض المعاني التداولية من مقام هذا البيت بما هو آتٍ :

1- الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 2/754.  
2- السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 3/39.  
3- الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 156. والبيت من شواهد الكتاب لسبويه. 200/2. وانظر: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1080/2 .

استعمل حرف النداء "يا" في هذا البيت لمعنى تداولي هو إحساس الشاعر العميق ببعده عن أهله وعشيرته، فهو يتحسر ويتألم بسبب هذا البعد ويلوم أهله وعشيرته؛ لأنهم لم يهبوا لنجدته وفك أسره.

ويُلمح من مقام النداء في هذا البيت معنى تداولي آخر يتمثل في مدح الشاعر لنفسه، فهو بطل شجاع مغوار لا يفر من المعركة وسيواجه مصيره بكل قوة واقتدار. وللتنوين في المنادى (راكباً) بعد تداولي يكشف عن نفسية الشاعر المتألّمة الحزينة بسبب الأسر، فهو يلتمس ركباً من الركبان يطلب منه أن يبلغ خبره لأهله؛ لأنه كان يعلم علم اليقين أنه سيموت. وأخيراً، يمكننا القول أن للتنوين في النكرة غير المقصودة دلالة الإيهام بمعنى أن المنادى النكرة غير المقصودة يدل على عموم لفظ المنادى لا على خاصته. لذا، فهو منادى غير معين (غير مقصود) (1).

#### • النكرة المقصودة:

يُعدُّ نداء النكرة المقصودة واحداً من ضربَي المنادى المفرد المُعرّف المبني. وفي وصف هذين الضربين، يقول ابن يعيش: "وأما انتصابه محلاً فإذا كان المنادى مفرداً معرفة؛ فإنه يبنى على الضم، ويكون موضعه نصباً، وذلك على ضربين: أحدهما ما كان معرفة قبل النداء، والثاني ما كان متعرفاً في النداء، ولم يكن قبل ذلك، وذلك، نحو "يا زيدُ" و "يا رجلُ". فـ "رجلُ" نكرة في الأصل، وإنما صار معرفة في النداء. وذلك أنك لما قصدت قصده، وأقبلت عليه، صار معرفة، باختصاصك إيّاه بالخطاب دون غيره" (2).

وفي بيان تعريف النكرة المقصودة، يقول ابن جني: "والثاني ما كان نكرة ثم نودي فحدث فيه التعريف بحرف الإشارة والقصد، نحو: يا رجلُ" (3). ويضيف الجرجاني، مبيناً سبب تعريف النكرة المقصودة، فيقول: "وسبب التعريف في "رجلُ" أنك أقبلت على واحد من الجنس

1 - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 689.

2 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 319/1.

3 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 106.

وخصسته بالنداء فجرى مجرى أن تقول: الرجل، فتأتي بلام التعريف، وتقصر الاسم على واحد من الجنس بعينه<sup>(1)</sup>.

يُستنتجُ مما سبق، أن النحاة العرب أنزلوا النكرة المقصودة منزلة المنادى العلم في التعريف والبناء، ويظهر ذلك في وصفهم لهذين المناديين. يقول سيبويه: " والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"<sup>(2)</sup>.

#### • تداولية النكرة المقصودة:

جعل النحاة العرب النكرة المقصودة مُعرّفة بالنداء والقصدية؛ لأن النداء خطاب موجّه لمعيّن (مقصود لذاته). " والقصد توجه بليغ في إخراج الكلمة من التكرير إلى التعريف"<sup>(3)</sup>.  
تكشف قصدية نداء النكرة المقصودة عن الوجه التداولي فيه، ولا تتحقق هذه القصدية إلا باستعمال هذا النداء في مواقف الحياة المتعددة. وعليه، فإن تداولية النكرة المقصودة لا تظهر بوضوح إلا بربط استعمالات هذا النداء المتعددة بمقاماتها المتعددة والمختلفة.  
وتسهم ضمة المنادى النكرة المقصودة في إبراز البعد التداولي فيه. فلهذه العلامة " الدلالة على التقريب، والمقصود بالتقريب أنك تدني إليك مَنْ تخاطبه، سواء أكان قريباً في المكان منك أم بعيداً. إن وجود الضمة متأت من كونك قد منحت هذا المنادى قرباً منك. وهذه الدلالة تداولية لا يحملها اللفظ نفسه. فالتقريب إذن هو ما تفضي به من نفسك إلى الآخر، لا ما يفضي به إليك المكان فقط"<sup>(4)</sup>.

ويمكن لنا أن نعتمد على تداولية ضمة المنادى النكرة المقصودة في إظهار المعاني التداولية الأخرى التي قد تتولد من استعمال هذا المنادى في مقامات كثيرة ومختلفة .

<sup>1</sup> - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 2/755.

<sup>2</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/182.

<sup>3</sup> - استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 678.

<sup>4</sup> - المرجع السابق. ص 377، ص 378 بتصرف .

ولأن مقام النداء مقام تعريف وقصدية، فقد أُسْتُعْمِلَ المنادى النكرة المقصودة مرادفاً لاستعمال المنادى العلم؛ لأن كليهما معرف. وتظهر حقيقة هذا الاستخدام في شواهد هذا المنادى في القرآن الكريم، وفي شواهده في نثر العرب وشعرهم .

ومن شواهد هذا المنادى في القرآن الكريم، قوله تعالى: "ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبالُ أوبي معه والطير وألنا له الحديد"<sup>(1)</sup>. في الآية السابقة دلالة تداولية أدتها ضمة المنادى النكرة المقصودة (جبال) هي تقريب الجبال من نفس سيدنا داود وتسخيرها له لأن تكون شريكته في التسبيح وشكر الله تعالى. فهي مدعوة بأمر الله تعالى وقدرته إلى هذا الأمر. ويمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية المتولدة من الدلالة التداولية السابقة، وإجمالها بما هو آتٍ:

وهب الله تعالى داود عليه السلام النبوة والزبور، وسخر له الكائنات من جمادات وحيوانات وطوعها لخدمته، وجعلها شريكته في التسبيح والعبادة وشكر الله تعالى<sup>(2)</sup>.

ولاستعمال حرف النداء "يا" في مقام الآية معنى تدولي يتمثل في إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في تسخير المخلوقات وتطويعها. فقد سخرها رب العالمين وطوعها لخدمة داود عليه السلام، وهذا يدل على منتهى التكريم الإلهي الذي وهبه الله تعالى له.

وأما عن واقع استعمال هذا المنادى في نثر العرب، فقد استعملوه في كلامهم في مقام مناداة النكرة المقصودة وإنزالها منزلة العلم المعرف المقصود بالنداء. ومن الشواهد على ذلك قول عمر بن عبد العزيز لغلام من وفد الحجاز: "مهلاً يا غلامُ ليتكلم مَنْ هو أَسْنُ منك". ثم قوله له: عظنا يا غلامُ وأوجز"<sup>(3)</sup>.

فمقام مناداة النكرة المقصودة ( غلامُ ) في المرتين يدل على إنزال هذه النكرة منزلة العلم المعرف ومخاطبته بدلالة القرب النفسي منه؛ وهي دلالة تداولية قامت بها ضمة هذا المنادى. ويمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية المتولدة من هذه الدلالة، وإجمالها بما هو آتٍ:

1 - سورة سبأ ، آية ( 10 ) .

2 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 501/2 .

3 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 419/2.

لقد نادى عمر بن عبدالعزيز الغلام في المرة الأولى مناداة تدل على تقريبيه الغلام من نفسه والتحبب إليه، وقد أظهر هذا المعنى استعمال ( وضع ) ضمة المنادى (الغلام)، وقد أفضى هذا التقريب إلى معنى تداولي آخر يتمثل في نصح الغلام وإرشاده إلى الصواب، فعمر بن عبدالعزيز يطلب من الغلام احترام الكبير والسماح له بالكلام قبله. لذا فالأمر في جملة متمم النداء ( ليتكلم ) يتضمن معنى النصح والإرشاد.

ويكشف نداء الغلام في المرة الثانية عن معنى تداولي آخر يتمثل في إعجاب عمر بن عبدالعزيز بالغلام واستحسان رأيه وقبول موعظته، فهو يطلب من الغلام ( يأمره ) بالموعظة وإبداء الرأي إعجاباً بذكائه واستحساناً لرأيه.

ويظهر البعد التداولي لهذا المنادى في استعماله في الأمثال العربية؛ لأن العرب في الأصل لم يقولوا هذه الأمثال إلا في مقامات معينة فرضتها ظروف الحياة ومواقفها. ومن ذلك قول العرب: يا طبيب طب لنفسك<sup>(1)</sup>. ويضرب هذا المثل لمن يدعي علماً لا يحسنه. ويمكن القول أن هذا المثل في أصل وضعه وُضِعَ ليدل في فكرته على واقع الموقف الذي قيل فيه. فتداولية المثل نابعة من أصل وضعه. وتتجدد هذه التداولية في استعمال المثل نفسه في موقف مشابه للموقف الذي قيل فيه أصلاً .

وعليه، فإن للمثل معنى تداولياً هو مطابقة فكرة المثل لواقع الموقف المرتبط به. ولا تتوقف تداولية المثل عند هذا الحد بل قد تتولد من استعمال هذا المثل في مقام معين أو موقف ما معانٍ تداولية كثيرة، منها المدح أو الذم أو السخرية أو التحريض أو التشجيع أو التحقير ... الخ. ولاستعمال هذا المنادى في الشعر، أيضاً، وجه تداولي يكشف عنه مقامه. فقد استعمل الشعراء العرب هذا النوع من المنادى في شعرهم في مقامات متعددة ومختلفة. فمن المعاني

<sup>1</sup> - الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. 514/3. مثل رقم 4639.

التداولية التي يمكن استبطانها من مقامات هذا النداء: التقرب إلى المنادى ومدحه أو ذمه ومناجاة الطبيعة ووصف مظاهرها والتأدب في مخاطبة المنادى وإظهار الاهتمام به وتسخير المنادى وتطويعه واستمالته إلى جانب المتكلم وغيرها الكثير من المعاني التي قد تفهم من مقامات هذا النداء وظروف استعماله.

#### • المنادى العلم :

يُعدُّ المنادى العلم واحداً من ضربى المنادى المفرد المعرّف المبني. وقد وصفه النحاة العرب بقولهم: " والمعرفة أيضاً على ضربين: أحدهما ما كان معرفة قبل النداء، نحو يا زيد، ويا عمرو" (1).

وباب المنادى العلم باب واسع فهو " يشمل العلم المفرد الحقيقي، بنوعيه المذكر والمؤنث، كما يشمل مثناه، وجمعه، ويشمل كذلك الأعلام المركبة، سواء أكان تركيبها مزجياً، كـ "سيبويه" أم إسناداً كـ " نصر الله " أم عددياً كـ " خمسة عشر " : فكل هذه الأعلام وأشباهها تسمى مفردة في هذا الباب" (2).

والمنادى العلم من أكثر المناديات استعمالاً؛ لأن مقام النداء يتطلب مخاطبة المعرّف لا المبهم. لذا فقد ورد استعمال المنادى العلم في القرآن الكريم، وفي نثر العرب وشعرهم.

#### • تداولية المنادى العلم:

لبيان حقيقة تداولية هذا النوع من النداء، يمكن القول أنّ لضمّة هذا النداء دوراً مهماً في إبراز تداوليته في واقع الاستعمال اللغوي له. " فدلالة الضمة في المنادى العلم الدلالة على التقريب. والمقصود بالتقريب أنك تدني إليك من تخاطبه، سواء أكان قريباً في المكان منك أم بعيداً. إنّ وجود الضمة متأت من كونك قد منحت المنادى العلم قرباً منك. وهذه الدلالة تداولية لا

<sup>1</sup> - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 106.

<sup>2</sup> - السامرائي، إبراهيم عبود. الأساليب الإنشائية في العربية: النمط والاستعمال، ص 68.

يحملها اللفظ نفسه، فالتقريب إذن هو ما تفضي به من نفسك إلى الآخر، لا ما يفضي به إليك المكان فقط" (1).

تَمَثَّل نداء المنادى العلم في القرآن الكريم في مناداة الأنبياء والرسل. " لقد نادى الله تعالى جميع أنبيائه بأسمائهم، إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد دعاه بـ " يا أيها النبي"، ولا شك أن في خطاب الله سبحانه وتعالى لأنبيائه بأسمائهم إكراماً عظيماً لهم، وتخليداً لهم في رسالة سماوية" (2). وذلك نحو قوله تعالى: " وقلنا يا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة" (3). للضمة في المنادى العلم ( آدمُ ) دلالة التقريب، وهي دلالة تداولية تتضمن تقريب الله تعالى سيدنا آدم وتكريمه. وهذا التقريب يتضمن معاني تداولية متولدة يمكن استبطانها من مقام هذه الآية وما يسبقها من آيات، وتتمثل هذه المعاني بما هو آت:

سُبق أسلوب النداء في هذه الآية بفعل الأمر المسند إلى "نا" المتكلمين (قلنا)، ولهذا السبق معنى تداولي يتمثل في إظهار قدرة الله المطلقة في تكريم آدم عليه السلام، فقد جعله الله تعالى خليفةً في الأرض وخصه بالمعرفة التامة دون الملائكة وأمرهم بالسجود له وهو سجدوا تكريم لا سجود عبادة وأسكنه وزوجه الجنة وسخر لهما ما فيها من خيرات.

ولاستعمال حرف النداء "يا" في الآية معنى تداولي آخر يتمثل في إعلاء شأن المولى عز وجل وتقديسه وتحميده فهو الأمر النهائي، فقد أمر آدم عليه السلام بأن يسكن وزوجه الجنة. فالخطاب في الآية ( الأمر ) يكشف عن خطاب قدرة مطلقة ومشيدة نافذة.

وفي إسناد الفعل " قلنا" إلى ضمير المتكلمين "نا" في الآية معنى تداولي يتمثل في تعظيم الخالق وإعلاء شأنه وتنزيهه. فضمير المتكلمين "نا" يكشف عن صفاته المقدسة وأسمائه الحسنى ويدل على مطلق قدرته التي لا حد لها.

وَسَيُفَصِّلُ الْقَوْلَ فِي تَدَاوُلِيَّةِ نَدَاءِ الْأَعْلَامِ فِي شَوَاهِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْفَصْلِ التَّطْبِيقِيِّ

من هذه الدراسة.

1 - استنبطية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 377 ، ص 378 .

2 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 85.

3 - سورة البقرة . من آية ( 35 ) .

واستعمل المنادى العلم في الشعر العربي بكثرة، فقد نادى شعراء العربية هذا المنادى

مرخماً وغير مرخم. ومن شواهد المنادى العلم المفرد المرخم، قول الحادرة: (1)

أَسْمِيَّ وَيَحْكُ هَلْ سَمِعْتَ بِغُدْرَةٍ رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعٍ

موضع الشاهد "سُمِّيَّ" وهو منادى علم مرخم لـ "سمية"، وهمزة القطع (أ) حرف

نداء للقريب. وقد استعمله الشاعر في مقام القرب النفسي. فالشاعر نادى محبوبته على اعتبار

أنها قريبة من نفسه. نادى الشاعر محبوبته (سمية) في مقام الفخر. فالشاعر يفتخر بنفسه

وبقبيلته، فهم أهل وفاء وعهد لا يغدرون. ويتولد من مقام الفخر في هذا البيت معنى تداولي آخر

يتمثل في تقرب الشاعر من محبوبته وتذللها إليها وقد أسهم في إظهار هذا المعنى استعمالان هما:

همزة النداء وترخيم المنادى (سمية).

وَسَيُفَصِّلُ الْقَوْلَ فِي تَدَاوِلِيَةِ الْأَعْلَامِ الْمَرْخَمَةِ فِي مَطْلَبِ تَدَاوِلِيَةِ التَّرْخِيمِ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

واستعمل المنادى العلم في النثر. ومن شواهد في النثر، قول عبدالله بن عمر لمعاوية

بن أبي سفيان: "يا معاوية لقد كان قبلك خلفاء، وكان لهم بنون، ليس ابنك بخير من أبنائهم" (2).

موضع الشاهد في القول السابق: معاوية. وقد استعمل في مقام تنبيه الإمام المسلم إلى وجوب

العدل في الحكم. ومن هذا المقام تتولد معانٍ تداولية أخرى يمكن إجمالها بما هو آتٍ:

أُسْتُعْمِلَ حَرْفُ النِّدَاءِ "يَا" فِي هَذَا الْقَوْلِ لِمَعْنَى تَدَاوِلِيَةِ هُوَ تَنْبِيْهُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ

وتحذيره من مغبة ظلم الرعية. ولضمة المنادى العلم (معاوية) في هذا القول أيضاً معنى تداولي

آخر يتمثل في تقريب المنادى (معاوية) من نفس المتكلم (عبدالله بن عمر)، فعبدالله بن عمر

يريد أن ينصح معاوية بن أبي سفيان ويرشده إلى الصواب؛ لأنه حريص على مصلحة الطرفين

(الحاكم والرعية المسلمة)، ولأنه يعلم علم اليقين أن العدل أساس الحكم فبه يسود الحاكم وتسعد

الرعية.

1 - الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 45. وانظر: ديوان

شعر الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد، ص 310 .

2 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 257/2.

ومن شواهدة في المثل العربي، قولهم: " هذا أوان الشد فاشتدي زيم"<sup>(1)</sup>. ويضرب للرجل يؤمر بالجد في أمره. وموضع الشاهد في المثل السابق: زيم. وقد استعمل في مقام الحث على القيام بالفعل بجد ونشاط. وحذفت أداة النداء المقدره بـ " يا" في المثل لمعنى تداولي هو تقريب المنادى من نفس المتكلم وحثه على الاجتهاد والجدية في الأمر. و " زيم " اسم فرس. وقد أنزله العرب في هذا المثل منزلة العلم المفرد الذي يخاطب في مقام النداء. ويمكن القول " أن نداء الحيوان بأسماء تعارف عليها العربي يعكس اهتمامهم بالحيوانات، حتى أنه جعل من بعضها صديقاً يخاطبه ويشكوه همومه. ومن ثم كان في خطابه لهذه الحيوانات نوع من الإسقاط لما في نفسه على هذه الحيوانات؛ فيكون بذلك قد جعل الحيوانات رموزاً يعبر بها عن مشاعره إزاء مواقف الحياة "<sup>(2)</sup>.

نخلص إلى القول أن تداولية المنادى العلم تظهر ظهوراً واضحاً في مقام المثل؛ لأن المثل أصلاً لا يقال إلا في مقام يتفق مع فكرته ومضمونه. فتداولية المثل قائمة على استعماله في مقام آخر مشابه لمقامه الأصل الذي قيل فيه. وهذا الأمر ينطبق على جميع الأمثال.

#### • المنادى العلم المضاف المكرر:

قد يرد المنادى العلم المضاف مكرراً، ومثال ذلك، قول جرير:<sup>(3)</sup>

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لَكُمْ

لا يُلقِيَنَّكُمْ في سَوْءَةٍ عُمُرُ

وللنحاة العرب آراء متعددة في إعراب المنادى " تيم ". فقد ذهب سيبويه إلى أن " تيم " الأول مضاف منصوب بالفتحة إلى " عدي " وأن " تيم " الثاني توكيد له، ولا تأثير له في المضاف إليه، يقول سيبويه: " لأنهم قد علموا أنهم لو لم يكرروا الاسم كان الأول نصباً، فلما كرروا الاسم توكيداً تركوا الأول على الذي كان يكون عليه لو لم يكرروا"<sup>(4)</sup>. وللمبرد رأي مشابه لرأي سيبويه فقد ذهب إلى أن " تيم " الأول مضاف إلى اسم محذوف. وأن " تيم " الثاني

<sup>1</sup> - الميداني، عبد الرحمن. مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. 476/3، مثل رقم 4520 .

<sup>2</sup> - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 87.

<sup>3</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 205/2. وانظر: يعقوب، إميل. المعجم

المفصل في شواهد النحو الشعرية، 380/1.

<sup>4</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 206/2.

مضاف إلى الاسم المذكور وتقديره: يا تيم عدي يا تيم عدي (1). "وذهب الفراء إلى أن الاسم الأول والثاني يقصد (تيم تيم) مضافان إلى المذكور (عدي)" (2). وذهب الشنتمري إلى أنهما (تيم تيم) على التركيب، وفتح الأول والثاني بناء لا إعراباً جعلاً اسماً واحداً وأضيفا كما قالوا: "ما فعلت خمسة عشر" (3).

#### • تداولية نصب المنادى العلم المضاف المكرر:

يمكن استجلاء حقيقة تداولية نصب هذا المنادى، وذلك بمعرفة أمرين، هما: معرفة الدلالة النحوية للفتحة في المناديين (تيم تيم). ومعرفة الدلالة التداولية للفتحة في المناديين (تيم تيم). أما دلالة الفتحة في المنادى الأول (تيم) فهي "دلالة الحدث على المعين به" (4)؛ لأن المنادى في تقدير النحاة مفعول به وأما دلالتها في الثاني (المكرر) فهي دلالة التأكيد؛ لأن المنادى الثاني توكيد لفظي للمنادى الأول.

وأما الدلالة التداولية للفتحة في المناديين فتظهر في واقع الاستعمال لهذا الضرب من النداء في مقامات ندائية متعددة ومختلفة. فقد يكرر المنادى العلم (بؤكد) لمعنى تداولي يفرضه المقام. لذا، فإننا عندما نكرر (نؤكد) المنادى العلم المضاف في موقف معين فإن دلالة هذا التكرار (التأكيد) النحوية تفضي إلى دلالة تداولية يستدعيها المقام. ويمكن لنا أن نسمي التوكيد الذي يفرضه المقام التوكيد التداولي (5). فقد يكون التوكيد التداولي لمعان كثيرة يستدعيها المقام كالفخر أو المدح أو الذم أو التحقير... الخ.

وأجاز الخليل رفع المنادى العلم المضاف بقوله: "وإن شئت قلت يا تيم تيم عدي، كقولك: يا تيم أخانا، لأنك تقول هذا تيم تيم عدي، والرفع القياس (6). وتبعه في هذا الرأي

1 - انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقنضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 227/4.

2 - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 58/3.

3 - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 58/3.

4 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 379.

5 - انظر مصطلح "التوكيد التداولي" في المرجع السابق. ص 674.

6 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 207/2، 208.

المبرد، بقوله: " فالأجود في هذا أن تقول: يا تيمُّ تيم عدي. فترفع الأول؛ لأنه مفرد، وتتصب الثاني؛ لأنه مضاف. وإن شئت كان بدلاً من الأول. وإن شئت كان عطفاً عليه عطف البيان" (1).

### • تداولية رفع المنادى العلم المضاف المكرر:

يمكن لنا أن نوجه رفع المنادى العلم المضاف توجيهاً نحوياً تداولياً، فنقول: " لقد اختار النحاة العرب الضمة للمنادى المفرد العلم لسببين:

1- سبب نحوي وهو الدلالة على ركنية المنادى العلم المفرد، ومعنى ذلك أن تجعله ركناً وأن تعطيه علامة الركنية التي هي الضمة .

2- سبب تداولي، وهو قصد المتكلم تقريب المنادى منه حقيقة أو مجازاً. أما الحقيقة فبكونه قريباً منه مكاناً. وأما المجاز فبكونه قريباً منه مكانةً، أي بكونه قريباً من نفسه" (2). وعليه، فإننا نستطيع أن نعتمد على مقام هذا المنادى في استنباط معانيه التداولية المستكنة فيه في حالتيه الإعرابيتين ( الرفع والنصب ) .

ويجدر القول أن المنادى العلم المضاف المكرر لم يرد في شواهد القرآن الكريم، ولم يرد، أيضاً، في نثر العرب وشعرهم؛ فهو نادر الاستعمال، ويكاد يكون ذكره في شاهدين من شواهد كتب النحاة، وهما: الشاهد السابق ذكره، وشاهد آخر نُسب إلى ولد جرير في الكتاب، وإلى عبد الله بن رواحة في السيرة وهو: (3)

يا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلاتِ الذُّبُلِ      تَطاولَ اللَّيْلِ عَلَيْكَ فَانزِلِ

1 - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 227/4.

2- استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 347.

3 - من شواهد الكتاب لسبويه، 206/2. ومن شواهد المقتضب للمبرد، 230/4 . وانظر: حداد، حنا جميل. معجم شواهد النحو الشعرية، ص 227. وتقرأ " زيد" الأولى بالفتح.

## • المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

يُعدُّ المنادى المضاف إلى ياء المتكلم واحداً من أنواع المنادى المضاف التي استعملت

في كلام العرب. " ولاستعمال هذا المنادى، في كلامهم ست لغات هي ما يلي:

1- إثبات الياء ساكنة : وذلك نحو قوله تعالى: " يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون"<sup>(1)</sup>.

2- إثبات الياء مفتوحة: وذلك نحو قوله تعالى: " يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فيآي فاعبدون"<sup>(2)</sup> .

3- حذف الياء وإبقاء الكسرة دليلاً عليها، وذلك نحو قوله تعالى : " يا عباد فاتقون"<sup>(3)</sup>.

4- قلب ياء المتكلم ألفاً مع قلب الكسرة قبلها فتحةً، وذلك نحو قوله تعالى: " أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله "<sup>(4)</sup>.

5- حذف الألف، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها. ومثال ذلك : يا غلام.

6- ضمُّ الحرف الذي كان مكسوراً لأجل الياء، وهي لغة ضعيفة، حكوا من كلامهم " يا أم لا تفعلي " بالضم "<sup>(5)</sup>.

يُسْتَنْتَجُ مما سبق، أن العرب استعملت في كلامها ست اللغات السابقة، فهي لهجات عندهم. لكن أجود هذه اللغات وأكثرها استعمالاً هو حذف ياء الإضافة وإبقاء الكسرة دليلاً عليها. يقول سيبويه: " اعلم أن ياء الإضافة لا تثبت مع النداء وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء"<sup>(6)</sup>.

يُسْتَنْتَجُ مما سبق، أن سيبويه علل حذف ياء المتكلم مع المنادى وإبقاء الكسرة دليلاً عليها بكثرة استعمال النداء في كلامهم. لكن هذا التعليل يبقى في دائرة الوصف الظاهري؛ لأن

1 - سورة الزخرف. آية ( 68 ) .

2- سورة العنكبوت . آية ( 56 ) .

3 - سورة الزمر. من آية ( 16 ) .

4 - سورة الزمر . من آية ( 56 ) .

5 - انظر: ابن هشام ، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ص 222 ، 223 .

6 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 209/2.

سببويه لم يقدم تفسيراً علمياً مقنعاً لحذف ياء المتكلم الملتصقة بالمنادى. ونتيجة لذلك؛ فقد قدم شيخي وأستاذي تفسيراً علمياً دقيقاً للتغيرات التي طرأت على ياء المتكلم الملتصقة بالمنادى من حذف أو إثبات، فهو يقول: "من الواضح أن ياء المتكلم الملتصقة بالمنادى كانت قد أخذت طريقها في التطور في الاستعمالات اللغوية الجارية على ألسنة العرب. وقد تراوح هذا التطور بين إطالة الحركة، وتقصيرها في أربعة الاستعمالات هذه: يا قومي، ويا قوم، ويا قوما، ويا قوم. وتحريك الياء أو تسكينها في الاستعمالات الآتية: يا قومي، ويا قومي" (1).

ويمكن القول أن أستاذنا استثنائية لم يكتفِ بوصف تطور استعمال ياء المتكلم الملتصقة بالمنادى وغير المنادى، فقد فسر تطور استعمالها تفسيراً صوتياً وتداولياً. يقول في بيان ذلك: "ملخص القول هو أن الاستعمالات الأربعة الأولى كانت تسير في طريقين من طرائق التطور، الأولى: زيادة كمية ياء المد ونقصانها، والثانية: تغيير البنية المقطعية للمنادى الذي أضيفت إليه الياء. هذا من الجانب الصوتي المحض. أما تداولياً فإن لتقصير ياء المتكلم الملتصقة بالمنادى وغير المنادى دلالة على شدة القرب. ويظهر هذا عند مخاطبة الواحد من سراة القوم قومه، بقوله: "يا قوم" فإن هذا يدل على قرب لا يتأتى من قوله: "يا قومي" (2).

#### • تداولية المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

وفي واقع الاستعمال للمنادى المضاف إلى ياء المتكلم نجد أن ياء الإضافة (ياء المتكلم) حُذِفَتْ منه وِعُوِّضَ عنها بالكسرة في شواهد القرآن الكريم. فجُلُّ الشواهد القرآنية التي ورد فيها هذا المنادى حذفت ياءه.

إن حذف ياء المتكلم (تقصيرها) من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم في شواهد القرآن الكريم له دلالة تداولية يمكن استبطانها من سياق الآية ومقامها. من هذه الدلالات على سبيل المثال الدلالة على شدة القرب، ونجد هذه الدلالة في نداء "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم، وهو نداء الأنبياء والرسل لأقوامهم، فكل مواضع نداء "قوم" الواردة في القرآن الكريم وردت

1- استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 553.

2- المرجع السابق. ص 553.

على صورة " قوم"؛ لأن الأنبياء والرسل حريصون على إيمان أقوامهم، فهم لا يريدون لهم العذاب في الدنيا والآخرة وهذا يدل على شدة قرب الأنبياء والرسل من أقوامهم ومحبتهم لهم.

قال تعالى: " قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين " (1) .

ولحذف ياء المتكلم ( تقصيرها) في نداء " عباد" الوارد في القرآن الكريم أيضاً دلالة

تداولية هي الدلالة على شدة القرب. فالله تعالى يقرب إليه عباده المتقين ويصطفاهم ويخصهم

بالرحمة والمغفرة والرضوان فهم عباد الرحمن المصطفون الأخيار. قال تعالى: " يا عباد لا

خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون" (2).

واستعمل العرب هذا المنادى محذوف الياء في كلامهم، وهو استعمال كثير، ومن

الأمثلة على ذلك قول أكتم بن صيفي لقومه: " يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين" (3).

لقد قصرت ياء المتكلم في الشاهد السابق لدلالة تداولية هي شدة حرص رئيس القوم

(أكتم) على وحدتهم وقوتهم. فهو يحثهم على التثبيت والاتحاد وحرص الصفوف. وحرصه عليهم

دليل على محبته لهم وشدة قربهم من نفسه .

وتثبت ياء المتكلم في نداء " الابن" أو مجموعة الأبناء، ولا يجوز حذفها. وقد ورد

هذا النداء في القرآن الكريم، وفي نثر العرب وشعرهم. ومن شواهد في القرآن الكريم، قوله

تعالى: "يا بُنَيُّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" (4). و قوله تعالى: "يا بُنَيُّ إن الله اصطفى لكم

الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (5). و قال عبد الله بن شداد لابنه: " يا بُنَيُّ، إنني أرى داعي

1 - سورة الأعراف. آية ( 61).

2 - سورة الزخرف. آية ( 68).

3 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 135/1.

4 - سورة هود . من آية ( 42 ) .

5 - سورة البقرة . من آية ( 132 ) .

الموت لا يقلع" (1). وقالت الخنساء تحرض أولادها على القتال يوم القادسية: "يا بني أنتم أسلمتم طائعين" (2).

ثبتت ياء المتكلم في نداء الابن والأبناء في الشواهد السابقة ولم تحذف (لم تقصر) لدلالة تداولية هي الدلالة على حب النسبة فالمنادي الأب يحب الانتساب إلى ابنه أو أبنائه؛ لذا فقد ثبتت ياء المتكلم في هذا النداء للدلالة على ذلك.

وفي بيان إضافة لفظي "أب" و "أم" إلى ياء المتكلم، يقول ابن هشام: "إذا كان المنادى المضاف إلى الياء أباً أو أمّاً، جاز فيه عشر لغات: الست المذكورة، ولغات أربع أخرى: إحداهما: إبدال الياء تاءً مكسورة. وذلك نحو قوله تعالى: "يا أبتِ إني قد جاءني من العلم" (3). والثانية: إبدالها تاءً مفتوحة، وبها قرأ ابن عامر، والثالثة: يا أبتا، بالتاء والألف. والرابعة: يا أبتي، بالتاء والياء. وهاتان اللغتان قبيحتان، والأخيرة أقبح من التي قبلها، وينبغي أن لا تجوز إلا في ضرورة الشعر" (4).

وبيّن سيبويه أن التاء في "أبت" للتأنيث، وهي مقحمة في "أبت"؛ لأن الأصل في نداء الأب: أبي، ثم قصرت الحركة الطويلة فأصبح اللفظ: "أب" ثم أقحمت التاء وهي مثل الهاء في عمة وخالة. ويعلل سيبويه إقحام التاء دون غيرها؛ لأن العرب تستعمل التاء للمذكر والمؤنث، فقد وصفوا الاسم المذكر بصفة مؤنث، فقالوا: هذا رجل ربعة. ووصفوا الاسم المؤنث بصفة المذكر، فقالوا: هذه امرأة عدل (5).

1 - صفوت ، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب . 503 / 2 .

2 - المرجع السابق . 231 / 1 .

3 - سورة مريم . من آية ( 43 ) .

4 - ابن هشام ، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص 225 .

5 - انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 211/2 ، 212 .

## • تداولية نداء الأب المضاف إلى ياء المتكلم:

إنّ استعمال " أبت " بالكسر هو الاستعمال الشائع والكثير في كلام العرب؛ لأنهم يميلون إلى الأسهل والأخف في النطق وهو أيضاً كثير في القرآن الكريم. فالسهولة والخفة في النطق أمر يتعلق بعدد المقاطع الصوتية للتركيب اللغوي وكيفية نطقه .

ولتقصير الحركة الطويلة ( ياء المتكلم ) في " أبت " دلالة تداولية هي شدة القرب النفسي والتأدب<sup>(1)</sup>؛ لأن المنادي ( المتكلم ) يعد المنادى ( المخاطب ) قريباً من نفسه وعليه أن يتأدب في مخاطبته؛ فالعلاقة القائمة (علاقة الابن بأبيه ) هي أسمى العلاقات بين البشر وأقواها.

واستقبح العرب استعمال الصيغتين : " أبتا "، و " أبتى "؛ لأن فيهما مداً للصوت. فمقام نداء الأب، لا يستوجب مد الصوت وإطالته، فهو مقام مخاطبة القريب للقريب؛ لذا فقد استعملوا صيغة " أبت " لتناسب هذا المقام. وقد تستعمل الصيغتان : " أبتا "، " أبتى " في مقام مغاير للمقام السابق وهو مقام مناداة البعيد، كمقام الندبة الذي تظهر فيه معاني التحسر، والحزن والتفجع على فقد الأب.

ويمكن القول أن لكل وجه من وجوه نداء " أب " المضاف إلى المتكلم دلالة تداولية يفرضها المقام ويكشفها الاستعمال. فنداء " أبي " له دلالة تداولية هي حب النسبة، ونداء " أبت " له دلالة تداولية هي شدة التأدب، ونداء " أبتى " له دلالة تداولية هي التركيز على النسبة وإظهارها، ونداء " أبتا " له دلالة تداولية هي إظهار اللفظة، ونداء " أبتاه " أيضاً دلالة تداولية هي إظهار التحسر والحزن.

ويشترك نداء " الأم " مع نداء " الأب " في الوجوه السابقة نفسها. وهو نداء قليل الاستعمال، فقد استعملته العرب على صيغة " يا أمة " . ومن شواهد، قول القعقاع بن عمرو لعائشة أم المؤمنين في البصرة : " أي أمة: ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 553.  
<sup>2</sup> - صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب. 300/1 .

## • تداولية نداء " الأم " المضاف إلى ياء المتكلم:

استعمل العرب صيغة " أمّة " في النداء؛ لأنها الصيغة الأصل فهي تتكون من لفظ " أم " وتاء التأنيث. وهي صيغة ذات مقاطع صوتية أقل من المقاطع الصوتية للصيغ الأخرى. هذا على المستوى الصوتي.

أما على المستوى التداولي، فإن المقطع الصوتي الأقل له دلالة القرب النفسي. فالمنادى ( الأم ) قريب من المنادي ( الابن ). وقرب أحدهما من الآخر قرب نفسي يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط الابن أو الأبناء بالأم، وهي أسمى العلاقات بين البشر وأقواها.

ولجوه نداء " أم " المضاف إلى ياء المتكلم معانٍ تداولية يستجليها المقام وتظهرها ظروف الاستعمال. ففي نداء " أمي " تتحقق دلالة تداولية هي دلالة حب النسبة. وفي نداء " أم " بتقصير الحركة الطويلة يظهر معنى شدة تقرب المنادي ( الابن ) إلى المنادي ( الأم ). فتقصير الحركة الطويلة في هذا الوجه أدى دلالة تداولية هي دلالة شدة تقرب الابن من أمه. وفي نداء " أم " بالفتح يظهر معنى القرب مع التحسر؛ لأن في الفتح مداً للصوت يناسب مقام التحسر، وأما معنى القرب فهو متحصل من تقصير الحركة الطويلة ( الياء ). وفي نداء " أمّا " يظهر معنى التوجع وال ألم؛ لأن المد الطويل في ألف " أمّا " يناسب هذا المقام. وأما المعنى التداولي المتحصل من نداء " أمّا " فهو التحسر وقد أسهم في إظهار هذا المعنى المد الطويل المتبوع بهاء السكت.

## • المنادى المضاف إلى المضاف إلى ياء المتكلم:

من ضروب المنادى المضاف التي استعملها العرب في كلامهم نداء المضاف إلى المضاف إلى ياء المتكلم. يقول ابن هشام في وصف هذا المنادى: " وإذا كان المنادى مضافاً إلى مضاف إلى الياء، مثل: " يا غلام غلامي "، لم يجز فيه إلا إثبات الياء مفتوحة أو ساكنة، إلا إن كان " ابن أمّ "، أو " ابن عمّ "؛ فيجوز فيهما أربع لغات: فتح الميم، وكسرها، وقد قرأت السبعة

بهما في قوله تعالى: " قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني" (1). وأما اللغة الثالثة: فهي إثبات الياء،

كقول أبي زيد:

يا ابن أمّي ويا شقيق نفسي      أنت خلفتني لدهرٍ شديدٍ

واللغة الرابعة: قلب الياء ألفاً، كقول الشاعر: يا أبنّة عمّا لا تلومي واهجعي، وهاتان

اللغتان (إثبات الياء وقلبها إلى ألف) قليلتان في الاستعمال" (2).

• التحليل الصوتي لقراءة " ابن أمّ " و " ابن عمّ " بفتح الميم:

قُصِرَتْ الياء ( الحركة الطويلة ) في " أمي " و " عمي " ، وَجُعِلَتْ فتحة بدلاً من

الحركة القصيرة (الكسرة) . وقد فعل النحاة العرب ذلك؛ ليجعلوا الاسمين ( ابن أمّ ) أو ( ابن

عمّ ) اسماً واحداً بمنزلة " خمسة عشر " (3).

وعلى سببويه هذا الأمر بقوله : " لأن هذا أكثر في كلامهم من " يا ابن أبي " و " يا

غلام غلامي " (4) .

لقد ماثل النحاة بين حركة " ابن " وحركة " أم " أو " عم " لإحداث تناسق صوتي في

نطق اللفظين ( ابن أمّ ) ، ولتقليل المقاطع الصوتية فيهما. فكما قلت المقاطع الصوتية سهل

النطق وقل الجهد العضلي فيه .

1 - سورة الاعراف .من آية ( 150 ) .

2 - ابن هشام ، عبد الله جمال الدين . فطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .ص 225

، 226 . وانظر: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1/285.

3 - انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 4/251.

4 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/214.

ونخلص إلى القول أن العرب لجؤوا إلى إحداث التغييرات الصوتية في التراكيب

اللغوية سعياً إلى التخفيف والتسهيل في النطق. ولعل كثرة الاستعمال دفعتهم إلى هذا الأمر.

#### • تداولية قراءة " ابن أمّ " و " ابن عمّ " بفتح الميم:

لفتحة الميم معنى تداولي يظهره مقام النداء وظروف استعماله. قرئت " أمّ " بالفتح في

قوله تعالى: " ابن أمّ إن القوم استضعفوني " (1)؛ لأن مقام النداء في هذه الآية مقام استعطاف

وترفق ونصرة. فهارون يطلب من موسى عليه السلام أن يعطف عليه ويحميه ويناصره؛ لأن

القوم الظالمين ( الذين عبدوا العجل ) استضعفوه وأرادوا قتله (2). ولحذف أداة النداء دلالة

تداولية، أيضاً، وهي دلالة القرب النفسي. فالمعنى التداولي المتحصل من نداء " ابن أمّ " بالفتح

هو إظهار تقرب هارون من موسى عليهما السلام واستعطافه وطلب نصرته.

#### • التحليل الصوتي لقراءة " ابن أمّ " و " ابن عمّ " بكسر الميم:

قُصِرَتِ الياء ( الحركة الطويلة ) في " أمي " و " عمي "، وَجُعِلَتْ كسرة؛ لتسهيل

النطق بسبب كثرة الاستعمال. فتقصير الحركة الطويلة ( تحويل الياء إلى كسرة ) ساهم في تقليل

عدد المقاطع الصوتية. وهذا التقليل ساعد على سهولة النطق في الاستعمال. فكثرة الاستعمال

لهذا النمط من النداء تتطلب سهولة نطقه.

#### • تداولية قراءة " ابن أمّ " و " ابن عمّ " بكسر الميم:

لكسرة الميم ( الحركة القصيرة ) دلالة تداولية هي تقريب المنادي للمنادى تقريباً

نفسياً. ويظهر هذا التقريب، أيضاً، في حذف أداة النداء. فلحذفها دلالة القرب النفسي.

1 - سورة الأعراف. من آية ( 150 ) .

2 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير، 1/440.

• التحليل الصوتي لقراءة " ابن أمي " و " ابن عمي " بإثبات الياء:

أُثْبِتَتُ الياء ( الحركة الطويلة ) ولم تُقْصِرْ. ولهذا الإثبات على المستوى الصوتي أثر في نطق المقاطع الصوتية؛ فقد نطقت على أصل وضعها ولم تقصر الحركة الطويلة (الياء). ولإثبات الياء معنى تداولي يكشفه مقام النداء.

• تداولية قراءة " ابن أمي " و " ابن عمي " بإثبات الياء:

استعمل الشاعر حرف النداء " يا " في الشاهد: " يا ابن أمي " (1) في مقام تفجعه و حزنه على فقد أخيه؛ فمدُّ الصوت وإطالته في ألف المد والياء المدية يناسب هذا المقام . والمعنى الذي يمكن استبطانه من هذا المقام إظهار حب نسبة المنادي ( المتفجع ) إلى أخيه المتوفى.

• التحليل الصوتي لقراءة " ابن أمّا " و " ابن عمّا " بقلب الياء إلى ألف:

قُلِبَتُ الياء في لفظ " عمي " إلى ألف، وجُعِلَتْ كسرة الميم فتحة لإحداث تجانس صوتي بين ألف المد في حرف النداء " يا " ، وألف المد في " عمّا ". وهذا التجانس الصوتي يفضي إلى دلالة تداولية تُفهم من مقام النداء.

• تداولية قراءة " ابن أمّا " و " ابن عمّا " بقلب الياء إلى ألف:

استعمل الشاعر ألف المد في حرف النداء " يا " ، وهي حرف نداء للبعيد. ومدّ الألف في " عمّا " في مقام اللوم والعتاب. فمد الصوت وإطالته فيهما يناسب هذا المقام. ويمكن القول إن مقام اللوم والعتاب أفضى إلى معنى تداولي آخر هو إظهار التوجع والألم .

• المنادى المعروف بالألف واللام:

الأصل في المنادى أن يكون معرفاً، فلا يجوز مناداة المبهم؛ لأن مقام النداء مقام تعريف وقصدية موجهة إلى مُعَيَّن.

<sup>1</sup> - انظر شرح البيت في : المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 4/250. وهو من شواهد كتاب سيبويه، 2/231.

لقد اجتهد النحاة العرب في بيان حقيقة مقام التعريف في المنادى؛ فبينوا الكيفية التي نتوصل بها إلى نداء الاسم المعرف فقالوا: "واعلم أنه لا ينادى اسم فيه الألف واللام إلا بـ " أي، كقولك: "يا أيها الرجل". فـ "أي" اسم مفرد منادى، و "ها" صلة لـ "أي"، والرجل: نعت لـ "أي" في قولك: "يا أيها الرجل". وهو نعت لا يستغنى عنه، ولا يجوز فيه إلا الرفع. ولا يجوز أن تقول: "يا الرجل"؛ لأن النداء يعرف المنادى بالقصد والإشارة، والألف واللام تعرفانه بالعهد، ولا يتعرف الاسم من وجهين مختلفين"<sup>(1)</sup>.

يتضح مما سبق، أنّ النحاة العرب عدّوا الاسم المعرف بالألف واللام مبهماً لا يدل على مقصود معين؛ لأنه يدل على عموم غير محدد. فعندما ننادي: "يا الرجل" فإننا ننادي مبهماً لا يدل على معين (مقصود). فلا يجوز نداؤه إلا بوصلة تجعله معرّفاً؛ لذا "فقد توصلوا إلى ندائه بـ "أي" وهي اسم مبهم مفرد منادى، و "ها" وهي حرف للتنبيه والإشارة، فقالوا: يا أيها الرجل. وأجازوا ندائه بـ "أي" واسم الإشارة، فقالوا: "يا أيها الرجل". وأجازوا ندائه باسم الإشارة دون "أي"، فقالوا: "يا هذا الرجل"<sup>(2)</sup>.

لقد وضح سيبويه معرفية المنادى وقصديته بقوله: "وذلك قولك، يا أيها الرجل، فأَيّ ههنا كقولك يا هذا، والرجل وصف له كما يكون وصفاً لهذا. وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلا الرفع لأنك لا تستطيع أن تقول: يا أيُّ ولا يا أيُّها وتسكت؛ لأنه مبهم يلزمه التفسير، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت يا رجلاً. وذلك قولك، يا هذا الرجل صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد"<sup>(3)</sup>.

يُفهم من كلام سيبويه أنّ وصلة النداء (أيها، أيها، اسم الإشارة) وحدها ليست هي المنادى، وإن كانوا عدوها كذلك في واقع الإعراب، فهي لفظ تنبيهي إشاري إلى المنادى الحقيقي الذي يليها. فالمنادى الحقيقي، في قولنا: "يا أيها الرجل" هو الرجل المقصود المشار إليه في

1 - الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق . كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد. ص 150 ، 151.

2 - انظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 1/337.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/188، 189.

مقام النداء. وقد عبر عن حقيقة المنادى المقصود بقوله: "فصار هو ( يقصد المبهم : أيها ، هذا) والرجل بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت يا رجل" (1).

فسيبويه أنزل المنادى في هذا الباب منزلة النكرة المقصودة التي لا يكون مقامها إلا

التعريف والقصدية الموجهة، وهي منزلة كمنزلة المنادى العلم في معرفيته وقصديته، أيضاً. ويجدر القول أن النحاة العرب فرقوا في الدلالة بين " أي " و " اسم الإشارة " . فـ "أي" هي أشدُّ إبهاماً من أسماء الإشارة، ألا ترى أنها لا تثني، ولا تجمع، فنقول: "يا أيها الرجل" و"يا أيها الرجلان" "يا أيها الرجال". ونقول في نداء الإناث: "يا أيها الطالبة" و "يا أيها الطالبتان" و "يا أيها الطالبات". وتوصف " أي" في النداء بشيئين: أحدهما الألف واللام. نحو: "يا أيها الرجل" فـ " الرجل " صفة " أي "، و " أي" منادى ( موصوف ). وفي حقيقة الأمر فإن المنادى الحقيقي هو المنادى المقصود وهو الرجل. والثاني: اسم الإشارة، نحو: "يا أيها الرجل". فـ " ذا " صفة لـ " أي"، و " أي" منادى ( موصوف). و " الرجل" بدل مرفوع من " هذا ". وفي حقيقة الأمر فإن المنادى الحقيقي هو المنادى المقصود وهو الرجل (2).

وأما اسم الإشارة فهو على قدر عالٍ من التعريف. فقد عدّه الكوفيون، ووافقهم ابن السراج والأنباري، أكثر تعريفاً من الاسم العلم، وذلك أنه يعرف بالعين والقلب، وأما الاسم العلم فلا يعرف إلا بالقلب. أما البصريون فقد عدوه أقل تعريفاً من الاسم العلم ذلك أن الاسم العلم يوضع لشيء بعينه لا يقع على غيره (3).

1 - المرجع السابق. 188/2 بتصريف .

2 - انظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 1/339.

3 - انظر: الأنباري، عبد الرحمن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مسألة 101، 581/2 - 582 .

وعليه، فإننا لا نستطيع في نداء " أي " أن نقف على " أي " وحدها دون وصفها؛

"لأنك لا تستطيع أن تقول: يا أيُّ ولا يا أيُّها وتسكت؛ لأنه مبهم يلزمه التفسير"<sup>(1)</sup>.

ويرى سيبويه أنه إذا أُريد الوقوف على اسم الإشارة المنادى، ثم قصد توكيده باسم

علم مثلاً، جاز أن يكون مبنياً ومعرباً، وذلك نحو قولنا: " يا هذا زيدٌ، يا هذا زيداً"<sup>(2)</sup>.

أمّا إذا لم يُفصد الوقوف على اسم الإشارة، فإنه يوصف باسم معرف بالألف واللام،

ولا يجوز فيه إلا البناء على الضم. يقول سيبويه: " وإذا قلت يا هذا الرجل، فأنت لم ترد أن تقف

على هذا ثم تصفه بعدما تظن أنه لم يعرف، فمن ثمّ وصفت بالأسماء التي فيها الألف واللام،

لأنها والوصف بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت: يا رجل"<sup>(3)</sup>.

ويجدر القول أن نداء الاسم المعرف بالألف واللام مسألة خلافية بين النحاة. " فقد

أجاز الكوفيون نداء الاسم المعرف بالألف واللام، نحو " يا الرجل" و " يا الغلام ". وحثهم في

ذلك أن العرب استعملوا هذا النداء في كلامهم. ومن أدلتهم، قول الشاعر:

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي نَيْمَتِ قَلْبِي      وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالوَدِّ عَنِّي<sup>(4)</sup>

يتضح مما سبق أن الكوفيين أجازوا هذا الاستعمال مستدلين بشواهد قليلة من شعر

العرب. " فالكوفيون اعتمدوا في بيان آرائهم النحوية على كل مسموع وشاذ من نثر العرب

وشعرها. وهم أوسع رواية. فلو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً

وبوبوا عليه بخلاف البصريين"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 188/2.

<sup>2</sup> - انظر: المرجع السابق. 192 / 2 .

<sup>3</sup> - المرجع السابق ، 189/2.

<sup>4</sup> - الأنباري، عبد الرحمن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. 274/1 ، 275 ، وانظر الشاهد في : حداد، حنا جميل، معجم شواهد النحو الشعرية. ص178. وپروى البيت : بـ " من أجلك يا التي ... " والشاهد بلا نسبة.

<sup>5</sup> - السيوطي ، جلال الدين. الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن الشافعي، ص 114. بتصرف

أما البصريون فلم يجيزوا نداء المعرّف بالألف واللام؛ وحجتهم أنّ الألف واللام تفيّد التعريف، و " يا " تفيّد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان (1).

وعليه، فقد عدّ البصريون ما ورد من الشواهد على نداء الاسم المعرف بالألف واللام دون وساطة " أي " من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وهي شواهد قليلة قيلت في موطن الضرورة الشعرية. ووافق الأنباري البصريين في هذا الأمر وتبعهم (2).

#### • التحليل الصوتي للمنادى المعرّف بالألف واللام:

استعانت العربية في نداء المعرف بالألف واللام بوسائط لفظية كـ " أي " و " اسم الإشارة "؛ لسبب صوتي هو: تلاقي ساكنين ألف " يا " والحرف الساكن في الاسم المعرف بالألف واللام. فلو أردنا نطق حرف النداء " يا " والاسم المعرف بعده مباشرة دون واسطة لفظية لشعرنا بالثقل في النطق؛ لذا فقد نودي الاسم المعرف بهذه الوصلة اللفظية ( وصلة النداء: أي، اسم الإشارة) تخلصاً من هذا الثقل، وتسهيلاً لنطقه (3).

وتعلق عمارة على وجوب استعمال وصلة النداء في نداء الاسم المعرف بقولها: "ولعل وجود " أيها " في نداء الاسم المعرّف نابع من حاجة صوتية في التركيب، فالمعرف بأل قد لا يدخل عليه نداء؛ لما في ذلك من الثقل، إذا قطعت الهمزة، ولما فيه من عدم القدرة على مد الصوت المقصود بالنداء إذا وصلت (4).

وعليه، فإن استعمال وصلة النداء " أيها " له دلالة صوتية تتمثل في التخلص من الثقل في النطق وفي مد الصوت وإطالته؛ لأن مقام النداء يتطلب هذا المد ويستدعيه.

1 - انظر: الأنباري، عبد الرحمن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. 274/1، 275 .

2 - انظر: الأنباري، عبد الرحمن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. 276/1. وانظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 241 / 2 .

3- عيد، محمد. النحو المصفى. ص 400. بتصرف

4 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 98 .

فمد صوت الألف وإطالته في نطق حرف النداء " يا " وحرف التنبيه " ها " يفضي إلى دلالة تداولية مستكنة في مقام النداء. ويمكن لنا أن نستبطن هذه الدلالة بالنظر في جملة متمم النداء وفكرتها ومقام النداء الذي قيلت فيه. من المعاني التداولية التي قد ترد في مقامات هذا النداء الإعجاب والشكوى والحزن والتوجع والمدح والفخر والعتاب ... ألخ.

#### • تداولية المنادى المعروف بالألف واللام:

لاستعمال وصلة النداء ( أي، اسم الإشارة ) في نداء هذا الاسم دلالة تداولية تتمثل في مد الصوت وإطالته؛ لأن مقام النداء في جميع الأحوال والظروف مقام تنبيه واستدعاء وطلب. ولهذا المقام دلالات تداولية متعددة ومختلفة يمكن استبطنها بالنظر في جملة متمم النداء وفكرتها وظروف استعمالها ( مقامها).

أُستعملَ المنادى المعروف بالألف واللام في القرآن الكريم في شواهد كثيرة. فقد خاطب الله تعالى الفئة المؤمنة في بعض الشواهد، وخاطب عامة الناس ( كافة البشر ) في بعضها الآخر. لقد تعدد الخطاب الرباني بهذه الصيغة تعدداً يدل على كثرة مقاماته.

ومما لا شك فيه أن لكل خطاب رباني بهذه الصيغة دلالات تداولية تفهم من مقامه الذي قيل فيه. وسيفصلُ القول في بيان هذه الدلالات في الفصل التطبيقي الذي يتناول تداولية النداء في القرآن الكريم.

ونذكر شاهداً قرآنياً واحداً على سبيل المثال لا الحصر يمثل المنادى المعروف بالألف واللام، نبين فيه المعاني التداولية التي يمكن استظهارها من مقام هذا المنادى. قال تعالى: " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (1).

<sup>1</sup> - سورة البقرة. آية ( 21 ) .

لقد خاطب الله تعالى جميع البشر في هذه الآية؛ ليعبدوه بتوحيده، وشكره، وطاعته. فالله تعالى أوجدنا من العدم، وخلق من قبلنا من الأمم وأمرنا أن نعبده حق عبادته لنكون في فئة المتقين<sup>(1)</sup>.

فمقام النداء في هذه الآية مقام أمر على وجه الاستعلاء فهو من الخالق إلى المخلوق. ومن هذا المقام يمكن لنا ان نستجلي بعض المعاني التداولية، ولنا أن نجملها بما هو آت:

أُستعملَ حرف النداء "يا" في هذه الآية لمعنى تداولي هو إظهار منزلة الخالق الجدير بالعبودية والولاء وإعلاء شأنه وتقديسه. ولمد الألف في حرف النداء "يا" ووصلة النداء "أيها" معنى تداولي هو تنبيه الناس إلى وجوب عبادة الله تعالى الواحد القهار؛ لأن جميع الناس خلقهم الله تعالى لعبادته والإقرار بوحدانيته.

وفي اختيار المنادى المعروف "الناس" معنى تداولي يتمثل في تذكير الناس بأنهم جميعاً هم خلق الله تعالى، فلا تكون عبوديتهم إلا له سبحانه وتعالى. وفي استعمال جملة متمم النداء "اعبدوا" معنى تداولي يتمثل في وجوب طاعة الله وعبادته، فهو الجدير بالعبودية المستحق للربوبية لا إله إلا هو الخالق الجبار.

وأما استعمال المنادى المعروف بالألف واللام في كلام العرب فهو كثير. فقد استعملوه في خطبهم وأشعارهم. ولهذا الاستعمال دلالات تداولية كثيرة بسبب كثرة المقامات التي قيل فيها هذا النوع من النداء. ومن أمثلته قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عندما ولي الخلافة: "يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم"<sup>(2)</sup>.

نادى أبو بكر الصديق عندما تولى الخلافة كل الناس في مقام إشعارهم بنقل مسؤولية

الحكم. ومن هذا المقام تتولد بعض المعاني التداولية، ويمكن إجمال هذه المعاني بما هو آت:

<sup>1</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير 35/1 .  
<sup>2</sup> - صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب. 181/1.

أُسْتُعْمِلَ حرف النداء "يا" ووصلة النداء "أيها" في قول أبي بكر الصديق لمعنى تداولي هو تنبيه الناس إلى أمر مهم هو الخلافة. فالخلافة في نظره لا تقوم إلا على العدل ولا يكون العدل إلا بتطبيق شرع الله تعالى. وعلى الخليفة وإن كان فرداً واحداً لا يختلف عن غيره من الناس الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية مسؤولية هذه الخلافة.

وفي اختيار المنادى المعروف "الناس" معنى تداولي آخر يتمثل في وجوب تطبيق الحكم الإسلامي العادل على كل فرد من أفراد الرعية المسلمة دون تمييز، فكل أفراد المجتمع الإسلامي متساوون في الحقوق والواجبات، وعليهم يطبق الحكم العادل الذي فرضته تعاليم الشريعة الإسلامية وأحكامها دون تمييز. وفي جملة متمم النداء "إنما أنا مثلكم" يظهر معنى تداولي آخر هو تواضع الخليفة المسلم (الصديق) وعدله وقوته وحزمه وتقواه وصلاحه، فهو يعد نفسه واحداً من أفراد الرعية المسلمة الواحدة، وعليه يقع حمل الخلافة وهو مسؤول أمام الله تعالى والناس عن تطبيق شرعه ولا يكون حكمه في الرعية المسلمة إلا بتطبيق كتاب الله وسنة نبيه.

ونادت العرب اسم الإشارة (المذكر والمؤنث) دون ذكر المنادى المعرف بالألف واللام. ولاستعمال هذا النداء دلالات تداولية يستدعيها مقامه. ومن الأمثلة على هذا الاستعمال، قول عبد الملك بن مروان: "يا هذا، أحنين الحمامة"<sup>(1)</sup>.

نادى عبد الملك بن مروان ابنه في مقام إنكار ضعفه في موقف الموت. أنكر عبد الملك على ولده أن يراه باكياً ضعيفاً عند وفاته؛ فقد أراده قوياً. ويمكن لنا إجمال تداولية النداء في هذا القول بما هو آت:

في استعمال حرف النداء "يا" معنى تداولي هو تنبيه الابن (ابن الخليفة عبد الملك بن مروان) إلى خلق رفيع هو الصبر، فعبد الملك بن مروان يدعو ابنه إلى التصبر والتجلد في المواقف الصعبة كالموت. وللصبر فوائد كثيرة فهو مفتاح الفرج من كل شدة، وهو دليل على عمق إيمان الإنسان وتقواه.

<sup>1</sup> - صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب. 198/2.

وفي استعمال المنادى " اسم الإشارة هذا" معنى تداولي آخر يتمثل في توبيخ ودم الابن الضعيف الذي لا يتصف بالقوة والصلابة وقت الشدة. فعبد الملك يطلب من ابنه أن يكون قوياً صلباً صبوراً في مواقف الشدة والمحنة. وجملة متمم النداء في هذا القول استفهامية، وللاستفهام فيها معنى تداولي يتمثل في حث الابن على التصبر والتجملد في المواقف الصعبة كالموت، فعبد الملك يلوم ابنه ويذمه ويوبخه؛ لأنه ضعيف في مواقف الشدة ويطلب منه أن يكون صبوراً جلدأ متماسكاً لا ضعيفاً منكسراً كالحمامة.

#### • نداء " الله " سبحانه وتعالى :

أجاز سيبويه نداء لفظ الجلالة ( الله ) مباشرةً دون وساطة وصلة النداء ( أي ، اسم الإشارة ). وقد عبر عن ذلك بقوله: " وأعلم أنه لا يجوز لك أن تتنادي اسماً فيه الألف واللام البتة؛ إلا أنهم قد قالوا : يا الله اغفر لنا، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف"<sup>(1)</sup>.  
يُفهم من كلام سيبويه أنه عامل لفظ الجلالة معاملة العلم؛ وأن الألف واللام فيه هما حرفان أصليان لا يمكن فصلهما " ألا ترى أنهما غير بائنتين منه، وليستا فيه بمنزلةتهما في " الرجل"؛ لأنك في " الرجل" تثبتهما وتحذفهما، وهما في اسم " الله" ثابتتان، وهو اسم علم"<sup>(2)</sup>.  
ويبين الأنباري حقيقة حرفي الألف واللام في لفظ الجلالة بقوله: " أن الألف واللام عوض عن حرف سقط من نفس الاسم، فإن أصله : " إله" فأسقطوا الهمزة من أوله، وجعلوا الألف واللام عوضاً منها، والذي يدل على ذلك أنهم جوزوا قطع الهمزة ليبدلوا على أنها قد صارت عوضاً عن همزة القطع، فلما كانت عوضاً عن همزة القطع، وهي حرف من نفس الاسم، لم يمتنعوا من أن يجمعوا بينهما"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 195/2.

<sup>2</sup> - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 239/4، 240.

<sup>3</sup> - الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 231.

إضافة إلى ما سبق، فإن النحاة العرب أجازوا نداء لفظ الجلالة (الله) دون وساطة وصلة النداء؛ " لأنه كثر في استعمالهم، فخف على ألسنتهم، فجازوا فيه ما لا يجوز في غيره"<sup>(1)</sup>.

#### • التحليل الصوتي لنداء لفظ الجلالة ( الله ) سبحانه وتعالى :

يحدث التجانس الصوتي في هذا المنادى على المستوى المنطوق عند مد ألف حرف النداء " يا " ومد الحركة القصيرة ( الفتحة ) في اللام الثانية في لفظ الجلالة. ويمكن تمثيل هذا النطق بالرسم الكتابي على النحو التالي: " يا ااا اللا ااه . ولهذا التجانس دلالة صوتية تتمثل في مد الصوت وإطالته. وهذا المد يحدث تناغماً ( انسجاماً ) صوتياً في نطق المقاطع الصوتية المكونة لهذا النداء. ويفضي المد الصوتي لهذا المنادى إلى معانٍ تداولية يمكن استبطانها من مقامات هذا النداء. ومن هذه المعاني على سبيل المثال لا الحصر، الاسترحام أو الاستعطاف أو الاستغفار... الخ .

#### • تداولية نداء لفظ الجلالة ( الله ) سبحانه وتعالى :

لاستعمال حرف النداء " يا " دلالة تداولية هي قدسية منزلة رب العالمين؛ لأن هذا الحرف لا يستعمل إلا لمناداة البعيد. فعلو المنزلة يناسبها استعمال هذا الحرف دون غيره من حروف النداء. ولاستعمال لفظ الجلالة ( الله ) أيضاً دلالة تداولية تتمثل في استحضر جميع صفات الله؛ فلفظ الجلالة يدل عليها جميعاً. ومن أمثلة هذا النداء قولنا: " يا الله، أنت نصير المظلومين. ومن هذا المثال يمكن استنتاج بعض المعاني التداولية ولنا أن نجملها بما هو آتٍ: من المعاني التداولية التي قد تُفهم من مقام هذا النداء تقديس الخالق سبحانه وتعالى فهو المتفرد بصفاته المطلقة وهو القوي المتين ناصر المظلومين، وقد أُسْتُعْمِلَ حرف النداء "يا" ليناسب هذا المقام.

<sup>1</sup> - الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 231 .

## • نداء لفظ الجلالة ( الله ) بصيغة " اللهم " :

لم يرد نداء لفظ الجلالة ( الله ) بصيغة النداء : " يا الله " في القرآن الكريم، ولكنه ورد

بصيغة " اللهم ". استعملت هذه الصيغة في القرآن الكريم وفي خطب العرب.

## • حقيقة صيغة النداء " اللهم " :

اختلف النحويون في بيان حقيقة هذه الصيغة؛ " فذهب البصريون إلى أن هذه الصيغة تتكون من لفظ الجلالة ( الله ) والميم، وأن الميم عوض من " يا " التي للتنبيه، والهاء مضمومة لأنه نداء، ولهذا لا يجوز أن يجمعوا بينهما، فلا يقولون " يا اللهم " لئلا يجمعوا بين العوض والمعوض. وذهب الكوفيون إلى أنها ليست عوضاً من "يا" وإنما الأصل فيه " يا الله أمنا بخير " إلا أنه لما كثرت في كلامهم، وجرى على ألسنتهم، حذفوا بعض الكلام تخفيفاً. واستدلوا على ذلك بقولهم:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ أَلْمَأَ أَقُولُ: يَا اللَّهُمَّ، يَا اللَّهُمَّ

فجمع بين " الميم " و " يا "، ولو كانت عوضاً عنها لم يجمع بينهما، لأن العوض والمعوض لا يجتمعان<sup>(1)</sup>.

يوافق الأنباري رأي البصريين في هذه المسألة ويعدّه صحيحاً، ويرد رأي الكوفيين

ويعدّه فاسداً<sup>(2)</sup>.

ومهما تعددت الآراء في بيان حقيقة هذه الصيغة، فإن ما يهمننا هو بيان تداولية هذه

الصيغة في واقع الاستعمال اللغوي لها.

<sup>1</sup>- الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 232، ص 233. وانظر الشاهد في : يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1258/3. وينسب البيت لأمية بن أبي الصلت.

<sup>2</sup> - انظر: الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 233. وانظر: الأنباري، عبد الرحمن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مسألة 47، 1/ 279- 283 .

## • تداولية صيغة النداء " اللهم " :

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم، وفي خطب العرب؛ لأن مقام هذه الصيغة طلب العون والمساعدة من الله تعالى. وقد تتعدد المعاني التداولية في هذه الصيغة بسبب تعدد مقاماتها واختلافها.

تظهر تداولية هذه الصيغة في أمرين:

1- حذف حرف النداء " يا ". لحذف هذا الحرف معنى تداولي هو تقريب المنادى من النفس. فالعبد المؤمن ينادي رب العالمين عز وجل، وهو يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى قريب منه في كل الأحوال ( في كل زمان ومكان ). ففي الدعاء يستشعر العبد المؤمن عظمة خالقه ويتيقن من إجابته.

2- حذف الميم في صيغة " اللهم ". لحرف الميم دلالة الجمع. ولا يقصد بهذا الجمع العدد الكثير المتعارف عليه في الجموع. ولكنه الجمع المطلق الذي له دلالة التعظيم وعلو المنزلة. ولاستعمال ضمير الجمع في آيات القرآن الكريم ( نحن، واو الجماعة، نا، ميم الجمع ) دلالة التعظيم.

ومن شواهد هذه الصيغة في القرآن الكريم قوله تعالى: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير" (1).

قيلت هذه الآية الكريمة في مقام تعظيم رب العالمين. فهو ملك الملوك، وهو صاحب القدرة المطلقة. " فبقدرته فتح المسلمون مكة وعز شأنهم. ووعد رسولنا الكريم أمته ملك فارس والروم" (2).

ويمكن توليد بعض المعاني التداولية من مقام النداء في هذه الآية وإجمالها بما هوأت:

1 - سورة آل عمران . آية ( 26 ) .

2 - انظر: الصابوني ، محمد علي. صفوة التفسير، 1/177.

سبق أسلوب النداء في هذه الآية بفعل الأمر " قل " ولهذا السبق معنى تداولي يتمثل في تكريم سيدنا محمد عليه السلام ونصره وتأييده بالكرامات والمعجزات، فقد نصره على القوم الكافرين في مواطن كثيرة وأعز شأنه في مكة، وفي حياته عز شأن المسلمين وقوي حكمهم وبهديه فتحوا بلاد العجم وأقاموا الحكم الإسلامي فيها.

وفي استعمال صيغة النداء " اللهم " معنى تداولي يتمثل في استحضر جميع صفات الله وأسمائه. فالله تعالى يملك كل شيء فهو ملك الملوك العزيز الجبار ذو الفضل الكبير وملكه باق لا يزول، وملك كفار قريش زائل لا قيمة له. ونلمح من مضمون جملة متمم النداء في هذه الآية معنى تداولياً يتمثل في تقريع وذم وتوبيخ كفار قريش الذين لم يؤمنوا برسالة التوحيد. فالله تعالى أذل الشرك والمشركين وأعز رسوله الكريم وصحابته الغر الميامين وجعلهم الغالبين على أعدائه وأعدائهم إلى يوم الدين.

فإن الله تعالى هو المعز والمذل والمعطي والمانع ( أسماء فاعلين ) بيده كل الخير وقدرته مطلقة لا يحدها حد.

واستعملت هذه الصيغة في خطب العرب في مقام الدعاء وطلب العون والمساعدة من رب العالمين سبحانه وتعالى. ومن الأمثلة على هذا الاستعمال، دعاء أبي بكر الصديق بعد صلاة العصر: " اللهم انصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين " (1).

استعملت هذه الصيغة في مقام طلب النصر من الله تعالى. ومن مقام النداء في هذا الدعاء تتولد المعاني التداولية التالية:

في استعمال صيغة النداء " اللهم " معنى تداولي يتمثل في تعظيم الله تعالى وتنزيهه، فهو الناصر المعين لعباده المخلصين والقادر على إهلاك الطغاة والفاستدين والمؤيد لأولياءه المستضعفين.

<sup>1</sup> -صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب. 199/1.

وفي استعمال فعل الأمر " انصر" معنى تداولي يتمثل في توسل المؤمن وتضرعه وتذلل وانكساره لمولاه رب العالمين. فالمؤمن يستشعر عظمة الله تعالى ويؤمن بقدرته المطلقة ويثق بنصره وتأييده وهذا يدل على تقواه.

#### • أسماء لازمت النداء:

استعملت العرب في كلامها في مقام النداء بعض الأسماء الخاصة بهذا المقام. ووصف سيبويه هذا الاستعمال بقوله: "ومن هذا النحو أسماء اختص بها الاسم المنادى لا يجوز منها شيء في غير النداء، نحو: يا نومان، ويا هناه، ويا لؤمان، ويا خبات، يا فل" (1). أنزل سيبويه هذه الأسماء منزلة المنادى المعرفة المرفوع كالعلم والنكرة المقصودة؛ " لأن كل اسم في النداء مرفوع معرفة، مثل يا رجل، يا فاسق، وصار معرفة؛ لأنك أشرت إليه وقصدت قصده" (2).

لقد استعملت هذه الأسماء في مقامات ندائية خاصة. وهذه الأسماء " هي صفات دائمة عاملها العرب معاملة المعرفة، ومنها: هناه ومعناها رجل سوء، لؤمان بمعنى لئيم، نومان بمعنى كثير النوم، خبات بمعنى خبيث، فل، فلة" (3).

#### • تداولية هذه الأسماء :

لاستعمال هذه الأسماء بعد تداولي يتمثل في استعمالها في مقامات ندائية معينة، فهي أسماء تدل على صفات سيئة كاللؤم والخبث والكذب والغدر. فقد تستخدم في مقام ذم المنادى وتحقيره. وإنكار صفة سيئة فيه.

واستعملت هذه الأسماء في مقام مناداة عموم جنس الإنسان (المذكر والمؤنث). فقد كتبت العرب عن عموم جنس الرجال بقولها: يا فل بمعنى يا رجل، وكتبت عن عموم جنس النساء بقولها: يا فلة. بمعنى يا امرأة (4).

1- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 198/2.

2- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون. 197 /2 .

3- المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 237/4.

4- انظر: نهر، هادي . التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية. ص 294.

فلهذه الأسماء جميعها دلالة تداولية خاصة لا تكون إلا في مقام النداء. قد يتولد من هذه الدلالة دلالات كثيرة كالذم أو التحقير أو الاستهزاء أو الزجر أو تقريب المنادى بهدف مناداة جميع جنسه (المذكر والمؤنث). ولا تستعمل هذه الأسماء إلا في مقام النداء؛ "لأنها في النداء معارف، وهي كناية له"<sup>(1)</sup>.

وقد تخرج هذه الأسماء عن معرفيتها، فتستعمل في غير النداء في موطن الضرورة الشعرية". "ومن شواهد هذا الاستعمال، قول أبي النجم :

تَدَافُعُ الشَّيْبِ وَلَمْ تَقْتُلِ      فِي لَجَّةِ أَمْسِكُ فَلَانًا عَنْ قُلِّ  
موطن الشاهد : قُلِّ، وقد جُرَّ للضرورة الشعرية"<sup>(2)</sup>.

لم يرد استعمال هذه الأسماء في القرآن الكريم؛ لأن مقامات النداء في القرآن الكريم لا يناسبها استعمال مثل هذه الأسماء فيها. وأما في كلام العرب (نثرهم وشعرهم)، فقد استعملوا العلم والنكرة المقصودة في مقامات النداء أكثر من استعمال هذه الأسماء. فهما (العلم والنكرة المقصودة) يقومان مقام هذه الأسماء في التعريف والدلالة.

#### • المنادى العلم الموصوف بـ ( ابن ، ابنة ) :

جعل النحاة العرب للمنادى العلم الموصوف بـ ( ابن ، ابنة ) إعرابين: البناء على الفتح أو البناء على الضم، شريطة أن يكون لفظ " ابن " أو " ابنة " مضافاً إلى اسم علم<sup>(3)</sup>. فقد بنوه على الفتح؛ لأنهم جعلوه بمنزلة اسم واحد لما كثر في كلامهم. ومن شواهده قول الشاعر:<sup>(4)</sup>

يا حَكمَ بنَ المنذرِ بنِ الجارودِ      سِرادقُ المجدِ عليكِ ممدودِ

<sup>1</sup> - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 235/4، 238 .  
<sup>2</sup> - انظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 60/3 . وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1238/3 ، 1242 .  
<sup>3</sup> - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 203/2 - 205 .  
<sup>4</sup> - انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 232-231/4 . وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1141/3. الشاهد بلا نسبة

فالمنادى " حكم" مبني على الفتح ( موصوف ) والأصل فيه أن يُبنى على الضم في محل نصب؛ لأنه منادى علم، ولكنهم اتبعوه، في الإعراب، للفظ " ابن " المضاف المنصوب؛ لأنه صفة المنادى. فسبب إتباع الموصوف ( حكم ) الصفة ( ابن ) في الإعراب أنهم جعلوا هذين الاسمين ( المنادى وصفته ) كالاسم الواحد لكثرة الاستعمال.

فبناء المنادى العلم الموصوف بـ ( ابن ، ابنة ) على الفتح خلافٌ للأصل؛ لأن الأصل فيه أن يكون مبنياً على الضم في محل نصب. " فمخالفة الأصل عند النحاة العرب هي أسلوب من أساليب التوليد والابتكار. وهذا دليل على أن منهج التفكير الاستبدالي عند العرب كان على قدر كبير من الحيوية والحركة الدائبة التي تعمل على رقي التفكير اللغوي، والصعود به إلى درجة عالية من التطور"<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن لفتحتي المنادى العلم الموصوف وصفته ( حكمَ بنَ ) دلالة صوتية تتمثل في إحداث تجانس صوتي في نطقهما. " و لفتحة المنادى ( حكم ) دلالة الحدث على المعين به ومعنى ذلك أن الفتحة بينت المقصود بالحدث وهو المنادى<sup>(2)</sup>. و لفتحتيهما ( المنادى وصفته ) معنى تداولي هو إنزال هذين الاسمين منزلة الاسم الواحد بسبب كثرة الاستعمال. وقد تتولد من هذا المعنى معانٍ تداولية يمكن استبطانها من مقام النداء. من هذه المعاني الفخر أو العتاب أو الذم.... الخ.

وأما بناؤه على الضم، فهو الأصل ( الأجود )<sup>(3)</sup>؛ لأن المنادى العلم بنوه على الضم في محل نصب، فجعلوا حركته البناء على الضم. فـ " حكمُ " هو منادى مبني على الضم في محل نصب وهو الموصوف. وأما " ابن " فهو صفة المنادى ( الموصوف ) وَنُصِبَ بالفتحة على الإتياع والموضع.

<sup>1</sup> - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 380، 381 .

<sup>2</sup> - انظر: دلالة الفتحة في المرجع السابق. ص 379 .

<sup>3</sup> انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 231/4 .

ولضمة المنادى العلم الموصوف " دلالة التقريب. والمقصود بالتقريب أنك تدني إليك من تخاطبه، سواء أكان قريباً في المكان منك أم بعيداً. إن وجود الضمة متأت من كونك قد منحت المنادى العلم قريباً منك. وهذه الدلالة تداولية لا يحملها اللفظ نفسه " (1).

ورد هذا النوع من النداء في القرآن الكريم في ثلاثة شواهد فقط، وهذه الشواهد لم تظهر على المنادى فيها علامة إعراب أو بناء؛ لأن المنادى اسم مقصور ( عيسى عليه السلام). من هذه الشواهد، قوله تعالى: " إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك" (2).

خاطب الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام في مقام تذكيره بالنعم التي رزقه بها هو وأمه، " فقد منَّ عليه بما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات. وهذه المعجزات والخوارق هي، أيضاً، دليل وبرهان قاطع على براءة مريم عليها السلام من التهم الباطلة التي رميت بها" (3). " وفي سرد النعم تقريع لمن رأى هذه الأحداث والنعم ولم يلتزم الإيمان بالله بعدها" (4).

وورد هذا النوع من النداء في النثر العربي في شواهد قليلة جداً، نذكر منها قول النعمان بن بشير لقيس بن سعد في وقعة صفين: " يا قيس ابن سعد، أما أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه؟" (5).

قيل هذا الكلام في مقام الإنصاف في الحكم. ويمكن استبطان المعاني التداولية التالية من هذا المقام:

في استعمال حرف النداء " يا" معنى تداولي يتمثل في ذم النعمان لقيس بن سعد لأن قومه لم يقبلوا بالحكم العادل. فمقام الذم يناسبه استعمال حرف النداء " يا" لأن الذم يبعد الإنسان

1 - استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 377، 378. بتصرف.

2- سورة المائدة. من آية ( 110 ) ، ووردت صيغة النداء نفسها في آية ( 112 ) وآية ( 116 ) من السورة نفسها .

3 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير، 1/344.

4 - الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي . مج 6 . ص 3452 .

5 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 1/366.

عن أخيه الإنسان ويجعلهما متخاصمين ونلمح في جملة متم النداء الاستفهامية معنى تداولياً آخر هو مدح النعمان ابن بشير لنفسه وقومه؛ لأنهم بادروا إلى الصلح والمسامحة وحل النزاع. وهذا المدح يقابله ذم وتوبيخ لقيس بن سعد وقومه الذين لم يقبلوا المصالحة والعفو. وفي جملة متم النداء يظهر معنى تداولي آخر يتمثل في أن العدل أساس الحكم في الإسلام، فبه يقوى الحكم وتسعد الرعية.

وأما في الشعر فقد ورد هذا النوع من النداء في شواهد قليلة جداً، نذكر منها، قول

سلمة بن الخرشب الأنماري: (1)

وإنك يا عام ابن فارس قُرْزُلٌ معيذٌ على قبيلِ الخنا والهواجرِ

قيل هذا البيت في مقام ذم عامر بن الطفيل؛ لأنه يعاود الشر مرة بعد مرة ولا يقول

إلا الكلام القبيح. والمنادى "عام" هو منادى مرخم للعلم "عامر" (2). ومن مقام النداء في هذا

البيت نلمح المعاني التداولية التالية:

أُستعمل حرف النداء "يا" في هذا البيت لمعنى تداولي هو ذم عامر بن الطفيل. فالذم يفضي إلى

ابتعاد الذام عن المذموم ويجعلهما متخاصمين. وفي ترخيم المنادى "عام" معنى تداولي هو

إظهار صفات عامر بن الطفيل السيئة وإنكارها، من هذه الصفات معاودة الشر مره بعد مرة

والقول القبيح. وجملة متم النداء في هذا البيت هي جملة اسمية مؤكدة وفيها أكدت صفات عامر

بن الطفيل السيئة. والتوكيد أفضى إلى معنى تداولي آخر هو دعوة الناس إلى الابتعاد عنه

ومخاصمته وعدم التعامل معه، لأن أخلاقه سيئة.

<sup>1</sup> - الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 38. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 421/1.

<sup>2</sup> - انظر: الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 38.

## • نعت المنادى :

وصف النحاة العرب حالات نعت المنادى العلم على النحو التالي:

- 1- " يجوز في نعت المنادى العلم المفرد الرفع أو النصب. فالرفع على اللفظ والإتباع، والنصب على الموضع. فيجوز أن نقول: يا زيدُ العاقلُ، أَقْبِلْ. ويا زيدُ العاقلَ أَقْبِلْ.
  - 2- لا يجوز في نعت المنادى العلم المفرد، إذا كان هذا النعت مضافاً إلى غيره، إلا النصب. فنقول: يا زيدُ ذا الجمة. فقولنا: يا زيدُ ذا الجمة، بمنزلة يا ذا الجمة.
- وفي الشعر :

أزِيدُ أَخَا وَرْقَاءَ إِنْ كُنْتَ ثَائِرًا  
فَقَدْ عَرَضْتَ أَحْنَاءَ حَقِّ فَخَاصِمِ

- موضع الشاهد : أخا ورقاء. فنعت المنادى ( زيد ) هو " أخا " وهو مضاف، ولا يجوز فيه إلا النصب؛ لأنه بمنزلة قولنا : أخا ورقاء " (1).
- وفي بيان إعراب نعت المنادى المضاف يقول المبرد: " وأما المنادى المضاف فنعته لا يكون إلا نصباً، مفرداً كان أو مضافاً، وذلك قولك: يا عبدَ الله العاقلُ؛ لأنك إن حملته على اللفظ فهو منصوب، والموضع موضع نصب " (2).

## • تداولية نعت المنادى المرفوع :

يظهر البعد التداولي في رفع نعت المنادى في أمرين :

- 1- دلالة الضمة: لضمة النعت دلالة التقريب. واكتسب النعت هذه الدلالة من دلالة ضمة المنادى (المنعوت) (3).

<sup>1</sup> - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 183/2، 184 .

- وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 933/2. والشاهد بلا نسبة.

<sup>2</sup> - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 209/4.

<sup>3</sup> - انظر: استنبطية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الضمة، ص 377 .

2- لاستعمال النعت دون المنعوت في الواقع اللغوي معنى تداولي يتمثل في استبدال التابع بالمتبوع. فقد ننادي النعت دون المنعوت، ويكون لهذا النداء معنى تداولي أو أكثر يفرضه المقام. وهذا الاستعمال يكشف عن حقيقة التفكير الاستبدالي الذي استغله العرب في استعمال ظواهر لغوية كثيرة منها التوابع. فقد ننادي النعت المرفوع افتخاراً أو تعجباً أو ذماً أو تشجيعاً... الخ.

#### • تداولية نعت المنادى المنصوب :

يظهر البعد التداولي في نصب نعت المنادى في استعمال الفتحة، إذ إنَّ لهذه العلامة الإعرابية " دلالة الحدث على المعين به " (1). فنحن نوجه النداء ( نقصده ) إلى شخص معين. وللفتحة، أيضاً، معنى استبدالي يتمثل في استعمال النعت دون المنعوت؛ لأنه يقوم مقامه ويساويه في المعنى. فمناداة النعت المنصوب قد تكون لمعنى تداولي معين كالحث على العمل أو الإعجاب أو الافتخار أو الاستبطاء أو التشجيع أو الذم أو التوبيخ ... الخ.

فتداولية التوابع تكمن في أن التابع يتبع المتبوع في الإعراب والمعنى. وقد يحل الأول (التابع ) مكان الثاني ( المتبوع ) لمعنى تداولي يفرضه المقام.

#### • توكيد المنادى :

عامل النحاة العرب توكيد المنادى العلم المفرد معاملة نعتة. فقد أجازوا فيه الرفع على اللفظ والإتباع أو النصب على الموضع (2). ويظهر هذا الأمر في قول سيبويه: "وأما يا تميم أجمعون فأنت فيه بالخيار، إن شئت قلت أجمعون، وإن شئت قلت أجمعين، ولا ينتصب على أعني، من قبل أنه محال أن تقول أعني أجمعين. ويدلك على أن أجمعين ينتصب؛ لأنه وصف لمنصوب قول يونس: المعنى في الرفع والنصب واحد" (3).

1- انظر : المرجع السابق ، ص 379 .

2 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/ 184 .

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، 2/ 184 .

يتضح من قول سيبويه أن العرب عاملت التوكيد " أجمعين " معاملة النعت فهو مرفوع على اللفظ والإتباع ومنصوب على الموضع؛ لأن المعنى فيهما واحد.

ولم يجيزوا الرفع في التوكيد المضاف إلى الضمير، بل عدوه منصوباً؛ لأنه مضاف إلى الضمير. بيّن سيبويه ذلك، مستنداً إلى قول الخليل، فقال: " وسألته عن يا زيدُ نفسه، ويا تميم كلكم، ويا قيسُ كلهم، فقال: هذا كله نصب، كقولك: يا زيدُ ذا الجمّة "(1).

نصب النحاة العرب التوكيد المضاف؛ لأنهم عدوه منادى مضافاً منصوباً. فيجوز لنا أن نقول: يا كلهم، فيكون لفظ " كل " منادى مضافاً منصوباً، ويكون الضمير مضافاً إليه. وقد نستبدل الضمير فيكون النداء: يا كل قيس ويا نفس زيد ... ألخ .

#### • تداولية توكيد المنادى المرفوع :

يظهر البعد التداولي في رفع توكيد المنادى في أمرين:

1- دلالة الضمة في اللفظين ( نفس ، عين ) : لضمة التوكيد المعنوي ( نفس ، عين ) دلالة التقريب، واكتسب التوكيد هذه الدلالة من دلالة ضمة المنادى ( المؤكد). ولـ " واو " أجمعين نفس الدلالة؛ لأنها والضمة علامتا رفع(2).

2- لاستعمال التوكيد دون المؤكد في الواقع اللغوي معنى تداولي يتمثل في استبدال التابع بالمتبوع. فقد ننادي التوكيد دون المؤكد، ويكون لهذا النداء معنى تداولي أو أكثر يفرضه المقام. وهذا الاستعمال يكشف عن حقيقة التفكير الاستبدالي الذي استغله العرب في ظواهر لغوية كثيرة منها التوابع. وهذا يدل على سعة العربية ومرونتها في الاستعمال.

وعليه فقد يستعمل توكيد المنادى المرفوع في مقامات معينة، ويكون لهذا الاستعمال معاني تداولية منها : التقريب النفسي والتحبب والفخر والاستحسان والتعجب والذم ... ألخ.

<sup>1</sup> المرجع السابق، 184/2 .

<sup>2</sup> انظر : استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي، دلالات الضمة . ص 377 .

## • تداولية توكيد المنادى المنصوب :

يظهر البعد التداولي في نصب توكيد المنادى في استعمال الفتحة، إذ إن هذه العلامة الإعرابية " دلالة الحدث على المعين به " (1). وللفتحة أيضاً معنى استبدالي يتمثل في نداء التوكيد دون المؤكد؛ لأنه يقوم مقامه ويساويه في المعنى. ولاستعمال التوكيد دون المؤكد معنى تداولي يفرضه المقام. فقد يُستعمل توكيد المنادى منصوباً لمعنى الوصف أو الفخر أو الذم...الخ.

## • بدل المنادى :

وصف الفارسي بدل المنادى بقوله: " وأما البديل فإنك تقول فيه : يا زيدُ زيدُ أقبل، فلا تتون زيداً إذا أبدلت. وكذلك تقول: يا زيد أخانا" (2).

يتضح من كلام الفارسي أن بدل المنادى العلم، إذا كان مفرداً غير مضاف، لا يكون إلا مبنياً على الضم في محل نصب. بين ذلك الجرجاني بقوله: " يا زيدُ زيدُ إذا أبدلت بمنزلة يا زيدُ يا زيدُ، وإذا كان كذلك لم يكن إلا الضم؛ لأن المفرد المقصود بالخطاب إذا ولي " يا " لم يكن فيه إلا البناء على الضم" (3).

وأما بدل المنادى العلم إذا كان مضافاً فلا يكون إلا منصوباً؛ " لأن البديل، إذا كان في حكم تكرير العامل كان بمنزلة قولك: يا زيدُ يا أخانا" (4). فبديل المنادى العلم منصوب؛ لأنه مضاف على تقدير: يا أخانا. والبديل " أخانا" يسد مسد المبدل منه " زيد " في الاستعمال؛ لأنهما يدلان على معنى واحد.

1 - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالة الفتحة . ص 379 .

2- الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 2/ 775 .

3 - المرجع السابق. مج 2/ 775 ، 776 .

4 - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 2/ 776 .

## • تداولية بدل المنادى المرفوع :

يظهر البعد التداولي في رفع بدل المنادى في أمرين :

1- دلالة الضمة في بدل المنادى: لضمّة بدل المنادى دلالة التقريب، واكتسب البديل هذه الدلالة من دلالة ضمة المنادى ( المبدل منه ) (1).

2- لاستعمال البديل دون المبدل منه في الواقع اللغوي معنى تداولي يتمثل في استبدال البديل بالمبدل منه. فقد ننادي البديل دون المبدل منه، ويكون لهذا النداء معنى تداولي أو أكثر يفرضه المقام. وتظهر استبدالية البديل في إحلال البديل ( التابع ) محل المبدل منه. وقد أحسن العرب صنفاً حينما سموه بدلاً. فقد ننادي بدل المنادى المرفوع استحساناً أو استهجاناً أو فخراً أو ذمّاً ... الخ.

## • تداولية بدل المنادى المنصوب :

يظهر البعد التداولي في نصب بدل المنادى في استعمال الفتحة أو الألف، إذ إنّ للفتحة أو الألف " دلالة الحدث على المعين به"(2). فأنت عندما تنادي: يا زيد أخانا أو يا زيد رجلاً الموافق، فإنك تقصد مناداة البديل ( أخا ، رجل ). ولهذا الاستعمال معنى استبدالي يتمثل في نداء البديل دون المبدل منه؛ لأنه يقوم مقامه ويساويه في المعنى. وهذا الاستبدال يفضي إلى معنى تداولي أو أكثر يفرضه المقام. فقد ينادى بدل المنادى المنصوب فخراً أو تشجيعاً أو استحساناً أو استبطاءً .. الخ.

## • عطف المنادى :

وصف النحاة العرب عطف المنادى العلم بقولهم: "وأما العطف بحرف، فنحو: يا عمرو والحارثُ والحارثُ"، إذا عطف اسماً فيه الألف واللام على مفرد، جاز فيه وجهان: الرفع والنصب. تقول في الرفع: "يا زيدُ والحارثُ"، وهو اختيار الخليل وسيبويه والمازني،

1 - انظر: استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الضمة ، ص 377 .  
2 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الفتحة . ص 379 .

وقرأ الأعرج: " يا جبالُ أوبي معه والطيرُ" (1). وتقول في النصب: " يا زيدُ والحارثُ"، وهو اختيار أبي عمرو ويونس، وعيسى بن عمر، وأبي عمر الجرمي، وقراءة العامة: " يا جبالُ أوبي معه والطيرُ" بالنصب (2).

يتضح من الوصف السابق أن النحاة العرب رفعوا ( بنوا على الضم ) الاسم المعطوف على اللفظ، فاتبعوه إلى المنادى العلم المبني على الضم. ونصبوه على المحل؛ لأن المنادى العلم في الأصل منصوب؛ لأن النداء كله نصب. وقد بين الخليل حقيقة هذا الإعراب، بقوله: " فإنما نصب؛ لأن هذا كان من المواضع التي يُردُّ فيها الشيء إلى أصله. والرفع هو القياس؛ لأن العرب أكثروا من استعماله" (3).

ومن الشواهد التي استعملت العرب فيها عطف المنادى العلم مرفوعاً ومنصوباً قول الشاعر: (4)

ألا يا زيدُ والضحَّاكُ سيرا      فقدْ جاوزتُما خَمَرَ الطَّرِيقِ  
يروى " الضحاك" بالرفع والنصب.

#### • دلالة عطف المنادى :

يتبع الاسم المعطوف الاسم المعطوف عليه في الإعراب والعدد والنوع والتعريف والتكثير. وهذه التبعية تشترك فيها كل التوابع ( النعت، التوكيد، البدل، العطف). لكن العطف يختلف عن بقية التوابع في أنه لا يتسم بخاصية الاستبدال (الإحلال) المتحققة في النعت والتوكيد والبدل. فيمكن لنا أن نستبدل النعت بالمنعوت أو التوكيد بالمؤكد له أو البدل بالمبدل منه لمعنى تداولي أو أكثر.

1 - سورة سبأ من آية ( 10 ).

2 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 328/1.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 186/2، 187 بتصرف .

4 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص.111. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 614/2. الشاهد بلا نسبة .

إنَّ سبب اختلاف العطف عن بقية التوابع هو دلالة حرف العطف. فحرف العطف (على تعدده واختلاف معناه) يربط بين المعطوف عليه والمعطوف، ويكون لهذا الربط دلالة أو دلالات معينة تتولد من السياق الذي تستعمل فيه، وهي ما نسميها دلالة السياق. وقد يتولد من هذا الربط في مقام معين معنى تداولي أو أكثر يفرضه هذا المقام ويستدعيه. وهو ما نسميه دلالة المقام (دلالة تداولية) (1).

ونورد مثلاً على ذلك العطف بالواو. لو اء العطف دلالات كثيرة (سياقية أو مقامية). فواو العطف لا تكون لمعنى الجمع والمشاركة فقط. " وقد تستعمل الواو لتربط بين تركيبين، يكون ثانيهما توضيحاً للأول وبياناً له، وذلك كما في: " اسكت ولا تتبس ببنت شفة". فليس المقصود هنا الجمع بين السكوت وعدم التكلم بكلمة ( بنت شفة ). إذ إنَّ عدم التكلم بكلمة يعني السكوت. ولكن المقصود السكوت عن كل كلام سواء أكان متصلاً بموضوع الحديث، أم ليس له به صلة " (2). وهذا القصد ( المعنى السياقي) يفضي إلى معانٍ تداولية تفهم من المقام الذي قيلت فيه هذه الجملة. ويمكن إجمال هذه المعاني بما هو آتٍ:

جهل المخاطب ( المستقبل) بموضوع الحديث وغيره من الموضوعات واستهتار المتكلم (المرسل ) بالمخاطب ( المستقبل ) واحتقاره له وتسلب المتكلم ( المرسل ) واستفراذه بالرأي دون الآخرين ومعرفة المتكلم ( المرسل ) المسبقة بأن المخاطب ( المستقبل ) لا يستطيع الرد ولا يحسن الإجابة؛ فطلب منه عدم التكلم .

#### • تداولية عطف المنادى:

تظهر تداولية عطف المنادى في استعمال حرف العطف؛ لأن لكل حرف من حروف العطف دلالة معينة يظهرها السياق. ودلالة السياق قد تفضي إلى معنى تداولي أو أكثر يفرضه

<sup>1</sup> -انظر: استيتيه، سمير. منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. دلالة السياق ، ودلالة المقام. من ص129 / 132.

<sup>2</sup> - المرجع السابق. ص 149.

المقام ويستدعيه. ولبیان هذا الأمر نذكر المثال التالي: " يا محمدُ لا خالدُ، نظم هذا الحفل وحدك".

في المثال السابق استعمل حرف العطف " لا ". والمعنى : أنادي محمداً وادعوه لينظم الحفل وحده، ولا أنادي خالدًا، فهذا المعنى السياقي. والمعنى السياقي قد يفضي إلى معنى تداولي أو أكثر يفرضه المقام ويستدعيه. من هذه المعاني:

ثقة المنادي ( المتكلم ) بمحمد تفوق ثقته بخالد في إنجاز هذا العمل وتميُّز محمد بمؤهلات تجعله قادراً على إنجاز هذا العمل بكفاية واقتدار، فالمنادي ( المتكلم ) يعلم علم اليقين أن خالدًا لا يمكنه إنجاز هذا العمل بالكيفية والقدرة التي يتصف بها محمد. ويجدر القول أن لكل حرف من حروف العطف دلالاته في السياق، ودلالاته في السياق قد تفضي إلى معنى تداولي أو أكثر عند استعماله في مقام معين. فتداولية العطف تكمن في استعمال حرفه في مقام معين. ومن هذا المقام ( ظروف الاستعمال ) يمكن لنا استنتاج المعاني التداولية الواردة فيه.

#### • تداولية التوابع:

سميت التوابع ( النعت، التوكيد، البدل، العطف ) بهذا الاسم؛ لأن التابع ( النعت، التوكيد، البدل، العطف ) يتبع متبوعه ( المنعوت، المؤكد له، المبدل منه، المعطوف عليه ) في الإعراب والنوع والعدد والتعريف والتكثير. وهذه التبعية هي تبعية نحوية.

تتمثل تداولية التوابع ( النعت، التوكيد، البدل ) في استعمال التابع ( النعت، التوكيد، البدل ) محل المتبوع ( المنعوت، المؤكد له، المبدل منه ) في سياق معين وفي مقام معين، فيكون لهذا الاستعمال دلالة تداولية . ويمكن الاعتماد على المقام ( ظروف الاستعمال ) في استبطان المعاني التداولية المتولدة منه.

أما تداولية العطف، فإنها تظهر في استعمال حرف العطف في مقام معين؛ فيكون لهذا الاستعمال دلالة تداولية أو أكثر بسبب استعمال حرف العطف المعين في مقام معين. ومن هذا المقام يمكن لنا أن نستبطن المعاني التداولية المتولدة منه.

### • المطلب الرابع: وصف باب " الندبة " والتحليل التداولي له

#### • مفهوم الندبة : في اللغة والاصطلاح

الندبة لغة: " نَدَبَ الميت أي بكى عليه، وعدّد محاسنه، يَنْدُبُهُ نَدْبًا، والاسم النُدْبَةُ، بالضم. والندبة باب من أبواب النحو؛ كل شيء في ندائه "وا" ! فهو من باب الندبة"<sup>(1)</sup>.

والندبة اصطلاحاً: " هي نداء موجّه للمتجع عليه، أو المتوجع منه، الغرض منها إظهار أهمية المندوب والإعلام بعظمته؛ لأن المتجع عليه، هو مَنْ أصابته المنية إصابة حقيقية، كقولك لمن مات : وا عثمان، أو إصابة حكمية كقولك تندب نفسك حين أخبرت بمصيبة حلتْ ببلد: وا عمراه. وأما المتوجع منه فهو الذي يستقر به الألم، مثل: وا قلباه"<sup>(2)</sup>.

ووصف السيرافي هذا الباب من النداء بقوله: " الندبة تفجع ونوح من حزن وغم يلحق النادب على المندوب عند فقده، فيدعوه وإن كان يعلم أنه لا يجيب لإزالة الشدة التي لحقته لفقده"<sup>(3)</sup>.

ووصف سيوييه المنادى المندوب بقوله: " اعلم أنّ المندوب مدعو ولكنه متجع عليه"<sup>(4)</sup>.

يتضح من الوصف السابق للندبة أنها أسلوب خاص من أساليب النداء المتعددة والمختلفة. وهذا الأسلوب لا يقال إلا في مقام معين له ظروفه وملابساته الخاصة به .

وعليه، لقد خصص النحاة العرب لهذا الأسلوب حرف النداء " وا " ليناسب مقامه. وأجازوا استعمال حرف النداء " يا " أيضاً، لمناداة المندوب؛ لأن في استعمال الحرفين يمكن لنا

1 - ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي. 87/14 .

2 - بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي . 1101 /2 .

3 - سيوييه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. 2/هامش ص 220.

4 - المرجع السابق . 220/2 .

أن نطيل الصوت ونمده. وقد عبر عن ذلك سيبويه بقوله: "واعلم أنّ المندوب لا بد له من أن يكون قبل اسمه "يا" أو "وا"، كما لزم "يا" المستغاث به والمتعجب منه" (1).

وأجاز النحاة العرب إلحاق ألف الندبة للمنادى المندوب؛ لإظهار التفجع والحزن. وقد بين ذلك سيبويه بقوله: "فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يتزمنون فيها؛ وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء" (2). وألحقوا، أيضاً، المنادى المندوب بعد ألف الندبة صوت الهاء (هاء السكت). ولا تذكر "هاء السكت" في نداء المنادى المندوب إلا في حالة الوقف، وتحذف في الوصل (3).

وعلل الأنباري اختيار النحاة العرب لحرفي النداء "وا" أو "يا" لمناداة المندوب وزيادة ألف الندبة وهاء السكت في آخره بقوله: "وإنما زيدت "وا" أو "يا" في أوله، و"ألف وهاء" في آخره ليمدّ بها الصوت، ليكون المندوب بين صوتين مديدين، وزيدت الهاء بعد الألف؛ لأن الألف خفية، والوقف عليها يزيدا خفاء؛ فزيدت الهاء عليها في الوقف، لتظهر الألف بزيادتها بعدها في الوقف" (4).

وعلل ابن جني اختيار ألف الندبة للمنادى المندوب، فقال: "وجاءت مدة الندبة إظهاراً للتفجع، وإيداناً بتناكر الخطب الفاجع، والحدث الواقع. والغرض من ذلك إنما هو مطل الصوت، ومدّه وتراخيه، والإبعاد فيه لمعنى الحادث هناك. وإذا كان الأمر كذلك فالألف أحق به دون أختيها؛ لأنها أمدهن صوتاً، وأندهن، وأشدهن إيعاداً وأناهن" (5).

يتضح من التعليقات السابقة، أن النحاة العرب فسروا اختيار حروف مناداة

المندوب (وا، يا، ألف الندبة، هاء السكت) تفسيراً صوتياً. هذا على المستوى الصوتي.

1 - سيبويه ، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. 220 / 2.

2 - المرجع السابق. 220/2.

3 - انظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق. كتاب الجمل في النحو ، تحقيق علي توفيق الحمد. ص 176.

4 - الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 243.

5 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. 157/3.

أما على المستوى التداولي، فإن لهذه الحروف معنى تداولياً هو إظهار التفجع والحسرة والحزن والأسى على المندوب لفقده. وقد صرّح سيبويه بهذا المعنى في تعريفه للمندوب حين قال: "اعلم أنّ المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه"<sup>(1)</sup>.

ولأنّ مقام مناداة المندوب مقام تعريف وقصدية موجهة إلى متفجع عليه معين؛ فقد ندب النحاة العرب العلم والنكرة المقصودة والمضاف والشبيه بالمضاف<sup>(2)</sup>؛ لأنّ مقام كل مندوب من هذه المندوبات مقام تعريف وقصدية موجهة. وهو مقام التفجع والتحسر وإظهار الحزن. وعلل الأنباري ندب المعرفة دون النكرة العامة بقوله: "فلمّ وجب ألاّ يندب إلاّ بأعرف أسمائه وأشهرها؟ قيل: ليكون ذلك عذراً للنادب عند السامعين؛ لأنهم إذا عذروه شاركوه في التفجع والرزية، فإذا شاركوه في التفجع، هانت عليه المصيبة"<sup>(3)</sup>.

وعليه، فإنّ جلّ النحاة العرب لم يجيزوا ندب المبهم من ضمير واسم إشارة وموصول، واسم جنس مفرد، ونكرة، فلا يقال: وا أنتاه، ولا واهذاه، ولا وا منّ ذهباه، ولا وا رجلاه؛ لأنّ ذلك لا يقع به العذر للمتفجع لإبهامه"<sup>(4)</sup>.

وأجازوا ندب كلّ معرف مقصود بالندب كالموصول الذي له صلة تعينه، ومثاله: وا منّ حفر بئر زمزماه. وكالنكرة المقصودة، ومثالها: وا رجل؛ لأنهما في الشهرة كالعلم.<sup>(5)</sup> وفي بيان ندب المنادى المضاف يقول ابن جنّي: "وإذا ندبت المنادى المضاف وهو معرفة، أوقعت المدّة على آخر المضاف إليه، تقول: واعبد الملكاه"<sup>(6)</sup>.

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. 2/ 220.  
2 - انظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم. 66/3.  
3 - الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 243، 244.  
4 - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 66/3، 67 بتصرف.  
5 - انظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 66/3.  
وانظر: بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي، 2/ 1101.  
6 - ابن جنّي، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 121.

وليبيان الكيفية التي يندب بها المندوب الموصوف يقول ابن يعيش: "ولا تلحق ألف الندبة الصفة، لا تقول: "وا زيدُ الظريفاه" عند سيبويه والخليل؛ لأن الصفة ليست المقصود بالندبة، وإنما المندوب الموصوف. وذهب الكوفيون، ويونس من البصريين إلى جوازه. وقالوا: إن الصفة والموصوف كالشيء الواحد. والمذهب الأول، إذ ليست الصفة كالمضاف إليه، لأن المضاف إليه داخل في المضاف، ولذلك يلزمه، وأنت في الصفة بالخيار، إن شئت تصف، وإن شئت لا تصف" (1).

وتبع الأنباري البصريين في رأيهم، فأجاز ندبة المضاف إليه؛ "لأن المضاف لا يتم بدون ذكر المضاف إليه، بخلاف الموصوف مع الصفة فإن الموصوف يتم بدون ذكر الصفة" (2).

وبيّن سيبويه التغييرات التي تجري على حركة المنادى المندوب بعد إضافة ألف الندبة وهاء السكت، فقال: "واعلم أنّ الألف التي تلحق المندوب تفتح كل حركة قبلها مكسورة كانت أو مضمومة؛ لأنها تابعة للألف، ولا يكون ما قبل الألف إلا مفتوحاً. فنقول في ندبة "زيدُ": وا زيداه، بفتح دال "زيد" بعد الندبة. وإذا أضفنا "زيد" إلى ياء المتكلم وأردنا ندبة، فإننا نقول، أيضاً: "وا زيداه" بحذف ياء المتكلم أو تقصيرها إلى كسرة وقلب الكسرة إلى فتحة لتتناسب ألف الندبة" (3).

وفصل سيبويه القول في هذه التغييرات فأضاف: "فأمّا ما تلحقه الألف فقولك: وا زيداه، إذا لم تضاف إلى نفسك، وإن أضفت إلى نفسك، فهو سواء، لأنك إذا أضفت زيدا إلى نفسك فالدال مكسورة وإذا لم تضاف فالدال مضمومة، ففتحت المكسور كما فتحت المضموم" (4).

1 - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 359/1.

2 - الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. 300/1 مسألة 52 .

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 220/2. بتصرف

4 - المرجع السابق، 220/2 ، 221 .

وأجاز سيبويه ندب المضاف إلى ياء المتكلم بإبقاء ياء المتكلم وإضافة ألف الندبة وهاء السكت. فنقول في ندبة " زيد " : وا زيدياه<sup>(1)</sup>.

ولعل سيبويه فعل التغييرات السابقة لسبب صوتي محض هو إحداث تجانس صوتي بين الصوتين المديدين: "وا" الندبة وألف الندبة الملحقة بالمندوب. وهذا التجانس الصوتي يفضي إلى معنى تداولي هو إظهار تفجّع النادب على المندوب. وهذا المعنى هو معنى " الندبة " الأصل.

وأجاز سيبويه الندبة دون إلحاق ألف الندبة وهاء السكت، فقال: "وإذا لم تلحق الألف قلت: وا زيد إذا لم تضاف، و وا زيد إذا أضفت، وإن شئت قلت: وا زيدي. والإلحاق وغير الإلحاق عربي فيما زعم الخليل ويونس"<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق أن العرب حققوا المعنى التداولي للندبة باستعمال حرف الندبة المخصص لها وهو "وا" الندبة تارة، وباستعمال ألف الندبة وهاء السكت تارة أخرى .

وجعل سيبويه ألف الندبة تابعة لما قبلها إن كان مكسوراً فهي ياء، وإن كان مضموماً فهي واو<sup>(3)</sup>. وتبعه ابن جني فقال: " فإنك تقلبها ياء، تقول إذا ندبت غلام امرأة: واغلامك، تقلب الألف ياء للكسرة قبلها، ولم تقل: واغلامكاه، لئلا يلتبس بالمذكر. وتقول: إذا ندبت غلامه: واغلامهوه، تقلب الألف واواً لانضمام الهاء قبلها، ولم تقل : وا غلامهاه، لئلا يلتبس بالمؤنث. وتقول إذا ندبت غلامهم: وا غلامهموه، فتبدل، أيضاً، الألف واواً، ولم تقل: وا غلامهاه، لئلا يلتبس بالثنية"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: المرجع السابق، 221/2 .

<sup>2</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، 221/2.

<sup>3</sup> - انظر: المرجع السابق ، 224/2.

<sup>4</sup> - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص121، 122.

وعلل ابن جني التغييرات التي تطرأ على ألف الندبة، بقوله: " فأما مجيئها تارة واواً، وأخرى ياء فثانٍ لحالها، وعن ضرورة دعت إلى ذلك؛ لوقوع الضمة والكسرة قبلها. ولولا ذلك لما كانت إلا ألفاً أبداً"<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول أن النحاة العرب جعلوا ألف الندبة واواً تارة وياءً تارة أخرى لسببين: سبب صوتي هو إحداث تجانس صوتي بين الواو والضم الذي يسبقها أو الياء والكسر الذي يسبقها. أما السبب الثاني فهو سبب تداولي وهو إظهار التقجع والحزن على المندوب. ولا يظهر المعنى التداولي للندبة إلا باستعمال هذه الحروف ( الألف، الواو، الياء)؛ لأنها " حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمد للصوت"<sup>(2)</sup>.

ولأن مقام الندبة مقام تعريف وإشهار للمندوب ( المتجع عليه)؛ فقد أجاز النحاة العرب ندبة المضاف إلى المخاطب، ولم يجيزوا نداءه. وقد علل الأنباري هذا الأمر بقوله: " لأن المندوب لا يُنادى ليحيب، بل ينادى ليظهر النادب مصيبتَه، وأنه قد وقع في أمر عظيم، وخطب جسيم ويظهر تقجعه كيف لا يكون في حالة مَنْ إذا دعي أجاب، وأما المنادى فهو مخاطب، فلو جاز نداؤه لكان يؤدي إلى أن يجمع فيه بين علامتي خطاب، وذلك لا يجوز"<sup>(3)</sup>.

#### • حكم المنادى المندوب

إن المنادى المندوب نوع خاص من المناديات له مقامه، لكن أحكامه لا تختلف عن أحكام المنادى من حيث الإعراب؛ فهو مبني على الضم إذا كان علماً مفرداً، أي: لا مضاف ولا مشبّه بالمضاف، مثل: " وا كريمٌ"، ومثل: " وا قلب"، أي: نكرة مقصودة، تعامل معاملة العلم

1 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. 157/3.

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 176/4.

3 - الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 245.

المفرد في البناء على الضم. أما إذا كان المنادى المندوب مضافاً أو مشبهاً بالمضاف فيجب نصبه، كقول الشاعر:

وا خادمَ الدين والفصحى وأهلها وحارسَ الفقه من زيغٍ وبهتانٍ

حيث ورد المنادى المندوب " خادم " منصوباً، لأنه مضاف. و " الدين " مضاف إليه. أما النكرة غير المقصودة فلا تصلح للندبة، وإذا اضطر الشاعر لتتوين المندوب فيجوز فيه الرفع والنصب كالمنادى<sup>(1)</sup>.

وردت الندبة في آيات القرآن الكريم في نداء الألفاظ التالية: " ويل، حسرة، أسف، ليت". فنداء كل لفظ من هذه الألفاظ التي وردت في آيات القرآن الكريم يتضمن مقام ندبة " يندب الإنسان فيه نفسه على ذلك المصير الأبدي الذي لا مفر منه في يوم الحساب، وهو نتيجة لما قدمت يده في الدنيا"<sup>(2)</sup>.

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: " يقول يا ليتني قدمت لحياتي"<sup>(3)</sup>. فمقام النداء في هذه الآية مقام ندبة؛ لأن الإنسان الكافر يندب حظه نادماً متحسراً على ما فاتته من عمل الخير في الدنيا الذي ينفعه في آخرته، ولكنه لم يفعل<sup>(4)</sup>.

ويمكن القول أن نداء " ويل ، حسرة، أسف، وليت" ومثلها نداء " ويح، ولهف" من الصيغ القوية في التعبير عن معنى الندبة<sup>(5)</sup>؛ لأن كل نداء منها يكشف عن شعور نفسي ذاتي عميق عند النادب. وهذا الشعور يفضي إلى معنى تداولي أو أكثر يستدعيه (يفرضه) مقام الندبة (ظروف استعمالها).

1 - انظر: بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي، 2/1101. الشاهد ينسب للسهيلى.

2 - عميرة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 40.

3 - سورة الفجر. آية ( 24 ).

4 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير، 3/531.

5 - انظر: عميرة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 43.

وعليه، فقد أبدع شعراء العربية في استعمال هذه الألفاظ في مقامات الندبة المتعددة. وتظهر هذه الاستعمالات في شعر الرثاء؛ لأن الرثاء يتضمن معنى الندبة وهو البكاء على الميت وتعداد محاسنه<sup>(1)</sup>. من هذه المعاني التحسر وإظهار الحزن واليأس... الخ.

اتخذت الندبة في الشعر العربي ألواناً متعددة ومختلفة. فعبروا عنها بألفاظ كثيرة، مثل: قلبي، كبدي، لهف نفسي، لييتني، عيني. وشعر الرثاء عند الخنساء خير مثال على ذلك. فقد ندبت الخنساء أخاها صخرًا بألفاظ متعددة، منها: "لهف نفسي، عيني".

ومن شواهد الندبة في شعرها قولها: <sup>(2)</sup>

- يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت خيل لخير تنادي ثم تضطرب.

- أعيني فيضي ولا تبخلي فإنك للدمع لم تبدلي.

وقال الشنفرى الأزدي متألماً على فراق صاحبه أميمة فراقاً لا حيلة له في رده: <sup>(3)</sup>

فواكبدا على أميمة بعد ما طمعت، فهبها نعمة العيش زلت

يكشف استعمال الألفاظ الخاصة بالندبة ( قلبي، عيني، كبدي، لهف نفسي) عن شعور نفسي ذاتي صادق للنادب تجاه المندوب. فالنادب يختار الألفاظ التي تدل على عمق المأساة في نفسه. "وربما كان تعدد ألوان الندبة عاكساً لصورة الاضطراب النفسي الذي يحل بالنادب؛ فيعرب عن ضعفه عن التحمل. ولذا عده النحاة ضرباً خاصاً من الكلام"<sup>(4)</sup>.

واستعملت العرب الندبة في نثرها. واتخذ هذا الاستعمال ألواناً متعددة من ألوان الندبة، منها ندب الأعضاء ( أعضاء الجسد) والتحسر على فقدانها، وذلك نحو قول حكيم بن جبيل عندما قطعت ساقه: <sup>(5)</sup>

يا ساق لا تراعي إنّ معي ذراعي أحمي بها كراعي.

نادى حكيم بن جبيل ساقه مستخدماً أداة نداء البعيد "يا"؛ لأن مقام نداء "الساق" مقام ندبة. فالشاعر يتحسر على ساقه التي قطعت ويندب حظه. واستعملت أداة النداء "يا"؛ لأن مقام

1 - انظر: ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 138/5.

2 - شرح ديوان الخنساء، ص 13 ، 120 .

3 - الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 108.

4 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 46.

5 - صفوت، أحمد زكي . جمهرة خطب العرب. 370/2.

ندبة الأعضاء يتطلب مد الصوت وإطالته. وفي مد الصوت إظهار للتفجع والتحسر على المندوب ( المفقود).

### • تداولية " الندبة " :

يظهر البعد التداولي للندبة عند استعمالها في مقام ندب الميت والتفجع عليه. ويمكن إجمال تداولية الندبة فيما هو آت:

خصص النحاة العرب حرف النداء " وا " لمناداة المندوب؛ لأن فيه مداً للصوت يناسب مقام الندبة. ولا تكون الندبة إلا به (1). وأجازوا استعمال حرف النداء " يا " في مناداة المندوب؛ لأن فيه أيضاً مداً للصوت يناسب مقام الندبة. ويستدل على مقام الندبة الذي نستعمل فيه حرف النداء " يا " من السياق والقرينة (2).

ومنع النحاة العرب حذف حرف الندبة؛ لأن مقام الندبة يستوجب إثباته وذكره. فمقام الندبة يتطلب مد الصوت وإطالته لإظهار التفجع والتحسر؛ ولا يكون هذا المد إلا بذكر حرف الندبة (3). ولا يندب بحرف الندبة إلا المعرفة أو المضاف إلى معرفة؛ لأن مقام الندبة مقام تعريف وقصدية موجه إلى متفجع عليه أو متوجع منه (4).

ولإظهار معنى التفجع والتحسر في مقام الندبة فقد زادوا ألفاً على آخر المندوب تسمى ألف الندبة؛ ليكون المندوب بين صوتين مديدين (5). وزادوا أيضاً الهاء ( هاء السكت ) بعد ألف الندبة؛ لأن الألف خفية، والوقف عليها يزيد لها خفاءً؛ فزيدت الهاء عليها في الوقف؛ لتظهر الألف بزيادتها بعدها في الوقف (6).

وتقلب ألف الندبة إلى واو مدية إذا سبقت بضم وإلى ياء مدية إذا سبقت بكسر؛ لإحداث تجانس صوتي وإظهار معنى الندبة ( التفجع والتوجع والتحسر ) . والألف والواو

1 - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان . الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 2/220 .

2 - انظر: الحمد، علي توفيق والزعبي، يوسف جميل . المعجم الوافي في النحو العربي. ص 361.

3 - انظر: بابتي، عزيزة فوال . المعجم المفصل في النحو العربي. 2/1101 .

4 - انظر: الحمد، علي توفيق والزعبي، يوسف جميل . المعجم الوافي في النحو العربي. ص 361.

5 - انظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 243.

6 - انظر: المرجع السابق. ص 243.

والياء هي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت. والمد فيها يناسب مقام الندبة<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن للندبة معنى تداولياً عاماً يتمثل في التفجع والتحسر والتوجع على الميت

وبكائه.

• **المطلب الخامس: وصف باب "الاستغاثة" والتحليل التداولي له**

• **مفهوم الاستغاثة: في اللغة والاصطلاح**

للاستغاثة مفهوم لغوي وآخر اصطلاحي. فالاستغاثة لغة: " طلب الإعانة؛ لأن الإغاثة بمعنى الإعانة. الاستغاثة مصدر الفعل استغاث. والجذر الثلاثي للفعل " استغاث " غاث (غيث). نقول: غاث الغيث الأرض: أصابها. وغاثم الله وأصابهم غيث، وغاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا أنزل بها الغيث"<sup>(2)</sup>.

و الاستغاثة اصطلاحاً: " نداء يقصد منه دعوة مَنْ يعين على دفع بلاء أو شدة. ولا يستعمل له من أحرف النداء إلا "يا". ولا يجوز حذفها في هذا الباب"<sup>(3)</sup>.

والاستغاثة أسلوب نداء خاص له مقامه. فهو " يستعمل عند تعرض الإنسان لأمر شديد لا يستطيع دفعه أو التغلب عليه، فينادي من يستطيع إنقاذه مما هو فيه. وللاستغاثة أركان لا بد منها حتى يتم هذا الأسلوب وهي: أداة النداء، المستغاث به، والمستغاث له"<sup>(4)</sup>.

وصف المبرد هذا الباب بقوله: " فإذا دعوت شيئاً على جهة الاستغاثة فاللام معه مفتوحة. تقول: يا للناس. وفي الحديث: لما طعن العليج، أو العبد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صاح: يا لله للمسلمين. فإن دعوت إلى شيء فاللام معه مكسورة"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 121. وانظر: سيبويه،

عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 4/176.

<sup>2</sup> - ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 10/153 بتصرف.

<sup>3</sup> - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

3/95.

<sup>4</sup> - السامرائي، إبراهيم عبود. الأساليب الإنشائية في العربية: النمط والاستعمال. ص 84.

<sup>5</sup> - المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 4/254.

يتضح من الوصف السابق أن النحاة العرب جعلوا للمدعو ( المستغاث به ) لام مفتوحة. وللمدعو له ( المستغاث له ) لام مكسورة؛ وفعلوا ذلك ليفصلوا في المعنى بين المدعو (المستغاث به) والمدعو له ( المستغاث له). وبين الجرجاني هذا الأمر بقوله: "واللام المفتوحة خُصَّتْ بالمستغاث دون المستغاث إليه، لأجل أن المستغاث منادى، والمنادى جارٍ مجرى المضمرات. ولام الجر تفتح في المضمر، ألا ترى إلى لَكْ ولَه. وموجب الفتح في الأصل هو الفصل بين المدعو والمدعو إليه إذ لو قيل يا لزيد لبكر، بكسر اللامين لم يعلم الفصل بين المدعو والمدعو إليه"<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول أن حركة لام المستغاث به تخضع للاستعمال، فلا تبقى مفتوحة على أصل وضعها. فتكسر لام المستغاث به المعطوف إن لم تتكرر معه "يا". وشاهد ذلك قول الشاعر:<sup>(2)</sup>

بيكيك ناءٍ بعيدُ الدارِ مغترباً      يا للكهولِ وللشبانِ للعجبِ

وتكسر، أيضاً، إذا كان المستغاث به ياء المتكلم، نحو: يا لي لولدي<sup>(3)</sup>. وتفتح لام

المستغاث به المعطوف وجوباً إن تكررت "يا"،

وشاهد ذلك قول الشاعر: <sup>(4)</sup>

يا لقومي ويا لأمثالِ قومي

لإناسِ عتوهُمُ في ازديادِ

ويفصح ابن هشام عن حركة لام المستغاث له في واقع الاستعمال، فيقول: "وأما

المستغاث له فيكون مجروراً بلام مكسورة دائماً على الأصل"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 789/2 بتصريف .

<sup>2</sup> - انظر: المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، 255/4، 256.

وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 106/1. الشاهد بلا نسبة .

<sup>3</sup> - انظر: الحمد، علي توفيق والزعبي، يوسف جميل. المعجم الوافي في النحو العربي. ص 375.

<sup>4</sup> - انظر: ابن هشام، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ص 238. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 245/1.

الشاهد بلا نسبة.

<sup>5</sup> - ابن هشام، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص

238.

وفي بيان استعمالية المستغاث به يقول: "وللمستغاث به استعمالان آخران، أحدهما: أن تُلْحِقَ آخره ألفاً؛ فلا تلحقه حينئذ اللام من أوله، وذلك كقوله:

يا يزيداً لآملٍ نيلٍ عزٍّ                      وغنىً بعدَ فاقةٍ وهوانٍ

والثاني: أن لا تدخل عليه اللام من أوله، ولا تلحقه الألف من آخره، وحينئذ يجري عليه حكم المنادى، فنقول على ذلك: "يا زيد لعمرؤ" بضم زيد، و"يا عبد الله لزيد" بنصب عبد الله، قال الشاعر:

ألا يا قومٍ للعجبِ العجيبِ                      وللغفلاتِ تعرُّضُ للأريبِ<sup>(1)</sup>.

في الاستعمال الأول موضع الشاهد "يزيداً" منادى مستغاث به؛ لأن مقام النداء فيه مقام استغاثة. وفي الاستعمال الثاني موضع الشاهد "قوم" والأصل "قومي" منادى مضاف. والمعنى: أدعوكم للعجب<sup>(2)</sup>.

ولا يستغاث إلا بمعرفة؛ لأن الاستغاثة تكون موجهة إلى مقصود. "ولا بد أن يكون المستغاث به علماً أو مضافاً أو شبيهاً بالمضاف أو نكرة مقصودة أو معرفاً بأل مجروراً بلام مفتوحة، والجار والمجرور متعلقان بـ "يا"؛ لأن معناها "أستغيث"<sup>(3)</sup>.

بيّن النحاة العرب حقيقة المستغاث به، فجعلوه معرفاً في جميع حالاته؛ لأن مقام الاستغاثة مقام تعريف وقصدية موجهة. ولا توجه الاستغاثة إلا إلى مستغاث به معرفة. وأجازوا حذف المستغاث به. ويأتي المستغاث له بعد "يا"، مثل: "يا لي" والتقدير: صاحبت اللئيم فأصبت في الصميم فيا لي<sup>(4)</sup>. ولعلمهم حذفوا المستغاث به لوجود قرينة تدل عليه كما في المثال السابق.

وأجازوا، أيضاً، حذف المستغاث له إذا أمن اللبس، كقول عدي بن زيد:

فهل من خالدٍ إمّا هلكنّا                      وهل بالموتِ يا للناسِ عارٌ

<sup>1</sup> - ابن هشام ، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ص 240، 241 . وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1026/2 ، 131/1 . والشاهد بلا نسبة.

<sup>2</sup> - انظر: ابن هشام ، عبد الله جمال الدين . قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص 240 ، 241 .

<sup>3</sup> - الحمد، علي توفيق والزعبي، يوسف جميل. المعجم الوافي في النحو العربي. ص 375.

<sup>4</sup> - انظر: بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي ، 979/2.

وقد حذف المستغاث له. والتقدير: "يا للناس للشامتين"<sup>(1)</sup>.

واستعملت العرب صيغة الاستغاثة في مقام التعجب بلام مفتوحة بما يشبه لام

المستغاث به. وذلك نحو قول فرار الأسيدي: <sup>(2)</sup>

لَخُطَّابُ لَيْلَى يَا لَبْرَثْنَ مِنْكُمْ      أَدْلُ وَأَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمَقَانِبِ

"قال الشاعر هذا البيت في مقام تعجبه من "برثن" الذين قد داخلوا امرأته (ليلى)

وأفسدوها عليه، وجعلهم في الاهتداء إلى إفسادها لانتزاعها منه أهدى من سليك بن السلكة. وهو أحد عدائي العرب وصعاليكهم، وكان يسمى أيضاً "سليك المقانب". وقالوا: يا للَّعْجَبِ ويا للَّمَاءِ، لما رأوا عجباً أو رأوا ماءً كثيراً، كأنه يقول: تعال يا عجب أو تعال يا ماء فإنه من أيامك وزمانك"<sup>(3)</sup>.

فالصيغ الندائية السابقة (يا لبرثن، يا للعجب، يا للماء) هي صيغ ندائية تشبه صيغة

الاستغاثة في الشكل (البنية) لكنها قيلت في مقام التعجب.

لم يرد أسلوب الاستغاثة في القرآن الكريم؛ لأن مقامات هذا الأسلوب لا تتناسب مع

المعاني والأغراض التي قصدتها آيات القرآن الكريم. ويمكن القول أن أساليب النداء الأخرى قد تكون مناسبة لمقاصد آيات القرآن الكريم وأغراضها أكثر من أسلوب الاستغاثة.

واستعملت العرب هذا الأسلوب في كلامها (في الشعر والنثر)، وهو استعمال قليل،

ومن شواهده في الشعر قول مهلهل: <sup>(4)</sup>

يَا لَبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كَلِيباً      يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ

المستغاث به في الشاهد "بكر" وهو مكرر. قال المهلهل هذا البيت في مقام الثأر

لمقتل أخيه (كليب). فهو يتحدى بني بكر بن وائل ويتوعددهم بالقتل المستمر، ويتهددهم

<sup>1</sup> - انظر: بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي، 980/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل.

المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 342/1.

<sup>2</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 217/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل.

المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 126/1.

<sup>3</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 217/2 بتصرف.

<sup>4</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 215/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل.

المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 340/1.

ويستطيل عليهم. فالمستغاث به " بكر " في حقيقته مستغاث له؛ لأن " بكر " بحاجة إلى من يخلصها من ثأر المهلهل ووعدده وتهديده<sup>(1)</sup>.

ولمقام الاستغاثة في هذا البيت المعاني التداولية التالية:

لاستعمال حرف النداء "يا" معنى تداولي يتمثل في تنبيه قبيلة بكر إلى جدية تهديد " مهلهل " لهم، فقد توعددهم بالانتقام منهم وهددهم بالقتل المستمر؛ لأنهم قتلوا كليباً.

في اختيار المستغاث به " بكر " وتكراره في البيت معنى تداولي يتمثل في ذم " بكر " وتوبيخها؛ لأنها قتلت كليباً. وفيه أيضاً معنى تداولي آخر هو إظهار حقد المهلهل وغضبه عليهم؛ فقد توعددهم بالقتل المستمر انتقاماً لمقتل أخيه كليب.

وفي استعمال الفعل " انشروا " معنى تداولي هو تعجيز بكر وتهديدها؛ لأنها لا تستطيع إحياء كليب بعد موته، ولأنها لا تقوى في نظر المهلهل على مواجهته والانتصار عليه وعلى قومه. فمهلهل يعد كل واحد من أفراد عشيرة " بكر " مهدداً بالقتل والثأر؛ لأن تبعة مقتل كليب يتحمل مسؤوليتها كل فرد من أفراد عشيرة " بكر ".

ومن شواهد في النثر قول سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما طعن: يا الله للمسلمين. استغاث سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالله تعالى القوي الجبار لينصر المسلمين الضعفاء. فمقام الاستغاثة في قول سيدنا عمر بن الخطاب هو طلب النصر للمسلمين.

ويمكن لنا أن نستبطن بعض المعاني التداولية المتولدة من هذا المقام منها:

في استعمال حرف النداء "يا" معنى تداولي هو الاستغاثة بالله تعالى وطلب معاونته ونصره. فالله تعالى خير من تطلب معاونته وأقوى من يُستغاث به. وفي الاستغاثة بالله تعالى تعظيم لقدرته عز وجل وإعلاء لشأنه وتقديس لصفاته فهو المغيث والناصر والمعين.

<sup>1</sup> - انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، 215/2.

في استعمال لفظ الجلالة ( المستغاث به ) معنى تداولي يتمثل في تعظيم رب العزة وتنزيهه؛ فهو القوي الجبار المنتقم، وفيه أيضاً استحضار لكل صفات الله تعالى المطلقة فهو المغيث لا ربّ سواه.

وفي استعمال المستغاث له ( للمسلمين ) معنى تداولي يتمثل في خوف عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على المسلمين وحرصه عليهم، فهو يطلب من ربنا العون والمساعدة لهم؛ لأنهم ضعفاء وفقراء إلى رحمته ومغفرته ونصره وتأييده.

#### • تداولية الاستغاثة:

يظهر البعد التداولي للاستغاثة عند استعمالها في مقامات معينة في الأمور التالية:

أولاً : خصص النحاة العرب حرف النداء "يا" لمناداة المستغاث به والمتعجب منه؛ لأن فيه مداً للصوت يناسب مقام الاستغاثة والتعجب. وقد بين ذلك سيبويه بقوله: "وأما المستغاث به فـ "يا" لازمة له؛ لأنه يجتهد. فكذلك المتعجب منه، وذلك : يا للناس، ويا للماء. وإنما اجتهد لأن المستغاث عندهم متراخٍ أو غافل والتعجب كذلك" (1).

ثانياً : لم يجز النحاة العرب حذف حرف النداء "يا" المخصص لمناداة المستغاث به والمتعجب منه؛ لأن مقامها يتطلب مد الصوت وإطالته. ولا يتحقق هذا الأمر إلا بإثبات الحرف. بيّن سيبويه ذلك بقوله: "وأما المستغاث به فـ "يا" لازمة له" (2).

ثالثاً : جعل النحاة العرب حركة لام المستغاث به مفتوحة لسببين:

أ- سبب صوتي: وهو إحداث تجانس صوتي بين ألف المد في "يا" وفتحة اللام. يتمثل التجانس الصوتي بينهما في الاتساع. فالألف حرف لين ومد، ومخرجه متسع لهواء الصوت (3).

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 231/2.

2 - المرجع السابق ، 231/2.

3 - انظر : المرجع السابق، 176/4.

والفتحة حركة أمامية متسعة غير مدورة<sup>(1)</sup>. والامتداد فيها يفضي إلى مد الصوت. ومد الصوت يفضي إلى معنى تداولي هو تبييه المستغاث به وحفره على الإسراع في تلبية الاستغاث.

ب- سبب دلالي: لفتحة لام المستغاث به الدلالة على الإفصاح<sup>(2)</sup>؛ فالمستغاث في الاستغاث يكشف عن شعور نفسي ذاتي إفصاحي انفعالي فهو يطلب من المستغاث به في موقف انفعالي معين تلبية الاستغاث وتحقيقها. وقد تتولد من دلالة الإفصاح معانٍ تداولية أخرى يستدعيها المقام. من هذه المعاني على سبيل المثال الشكوى أو طلب المغفرة أو إظهار الخوف... الخ.

رابعاً: جعل النحاة العرب حركة لام المستغاث له مكسورة لسببين:

أ- سبب صوتي: وهو إحداث مخالفة صوتية بين حركة لام المستغاث به وحركة لام المستغاث له. فالمستغاث به هو مَنْ يستغاث به لتلبية الاستغاث، وأما المستغاث له فهو مَنْ تُطَلَّبُ الاستغاث له وتُوجَّه إليه " فالفتحة حركة أمامية متسعة غير مدورة"<sup>(3)</sup> تناسب مقام المستغاث به. وأما الكسرة فهي " حركة أمامية ضيقة غير مدورة"<sup>(4)</sup> تناسب مقام المستغاث له. فالامتداد يناسب مقام المستغاث به. والضيق يناسب مقام المستغاث له.

ب - سبب دلالي: لكسرة لام المستغاث له دلالة النسبة<sup>(5)</sup>. أي نسبة الاستغاث للمستغاث له. فهو مَنْ تنسب وتوجه الاستغاث إليه. وقد تتولد من دلالة النسبة معانٍ تداولية أخرى يستدعيها المقام. كالاستغاث والنصرة والعون ورفع الظلم وبث الشكوى والحنن... الخ.

• **المطلب السادس: وصف باب " الترخيم" والتحليل التداولي له**

• **مفهوم الترخيم: في اللغة والاصطلاح**

للترخيم مفهوم لغوي وآخر اصطلاحى. فالترخيم لغة: " التليين. والترخيم مصدر للفعل

الثلاثي المضعف " رَخَّمَ" ورَخَّمَ الكلام والصوت ورَخَّمَ رَخامةً، فهو رَخِيمٌ: لان وَسَهْلًا. و كلام

<sup>1</sup> - استثنائية، سمير. اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج. ص 57.

<sup>2</sup> - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الفتحة. ص 379، 380.

<sup>3</sup> - استثنائية، سمير. اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج. ص 57.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص 57.

<sup>5</sup> - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الكسرة. ص 378.

رخيم أي رقيق. وَرَخِمَتِ الجارية رخامة، فهي رخيمة الصوت ورخيمٌ إذا كانت سهلة المنطق<sup>(1)</sup>. وأما " الترخيم" اصطلاحاً فهو: " حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً"<sup>(2)</sup>.

فصل سيبويه القول في باب " الترخيم"، فقال: " واعلم أنّ الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا أنّ يضطر شاعر، وإنما كان ذلك في النداء لكثرتة في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التتوين، وكما حذفوا الياء من قومي ونحوه في النداء"<sup>(3)</sup>.

يتضح من الكلام السابق أن العرب استعملت أسلوب الترخيم في النداء؛ لأنه كثير في كلامهم. فكثر الاستعمال دفعته إلى الحذف (الترخيم). وأجازوا استعمال الترخيم في غير النداء في موطن الضرورة الشعرية. وحملوا الترخيم (حذف أواخر الأسماء) على حذف التتوين والياء من قومي ونحوه في النداء.

ولا يقع الترخيم على كل الأسماء المناديات. فقد وضع النحاة العرب شروطاً للاسم المنادى الذي يجوز ترخيمه وهي " أن يكون منادى مفرداً معرفة على أكثر من ثلاثة أحرف، أو تكون في آخره هاء التانيث وإن كان على ثلاثة أحرف. فإن نقص من هذه الشرائط شيء لم يجز ترخيمه"<sup>(4)</sup>.

وعليه، فإننا نرخم كل اسم مفرد معرفة يكون على أكثر من ثلاثة أحرف ومثاله: " حارث" فنقول في ترخيمه: يا حارُّ أو يا حارٍ. ونرخم أيضاً كل اسم يكون في آخره هاء التانيث وإن كان على ثلاثة أحرف، ومثاله: " سلمة" فنقول في ترخيمه: يا سلم. وقالت العرب في ترخيم " شاة": يا شا. وفي ترخيم " ثبة": يا ثبُّ، وفي ترخيم " جارية": يا جاري<sup>(5)</sup>.

ويمكن القول أن العرب أكثرت من استعمال المنادى العلم المرخم في الشعر؛ لأن هذا الاستعمال يتناسب مع ما يتطلبه الموقف الشعري من خفة وليونة، لاسيما في النداء. وقد

<sup>1</sup> - ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 179/5.

<sup>2</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 239/2.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، 239/2.

<sup>4</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 240/2.

<sup>5</sup> - انظر: المرجع السابق، 241/2.

استعمل المرقش الأصغر تلويناً خاصاً في نداء صاحبتة "فاطمة" بما يتناسب مع وزن وقافية القصيدة التي ينشدها، حين أطال فتحة الميم في " فاطمة"، فجعلها ألفاً<sup>(1)</sup>، يقول: (2)

ألا يا اسلمي ثم اعلمي أنّ حاجتي إليك، فرُدِّي من نوالك فاطما

موضع الشاهد: "فاطما" وهو منادى علم مرخم " فاطم". ولعل الشاعر أطال فتحة الميم (أطال الحركة القصيرة) لإقامة الوزن الشعري، ولأن المد يناسب مقام النداء. فالمد ينسجم مع حاجة الشاعر إلى وصل المحبوبة ولقائها. فمقام النداء يكشف عن بعض المعاني التداولية المتولدة منه، من هذه المعاني: شدة اشتياق الشاعر إلى محبوبته، وتقرب الشاعر إلى محبوبته وأسهم في إظهار هذين المعنيين حذف حرف النداء وإطالة فتحة الميم (إطالة الحركة القصيرة) المشعرة بشدة اشتياق الشاعر إلى محبوبته.

لكن سيبويه علل هذا التغيير بقوله: "واعلم أنّ الشعراء إذ اضطروا حذفوا هذه الهاء في الوقف، وذلك لأنهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلاً منها"<sup>(3)</sup>.

ورخمت العرب العلم الذي يكون على أكثر من ثلاثة أحرف في موطن الضرورة الشعرية في غير النداء، وشاهد ذلك قول الأسود بن يعفر: (4)

وهذا ردائي عنده يستعيره ليسلّبني حقيّ أمال ابن حنظل

" والشاهد فيه ترخيم " حنظلة" وإجراؤه بعد الترخيم مجرى اسم لم يرخم، فلذا جره بالإضافة. وهو مما رُخّم في غير النداء ضرورة"<sup>(5)</sup>.

وفيما يتعلق بالحركة الإعرابية للمنادى العلم المرخم، فقد جعل النحاة العرب المنادى

العلم المرخم، تبعاً لهذه الحركة، على صورتين (لغتين)، هما:

1- " أن يُحذف آخر المنادى ويترك ما قبل المحذوف على حركته أو سكونه، نحو: " يا بئين".

1 - عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. ص 88.

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 242/2. انظر: الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون. ص 246.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 242/2.

4 - المرجع السابق، 246/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 781/2.

5 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 246/2.

2- أن يعامل المنادى بعد حذف الحرف الأخير كأنه اسم تام؛ فيبنى على الضم، نحو: "يا بئين"<sup>(1)</sup>. وقد سمى النحاة العرب الصورة ( اللغة) الأولى " لغة من ينتظر" والثانية " لغة من لا ينتظر"<sup>(2)</sup>.

اجتهد سيبويه في بيان كيفية ترخيم الأعلام المناديات التي تنطبق عليها شروط الترخيم؛ فقد وضع لكل علم منها باباً خاصاً بين فيه كيفية ترخيمه. من هذه الأبواب: "باب ما يحذف من آخره حرفان؛ لأنهما زيادة واحدة بمنزلة حرف واحد زائد، وذلك قولك في عثمان: يا عثم أقبل، وفي مروان: يا مرو أقبل، وفي أسماء: يا أسم أقبلي"<sup>(3)</sup>.

ونتيجة لهذا الاجتهاد؛ فقد طالت مناقشة سيبويه لباب الترخيم وتفصيلاته الكثيرة المتعلقة به. ولكنه أكد في نهاية الأمر أن الترخيم ظاهرة لغوية تتسم بالتداول، فهي تخضع لكثرة الاستعمال. بين ذلك في قوله: "وليس الحذف لشيء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر، وذلك لأنهم استعملوها كثيراً في الشعر، وأكثروا التسمية بها للرجال"<sup>(4)</sup>.

ومن الشواهد الشعرية التي تدل على كثرة استعمال الأعلام: حارث، مالك، عامر،

مرخمة، قول مهلهل بن ربيعة: <sup>(5)</sup>

يا حارٍ لا تجهل على أشياخنا  
إنا ذؤو السورات والأحلام

ويمكن القول أن العرب استعملت الأعلام ( حارث، مالك، عامر) مرخمة في مقام

النداء وفي موطن الضرورة الشعرية. وهو استعمال كثير. بين سيبويه هذه الكثرة بقوله: "وهو

في الشعر أكثر من أن أحصيه. وكلُّ اسم خاص رخمته في النداء فالترخيم فيه جائز وإن كان

في هذه الأسماء الثلاثة أكثر"<sup>(6)</sup>.

1 - البيهقي، سناء حميد. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. ص 443.

2 - انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 114، 115.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 256/2، 257.

4 - المرجع السابق، 251/2.

5 - المرجع السابق، 251/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو

الشعرية، 902/2.

6 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، 252/2، 253.

لم يرد المنادى المرخم في القرآن الكريم إلا في شاهد قرآني واحد هو قوله تعالى: "ونادوا يا مال ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون"<sup>(1)</sup>. موضع الشاهد: "مال" وهو منادى مرخم، والأصل: "مالك". "وهي قراءة شاذة قرأ بها عبدالله وعلي وابن وثاب والأعمش"<sup>(2)</sup>. أما الجمهور، فعلى قراءة: "ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون"<sup>(3)</sup>.

ويمكن القول أن القراء في قراءتهم المنادى المرخم "مال" تأثروا بالشعراء العرب الذين أكثروا من استعمال هذا العلم مرخماً في شعرهم في النداء وغير النداء.

وأما في الشعر، فقد أكثر الشعراء العرب من استعمال أسلوب الترخيم في شعرهم في مقام النداء وفي غير النداء في موطن الضرورة الشعرية. فرخمو الأعلام والنكرات المقصودة التي أنزلوها منزلة الأعلام في التعريف؛ لأن مقامها مقام تعريف وقصدية موجهة إلى معين.

والدليل على كثرة استعمال العرب للمنادى المرخم في مقام النداء وفي غير النداء في موطن الضرورة الشعرية قول سيبويه: "وهو في الشعر أكثر من أن أحصيه"<sup>(4)</sup>.

واستعملت العرب المنادى المرخم في مقام النداء في نثرهم. ومن شواهده في النثر قول عمرو بن سعيد بن العاص للحارث بن نوفل: "يا حار، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني"<sup>(5)</sup>. رخم المنادى العلم "حار" في هذا القول لمعنى تداولي هو العتاب، فعمرو يظهر عتبه على قوم الحارث؛ لأنه يطلب منهم حسن اللقاء كما فعله سيدهم الحارث.

وورد المنادى المرخم في مقام النداء في المثل العربي. ومن شواهده: المثل: أروغاناً يا ثعال، وقد علق بالحبال.<sup>(6)</sup> وثعالة: اسم للثعلب. وثعال: مرخم منه. ولتخيم المنادى "ثعلب" في هذا المثل معنى تداولي يتمثل في ذم وتوبيخ المراوغة؛ لأنها تدل على صفة سيئة عند الإنسان، والمراوغة تدل على كذب الإنسان ونفاقه.

<sup>1</sup> - سورة الزخرف، آية (77).

<sup>2</sup> - ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن، نشره برجستراسر. ص 136. وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 27/8.

<sup>3</sup> - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 27/8.

<sup>4</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 252/2.

<sup>5</sup> - صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب. 229/2.

<sup>6</sup> - الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. 53/2. مثل رقم 1616.

## • تداولية الترخيم:

يظهر البعد التداولي للترخيم عند استعماله في مقام النداء وفي موطن الضرورة

الشعرية فيما هو آت:

أولاً: رخمت العرب المنادى العلم في مقام النداء، وفي موطن الضرورة الشعرية لسبب صوتي هو: تقليل المقاطع الصوتية المكونة للمنادى المرخم. وقد عبر سيبويه عن هذا التقليل بقوله: " والترخيم حذف أو آخر الأسماء المفردة تخفيفاً. وليس الحذف لشيء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر، وذلك لأنهم استعملوها كثيراً في الشعر"<sup>(1)</sup>. فكثرة الاستعمال دفعتهم إلى التخفيف (تقليل المقاطع الصوتية للمنادى المرخم).

ثانياً: لترخيم الأعلام في مقام النداء، وفي موطن الضرورة الشعرية معنى تداولي يفرضه المقام. من هذه المعاني على سبيل المثال لا الحصر: التقرب والتحبب والتعجب والذم ... الخ. ويمكن القول أن العرب لم يستعملوا المنادى المرخم في شعرهم إلا لمعنى تداولي استوجبه المقام واستدعاه.

ومن الشواهد الشعرية التي ورد فيها المنادى العلم مرخماً قول الحادرة:<sup>(2)</sup>

أَسْمِيَّ وَيَحْكُ هَلْ سَمِعْتَ بَغْدَرَةَ      رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعِ

موضع الشاهد في البيت: "سمي" وهو منادى علم مرخم. والأصل: "سمية". رُخِمَ

المنادى العلم "سمية" لسببين، هما: سبب صوتي وهو تقليل المقاطع الصوتية المكونة للمنادى

سمية؛ لأن المقاطع الصوتية المكونة للمنادى المرخم "سمي" أقل من المقاطع الصوتية المكونة

للمنادى "سمية". فالتخفيف الناجم عن تقليل المقاطع الصوتية المكونة للمنادى العلم المرخم

سمية، تصرف صوتي<sup>(3)</sup> سببه كثرة استعمال المنادى المرخم في الشعر، بيّن ذلك سيبويه

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 239/2، 251.

2 - الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ص 45. وانظر: ديوان شعر الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد، ص 310.

3 - انظر: استنبطية، سمير. علم الأصوات النحوي. مصطلح "التخفيف تصرف صوتي". ص 123.

بقوله: " وإنما كان ذلك في النداء لكثرتة في كلامهم " (1) . فكثرة استعمال الظاهرة اللغوية (تداوليتها) في واقع الاستعمال اللغوي لها دفعت النحاة العرب إلى تخفيفها وذلك على المستوى الصوتي لهذه الظاهرة.

أما على المستوى التداولي فإن لترخيم المنادى العلم معنى تداولياً يرتبط بالمقام الذي استعمل فيه هذا المنادى. فقد رخم الشاعر ( الحادرة ) المنادى "سمية" لمعنى تداولي هو تقريب المحبوبة (سمية) من نفسه، ومن القرائن الدالة على هذا المعنى استعمال الشاعر لحرف النداء الهمزة (أ) وهو حرف لنداء القريب. وحاول الشاعر أيضاً تقريب المحبوبة من نفسه من خلال مدح نفسه والافتخار بها وذكر الصفات الحميدة التي يتصف بها، ومن هذه الصفات صفة الوفاء المذكورة في البيت نفسه.

وأخيراً، يمكننا القول أن العرب رَحِمَتِ المنادى العلم لمعنى تداولي أو أكثر. ولا سبيل إلى كشف هذا المعنى إلا بمعرفة مقامه (ظروف استعماله). فمن المعاني التداولية المفترضة بالاعتماد على مقامات المنادى المرخم معاني: التحبب والمدح والفخر والاستهزاء والتوبيخ والذم والعتاب، ... إلى غير ذلك من المعاني الكثيرة والمختلفة.

• **المطلب السابع: وصف باب "الاختصاص" والتحليل التداولي له**

• **مفهوم الاختصاص: في اللغة والاصطلاح**

للاختصاص مفهوم لغوي وآخر اصطلاحي. فالاختصاص لغة: "خَصَّصَ: خَصَّصَهُ بالشئِ يَخْصُّهُ خِصّاً وخصوصاً وخصُوصيةً وخصُوصيةً، والفتح أفصح، وخصِصِي وخصِصَهُ واختصَّهُ، أفرده به دون غيره. ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، وخصَّ غيره واختصه ببره" (2).

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 239/2.

2 - ابن منظور. لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 109/4.

وأما الاختصاص اصطلاحاً فهو: " اسم ظاهر معرفة، يؤتى به ليختص به المعنى، بعد ضمير لغير الغائب، ويُعرب مفعولاً به لفعل محذوف مع فاعله تقديره: " أعني " أو " أخص"، مثل: " نحن الضعفاء ندعو لإنصافنا"<sup>(1)</sup>.

ووصف سيوييه باب الاختصاص بقوله: " هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصباً؛ لأن موضع النداء نصبٌ، ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء؛ لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء. وذلك قولك: إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال، أعني، ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء"<sup>(2)</sup>.

يظهر من وصف سيوييه لباب الاختصاص " أن البنية التقديرية للاختصاص تشبه البنية التقديرية للنداء، من حيث إنّ أولهما يقدر عامل النصب فيه: الفعل " أعني"، وإنّ الآخر يقدر عامل النصب فيه: الفعل " أنادي". لكن الفعلين لا يظهران في الكلام المنطوق، فوجودهما في البنية التقديرية لا غير"<sup>(3)</sup>.

وأما الاختلاف بين الاسم المختص والاسم المنادى فواضحٌ. ويمكن حصر هذا

الاختلاف في الفروق التالية:

- 1- " الاسم المختص لا يذكر معه حرف نداء. المنادى قد يذكر معه حرف نداء وقد يحذف.
- 2- الاسم المختص لا يذكر في ابتداء الجملة. ويذكر المنادى في ابتدائها.
- 3- الاسم المختص يسبقه ضمير المتكلم أو المخاطب، أما المنادى فلا ... .
- 4- الاسم المختص يكون دائماً منصوباً سواء أكان علماً أو غير اسم علم. أما المنادى العلم والنكرة المقصودة فيبنى على الضم.

1 - بابتي، عزيزة فوّال. المعجم المفصل في النحو العربي، 1/59.

2 - سيوييه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/233.

3 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 449.

5- الاسم المختص قليلاً ما يكون علماً، مثل: " أنا خالداً أحب العلم" بعكس المنادى.

6- الاسم المختص يكثر اقترانه بـ "أل"، مثل: "أنا الطالب أحفظ كياني"، أما المنادى فيقتصر

بـ "أل" بعد "أيها" أو "أيتها"، مثل: "أيها الطالب احفظ كيانك".

7- الاسم المختص لا يكون نكرة، ولا اسم إشارة، ولا اسماً موصولاً، ولا ضميراً، بعكس

المنادى، مثل: "يا رجلاً".

8- الاسم المختص لا يرخم ولا يندب، ولا يستغاث به، بعكس المنادى.

9- العامل في الاسم المختص محذوف مع فاعله، ولا يعوض منه بشيء، أما مع النداء فيعوض

منه بحرف النداء. وهو في الاختصاص يُقَدَّر بـ "أخص" أو "أعني"، وفي النداء بفعل "أدعو"

أو "أنادي".

10- أسلوب الاختصاص خبر، أي يحتمل الكذب والصدق. وأسلوب النداء إنشاء طلبي يراد

منه إقبال المنادى إقبالاً حقيقياً أو مجازياً<sup>(1)</sup>.

وبيّن سيبويه الأسماء التي نصبتها العرب في الاختصاص فقال: "وأكثر الأسماء دخولاً في هذا

الباب بنو فلان، ومعشر مضافة، وأهل البيت، وآل فلان"<sup>(2)</sup>.

ومن شواهد أسلوب الاختصاص قول عمرو بن الأهتم: <sup>(3)</sup>

إِنَّا بَنِي مَقْرٍ قَوْمٌ ذُوو حَسَبٍ      فِينَا سِرَاةُ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا

الاسم المختص في الشاهد "بني" ونُصِبَ على الاختصاص في مقام الفخر.

ويمكن القول أن العرب نصبت الاسم المختص؛ لأن أسلوب الاختصاص أسلوب

إفصاحي يرتبط بالعامل النفسي في مقام معين. واختارت العرب الفتحة وهي (أيسر الحركات

<sup>1</sup> - بابتي، عزيزة فول. المعجم المفصل في النحو العربي، 61/1، 62 بتصرف.

<sup>2</sup> - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 236/2.

<sup>3</sup> - المرجع السابق. 233/2. وانظر الشاهد في: يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، 1054/2.

وأخفها، ومن دلالاتها الدلالة على الإفصاح) لتناسب مقام الاختصاص، وعامله النفسي المرتبط به (1).

#### • تداولية أسلوب الاختصاص:

ينكشف الوجه التداولي لأسلوب الاختصاص في أمرين:

أولهما: نصبت العرب الاسم المختص بالفتحة؛ لأنها أيسر العلامات الإعرابية، وأفضلها في توضيح البعد النفسي الكامن في جملة الاختصاص والإفصاح عنه (2). من الأمثلة على أسلوب الاختصاص قولنا: "نحن العرب أهل حضارة". في هذا المثال تحققت نسبة المبتدأ (نحن) إلى الخبر (أهل حضارة) على سبيل الاختصاص، فالاسم المختص (العرب) بين نسبة المبتدأ إلى الخبر، والمعنى: نحن أخص العرب أهل حضارة. هذا على المستوى النحوي.

ثانيهما: لم تستعمل العرب الاسم المختص في جملة الاختصاص إلا لمعنى تداولي. بين النحاة العرب ذلك بقولهم: "الباعث على الاختصاص فخر، أو تواضع، أو زيادة بيان" (3). فالاسم المختص "العرب" في المثال السابق له معنى تداولي هو إظهار الفخر بالعرب والاعتزاز بالانتماء إليهم.

وإذا ما دققنا النظر في حقيقة استعمال الاسم المختص نجد أن هذا الاسم لم يستعمل إلا لمعنى تداولي مقصود. وأمثلة ذلك كثيرة منها قولنا: "نحن البشر نخطئ ونصيب". استعمل الاسم المختص "البشر" لمعنى تداولي هو إظهار ضعف البشر وقصورهم في كل شيء. ومن مظاهر هذا الضعف الخطأ.

ويمكن القول أن العرب لم تسم هذا الأسلوب بهذا الاسم إلا لمعنى تداولي مقصود يظهره المقام (ظروف الاستعمال). فكل اسم مختص يتضمن معنى تداولياً معيناً. ولا نتمكن من معرفة ذلك إلا بمعرفة المقام الذي استعمل فيه هذا الاسم.

1 - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 379، 380.

2 - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الفتحة. ص 379، 380.

3 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد ومراجعة رمضان عبد التواب. 2247/5.

المبحث الثاني: أسلوب " النداء " في النظر البلاغي العربي القديم

المطلب الأول : منزلة " النداء " في النظر البلاغي العربي القديم

يُعدُّ " النداء " واحداً من أساليب الإنشاء الطلبي التي نظر لها البلاغيون العرب في مصنفاتهم البلاغية<sup>(1)</sup>. و " النداء " من الإنشاء؛ لأن الإنشاء " هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"<sup>(2)</sup>.

وجعل البلاغيون العرب " النداء " من الإنشاء الطلبي ؛ لأن " الطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل. فلو أُستعملت صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية"<sup>(3)</sup>.

وعليه، فإن " النداء " : طلب الإقبال بحرفٍ نائبٍ منابٍ أدعو لفظاً أو تقديراً، أي طلب المتكلم إقبال المخاطب حساً أو معنى. فالنداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الإقبال لزوماً"<sup>(4)</sup>.

تأثر البلاغيون العرب بالنعاة العرب في وصفهم لهذا الأسلوب. فقد وصف السكاكي حروف النداء وضروبه المتعددة. فقال في وصف حروف النداء : " ضربٌ ينصب أينما وقع وهو ستة أحرف، وهي: يا و أيا وهيا لنداء البعيد حقيقة إذا كان بعيداً عنك، أو تقدير لتباعدك نفسك عنه هضماً، أو لما هو بمنزلة البعيد من نائم أو ساهٍ تحقياً. وأي والهمزة، لنداء القريب. وقد ينظم في جملته: يا و وا ، للندبة خاصة"<sup>(5)</sup>.

وأوجز السكاكي في وصف ضروب النداء وبيان أحكامه، فقال: " هذه الستة، يقصد حروف النداء، تنصب المنادى لفظاً إذا كان نكرة، أو مضافاً لفظاً أو مضارعاً للمضاف"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي. 51/3، 52، 91 .

<sup>2</sup> - عتيق، عبد العزيز. علم المعاني. ص 57 .

<sup>3</sup> - القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي. 52/3.

<sup>4</sup> - المرجع السابق. 91/3 .

<sup>5</sup> - السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ص 101 بتصرف .

<sup>6</sup> - المرجع السابق، ص 101.

ووصف المنادى المبني بقوله: "يا غلام، مما هو مفرد مقصود، وكذا إذا كان من الأعلام المفردة"<sup>(1)</sup>.

وتحدث بإيجاز أيضاً عن أغراض النداء الأخرى، فذكر الندبة والاستغاثة والترخيم<sup>(2)</sup>. وذكر الاختصاص على أنه صورة من صور النداء، ولم يعده نداء<sup>(3)</sup>.

لم يهتم البلاغيون العرب بذكر تفصيلات باب النداء وقواعده وشروطه وضوابطه كما اهتم بها النحاة العرب؛ لأن البلاغيين العرب يهتمهم في هذا الباب ببيان المقام الذي قيل فيه كل ضرب من ضروب النداء. فالنداء في نظرهم "أسلوب إنشائي قوامه الطلب والخطاب، وله مزايا بلاغية متوافرة فيه توافرها في سائر ضروب الإنشاء"<sup>(4)</sup>. أضف إلى ذلك، "أنّ التنوع في أدوات النداء ليس وليد الصدفة، وإنما هو لأغراض بلاغية، فلكل أداة من هذه الأدوات معناها ومدلولها اللغوي والوظيفي بالإضافة إلى معناها البلاغي"<sup>(5)</sup>.

لقد ركّز البلاغيون العرب على بيان المعاني والأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء معتمدين في ذلك على سياقات هذا النداء ومقاماته (ظروف استعماله).

#### • المطلب الثاني: التحليل التداولي للنداء في البلاغة العربية

يقوم التحليل التداولي لأسلوب النداء عند البلاغيين العرب على أمرين:

- 1- استعمال حرف النداء.
  - 2- خروج "النداء" عن معناه الأصلي إلى معانٍ أو أغراض بلاغية أخرى.
- الأصل في استعمال حروف النداء أن ينادى القريب بحروف مناداة القريب وهي "الهمزة، أو أيّ. وأنّ يُنادى البعيد بحروف مناداة البعيد، وهي: يا وأيا وهيا. لكنّ مقام النداء يفرض علينا التغيير في استعمال حروف النداء. فقد يستعمل البليغ أدوات النداء التي للقريب فينادي بها البعيد، لمعنى يريد الإشارة إليه، كأن يريد الإشارة إلى أنّ هذا البعيد في جسده هو قريب إلى

1 - المرجع السابق، 102.

2 - انظر: المرجع السابق . ص 101، 102، 103.

3 - انظر: المرجع السابق. ص 323.

4- فارس، أحمد محمد. النداء في اللغة والقرآن. ص 155.

5 - المرجع السابق. ص 155.

قلبه ونفسه حاضر في تصويره المستمر، وكأن يريد الإشارة إلى أنه لشدة سمعه وانتباهه وسرعة استجابته، كأنه قريب، فهو لا يحتاج أن ينادى بأدوات نداء البعيد<sup>(1)</sup>.

وقد ننادي القريب بحروف مناداة البعيد لمعنى يفرضه المقام. فقد ينادى القريب صاحب المنزلة العالية بحرف نداء البعيد؛ لأنه عالي المقام. وقد ينادى القريب صاحب المنزلة المنحطة بحرف نداء البعيد؛ لأنه منحط المنزلة. وقد ينادى القريب المستغاث به بحرف نداء البعيد تعبيراً عن شدة حاجة المستغيث إلى النصرة والعون والمساعدة. وقد ينادى الساهي أو الغافل القريب تنبيهاً وتحذيراً.

ويمكن القول أن مقام النداء ( ظروف استعماله ) هو الذي فرض هذا التغيير في استعمال حرف النداء، فجعلنا ننزل القريب منزلة البعيد أو ننزل البعيد منزلة القريب.

وتظهر تداولية أسلوب " النداء " أيضاً في خروجه عن معناه الأصلي ( طلب الإقبال ) إلى معانٍ أخرى نفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومنها: (2)

- 1- " الدعاء: مثل: يا الله، يسر لي أمري .
- 2- الإغراء : كالقول: يا مظلوم أقبل، قصداً إلى إغرائه، وحثه على زيادة التظلم.
- 3- التحسر: كقوله تعالى: " يا حسرة على العباد " (3).
- 4- الاستغاثة: مثل: يا أولي القوة للضعفاء.
- 5- التعجب: مثل: يا لجمال الربيع.
- 6- الندبة: مثل: واكبدي.
- 7- التحبيب: مثل: يا بني .
- 8- الوعيد والتهديد: كقول عمرو بن كلثوم:  
أبا هندٍ فلا تَعَجِّلْ علينا      وأنظِرنا نُخَبِّرَكَ اليقينا
- 9- العتاب: كقول المتنبي :  
يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي      فيك الخِصامُ وأنتَ الخِصمُ والحكمُ " (4)

1 - الميداني، عبدالرحمن. البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها. 241/1.

2 - فارس، أحمد محمد. النداء في اللغة والقرآن. ص 161 .

3 - سورة يس، من آية (30).

4 - فارس، أحمد محمد. النداء في اللغة والقرآن. ص 161-163 . انظر الشاهد الأول في : ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه إميل يعقوب، ص 71. وانظر الشاهد الثاني في: سببتي، مصطفى، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ص 82.

ولا يقتصر أسلوب النداء في خروجه عن معناه الحقيقي على المعاني ( الأغراض ) البلاغية التي ذكرت سابقاً والتي نظّر لها البلاغيون العرب فقد يتعداها إلى معانٍ تداولية كثيرة ومتعددة؛ بسبب تعدد النداءات واختلافها وتعدد المقامات التي ترتبط بها. ويمكن القول أن البلاغيين العرب لم يقصروا في البحث البلاغي لأسلوب النداء؛ فقد أبدعوا في بيان بلاغية هذا الأسلوب في القرآن الكريم وفي نثر العرب وشعرهم. إلا أن باب تداولية النداء باب واسع وفضاء رحب يسمح لأغراض النداء البلاغية التي نظّر لها البلاغيون العرب بالدخول فيه. وهو أيضاً قادر على استيعاب ما لاحصر له من معاني النداء التداولية؛ لأن النداء في الأصل نداءات. فكل ضرب من ضروب النداء قد تتعدد معانيه بسبب تعدد مقاماته (ظروف استعماله). فالندبة، على سبيل المثال، ندبات وكذا الاستغاثة استغاثات، والترخيم أيضاً ترخيمات ... ألخ. ولأن ظروف الحياة وجوانبها متعددة؛ فقد تعددت معاني النداء التداولية المرتبطة بها.

© Arabic Digital Library - Yamouk University

## الفصل الثالث : التحليل النحوي والتداولي لأساليب النداء في القرآن الكريم

يهدف هذا الفصل من الدراسة إلى تحليل أسلوب النداء في القرآن الكريم تحليلاً نحوياً وتداولياً؛ فقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم بصيغ ندائية متعددة، منها نداء المضاف: ربّ، ربّنا، قوم، أهل الكتاب، بني إسرائيل، بُنيّ، أبت، أبانا، نساء النبي، معشر الجن والإنس، قومنا، أهل يثرب، أخت هارون، ذا القرنين، أولي الألباب، أولي الأبصار، ابن أم، صاحبي، عباد، عبادي، عباد الله. ونداء الأعلام ( الأنبياء والرسل وغيرهم من الكافرين كقرعون وهامان وإبليس). ونداء النكرة المقصودة ( جبال، أرض، سماء، نار). ونداء الاسم المُعرّف بأل التعريف: الناس، الإنسان، النفس، المرسلون، الرسول، النبي، العير، العزيز، الرسل، المدثر، المزمّل، المجرمون، الجاهلون، الكافرون، الملأ، الساحر، الثقلان، المؤمنون، النمل. ونداء الاسم الموصول: الذين آمنوا، الذين كفروا، الذين هادوا، الذين أوتوا الكتاب، الذي نُزّل عليه الذّكر. ونداء الحسرة والتمني: ليت، حسرة، ويل، أسف.

وأما نداء الشبيه بالمضاف ونداء النكرة غير المقصودة فلم يردا في القرآن الكريم؛ لأنّ مقام النداء في الأصل مقام تعريف وقصدية موجّهة إلى مخاطب معين أو مخاطبين معينين؛ ولكل أسلوب من أساليب النداء التي وردت في القرآن الكريم مقاصده وأغراضه ومعانيه، ولا تتكشف هذه المعاني، ولا تُعرّف هذه المقاصد إلا بمعرفة المقامات المرتبطة بهذه الأساليب، وفهم الظروف والملابسات التي أحاطت بها.

وليس الهدف من هذا الفصل رصد مواضع النداء وتعدادها، بل غاية ما يُراد من هذا الفصل هو تحليل هذه الأساليب تحليلاً نحوياً وتداولياً لمعرفة المعاني والأغراض والمقاصد المتولدة من مقاماتها وظروف استعمالها.

وَسَتَعْتَمِدُ الدراسة في بيان أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم وتحليلها تحليلاً تداولياً على رؤية عبد القاهر الجرجاني التداولية في تفسير الظاهرة اللغوية وتحليلها تحليلاً تداولياً. وقد فُصل القول في بيان حقيقة هذه الرؤية ( التداولية) عند الجرجاني في فصل "التداولية اللغوية".

## المبحث الأول: نداء الاسم المُعرَّف

### المطلب الأول: نداء الاسم الموصول (الذين آمنوا)

يُعدُّ نداء الاسم الموصول واحداً من أساليب النداء التي وردت كثيراً في القرآن الكريم. فقد " خاطب الله تعالى المؤمنين بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا" في ثمانيةٍ وثمانين موضعاً من القرآن الكريم" (1). ارتأت الدراسة أن تختار عدداً معيناً من هذه المواضع موزعة بحسب مقاماتها وظروف استعمالها.

خاطب الله تعالى المؤمنين في مقام الأمر بتأدية فريضة الصلاة في خمسة مواضع من القرآن الكريم؛ ولكل موضع من هذه المواضع مقامه الخاص به وظروف استعماله. وأول هذه المواضع خطابهم في مقام الأمر بتأدية فريضة الصلاة مقرونة بوجوب التحلي بخلق الصبر.

#### 1- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام الأمر بتأدية فريضة الصلاة مقرونة بوجوب التحلي بخلق الصبر:

أمر الله تعالى المؤمنين بتأدية فريضة الصلاة بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين" (2).

• التحليل النحوي للآية :

• نحوية حرف النداء" يا" :

يُعدُّ حرف النداء" يا" " أمُّ الباب في عدة حروف النداء. وهي موضوعة لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. وقد يُنادى بها القريب توكيداً، وقيل: مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل: بينهما وبين المتوسط، وهي أكثر حروف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يُقدَّرُ عند الحذف سواها. ولا يُنادى

1 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير. 77/1 .  
2 - سورة البقرة. آية ( 153).

اسم الله تعالى، والاسم المستغاث، وأَيْهَا وَأَيْتُّهَا، إلا بها، ولا المندوب إلا بها أو بـ"وا". ولم يرد في التنزيل الكريم نداء بغيرها<sup>(1)</sup>.

واستعملت "يا" في هذه الآية لنداء البعيد؛ لأن مقام النداء مقام أمر من الخالق إلى المخلوق (المؤمن).

#### • نحوية صيغة النداء (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا):

بيّن النحاة العرب الكيفية التي نتوصل بها إلى نداء الاسم المعرف؛ فقال ابن عقيل: "واعلم أنه لا يُنادى اسم فيه الألف واللام إلا بـ "أَيُّ"، كقولك: "يا أَيُّهَا الرجل". فـ "أَيُّ": اسم مفرد منادى، و "ها": صلة لـ "أَيُّ"، والرجل: نعت لـ "أَيُّ" في قولك: "يا أَيُّهَا الرجل". وهو نعت لا يُستغنى عنه، ولا يجوز فيه إلا الرفع. ولا يجوز أن نقول: "يا الرجل"؛ لأن النداء يُعرّف المنادى بالقصد والإشارة، والألف واللام تعرفانه بالعهد، ولا يتعرف الاسم من وجهين مختلفين"<sup>(2)</sup>.

وتتطبق هذه الكيفية أيضاً على الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة. يقول ابن عقيل في بيان ذلك: "ولا توصف "أَيُّ" إلا باسم جنس مُحلّى بأل، كالرجل، أو باسم إشارة، نحو "يا أَيُّهَا أَقْبَل" أو بموصول مُحلّى بأل "يا أَيُّهَا الذي فعل كذا"<sup>(3)</sup>.

إنّ وصلة النداء (أَيُّهَا) وحدها ليست هي المنادى، وإن كانوا عدوها كذلك في مصنفاتهم، فهي لفظ تنبيهي إشاري إلى المنادى الحقيقي الذي يليها. فالمنادى الحقيقي في قوله تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" هم المؤمنون الذين خُصُّوا بالنداء دون غيرهم.

وأما الاسم الموصول (الذين) فهو "موصول اسمي يقال للمذكر العاقل في الجمع مطلقاً؛ أي: رفعاً، ونصباً، وجرأً، فنقول: "جاءني الذين أكرموا زيدا، ورأيت الذين أكرموه، ومررت بالذين أكرموه"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 36/2. مبحث "يا".  
و السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، 30/3.  
<sup>2</sup> - الزجاجي، عبدالرحمن بن اسحاق. كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد. ص 150، 151.  
<sup>3</sup> - ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 245/2، 246.  
<sup>4</sup> - المرجع السابق. 134/1، 137.

وأما الجملة الفعلية ( آمنوا) فهي جملة صلة الموصول ( لا محل لها من الإعراب)(<sup>1</sup>) وهي مكملة في المعنى للمنادى الحقيقي في هذا الأسلوب. فالمنادى الحقيقي في أسلوب النداء: يا أيها الذين آمنوا هو الاسم الموصول ( الذين) وصلته جملة ( آمنوا).

ويمكن القول أن التحليل النحوي السابق لأسلوب النداء ( يا أيها الذين آمنوا) هو تحليل عام ينطبق على بقية المواضع التي ورد فيها هذا الأسلوب، لكن وجه الاختلاف في نداء هذا الأسلوب (يا أيها الذين آمنوا) يكون في دلالة جملة متمم النداء المرتبطة بهذا الأسلوب ، وفي دلالة الجمل الأخرى المرتبطة بها. وسيظهر هذا الاختلاف في التحليل التداولي لكل عنصر من عناصر هذا الأسلوب.

#### • نحوية جملة متمم النداء:

إنّ الجملة الفعلية ( استعينوا) جملة متمم النداء؛ وبها يظهر طلب المنادي ( رب العزة جل جلاله) وهو وجوب استعانة المسلم بفريضة الصلاة؛ لأنها عمود الدين وأساسه. ولجملة متمم النداء مكملات لها تكمل معنى النداء وتظهر ما يريده المنادي من المنادى. فشبه الجملة(بالصبر) من الجار والمجرور والاسم المعطوف ( الصلاة) مكملات ( ألفاظ) أدى كل واحد منها وظيفته النحوية في بيان حقيقة النداء. فأسلوب النداء سلسلة مترابطة من الكلمات يقوم كل عنصر فيها بتأدية معناه النحوي ( وظيفته النحوية) أولاً، ثم معناه التداولي( وظيفته التداولية).

وأما قوله تعالى: " إن الله مع الصابرين " فهي جملة اسمية منسوخة(<sup>2</sup>) معللة للأمر (الخطاب) الرباني( وجوب الاستعانة بالصبر والصلاة)؛ " فبالصبر ينال المؤمنون كل فضيلة، وبالصلاة ينتهون عن كل رذيلة"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 207/1 .

<sup>2</sup> - المرجع السابق. مج 208/1.

<sup>3</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 94/1، بتصرف.

## • التحليل التداولي للآية

### • تداولية حرف النداء " يا " :

لاستعمال حرف النداء " يا " معنيين تداوليان، هما : علو منزلة المخاطب ( الخالق)؛ فهو الأمر الناهي المشرع الذي يأمر عباده بتنفيذ الأوامر والنواهي على وجه الاستعلاء. فنداء الذين آمنوا نداء ( خطاب) تكليف من الخالق ( عز وجل) إلى عباده المؤمنين (المخلوقين). وقد بين الشاطبي حقيقة هذا المعنى التداولي لحرف النداء " يا" بقوله: " إثبات التثبيته لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة، وهو العبد، والدلالة على ارتفاع شأن المنادي وأنه منزّه عن مدانة العباد؛ إذ هو في دنوه عالٍ، وفي علوه دانٍ، سبحانه " (1).

وأما المعنى التداولي الثاني، فهو تشریف عباد الله المؤمنين الذين خصهم الله تعالى بالخطاب دون غيرهم من البشر؛ ففي استعمال هذا الحرف " يا" إشارة إلى علو منزلة هذه الفئة المؤمنة وارتفاع شأنها عند خالقها - عز وجل - . فالله تعالى يريد لهذه الفئة المؤمنة أن تبتعد عن كل ما ينقص دينها وأخلاقها، ولا يكون هذا الأمر إلا باتباع أوامر الله وأحكامه، واجتناب نواهيه، جلّت قدرته وتقدست صفاته.

### • تداولية وصلة النداء ( أيها ) :

لاستعمال وصلة النداء في هذا الأسلوب معنى تداولي هو شد انتباه الفئة المستهدفة من الخطاب الرباني وهم الفئة المؤمنة ولفت نظرها إلى ما يُطلب منها من أوامر ونواهي، على وجه الاستعلاء من خالقها تعالى. ويمكن القول أن لألفي المد في حرف النداء " يا" ووصلة النداء " أيها"، أيضاً ، أثراً واضحاً في إظهار هذا المعنى وتجليته؛ فمدُّ الصوت وإطالته فيهما أفضى إلى هذا المعنى وأظهره .

### • تداولية المنادى ( الذين آمنوا ) :

لاختيار نوع المنادى ( الاسم الموصول وصلته: الذين آمنوا) معنى تداولي يتمثل في بيان صفتهم التي وصفهم الله تعالى بها " فهم الذين ارتضوا هذا الدين وآمنوا به وسلّموا لأوامره

<sup>1</sup> - الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبدالله دراز.. 104/2 .

ونواهيته، وكأن النداء تذكير لهم بما التزموا به وارتضوا، كما أن في اصطفاء لفظ " آمنوا " على هذا النمط - حيث جاء فعلاً - إشارة أخرى إلى أن إيمانهم لا يزال فعلاً، وأنه ما يزال فيهم بقية من غفلة. وليدخل فيه عموم مَنْ دخلوا في الإيمان، وليس خصوص المؤمنين؛ لأنه مما لا شك فيه أن هناك فرقاً بين أن يقال: يا أيها المؤمنون ويا أيها الذين آمنوا. فالمؤمنون أعلى منزلة وأكثر إيماناً من الذين آمنوا؛ ذلك لأن الإيمان في المؤمنين صار اسماً لهم وصفة ثابتة. أما الذين آمنوا؛ فالإيمان لديهم لا يزال فعلاً، ولم يرق إلى مرحلة الثبوت وفرق بين هذا وذاك. فالنداء لهم، بهذه الصيغة، هو تشريف لهم بتعريفهم بخير صفاتهم، وتثبيت لأحكام هذا الدين في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم، وهو أيضاً تكليف لهم؛ لأنه من الله خالقهم - جلت قدرته - وتقدست أسماؤه<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية جملة متم النداء ( استعينوا بالصبر والصلاة ) :

خاطب الله تعالى المؤمنين في هذه الآية في مقام تذكيرهم بنعمة الصبر وفضائلها الكثيرة لهم، وفي مقام أمرهم بتأدية أهم فريضة فرضها الله عليهم وهي الصلاة؛ " فَجَمَعَتْ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَجَعَلَتْ الْإِسْتِعَانَةَ بِالصَّبْرِ مَقْدَمًا عَلَى الصَّلَاةِ، لِحُكْمِ كَثْرَةِ، مِنْهَا: أَنَّ الصَّبْرَ هُوَ رَدُّ الْفِعْلِ الَّذِي يَلُودُ بِهِ الصَّابِرُ، فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ حَيَاتِهِ. فَهُوَ فِي الْمَنْزِلِ، وَالْعَمَلِ وَالطَّرِيقِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَمَاكِنِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، قَدْ يَجِدُ مَا يَزْعَمُهُ، أَوْ يَسْتَفْزَهُ، أَوْ يَسْتَثِيرُ أَعْصَابَهُ؛ فَالرَّدُ اللَّحْظِيُّ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الصَّابِرِ هُوَ الصَّبْرُ، ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُهُ إِلَى الصَّلَاةِ، لِيَجِدَ فِيهَا مَا يُسْرِي عَنْ نَفْسِهِ، وَيَجِدُ فِيهَا قِرَّةَ عَيْنِهِ. وَفِي الصَّبْرِ يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ الصَّابِرُ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ. وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ يَشْعُرُ أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَفْزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَفِيهَا يَجِدُ هُدًى وَسَكِينَةً، وَثِقَةً كَبِيرَةً بِرَبِّهِ تَعَالَى، بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُ"<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق، وبالنظر إلى مقام الآية وظروف نزولها يمكن استبطان

المعاني التداولية من مضمون جملة متم النداء، وإجمالها بما هو آتٍ :

<sup>1</sup> - جمعة، سعيد أحمد. البلاغة العالية في آية المداينة. ص 50، 51 . بتصرف.

<sup>2</sup> - استيتية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 439 .

" الصلاة هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين" (1). وهي نعمة عظيمة من الله تعالى للمؤمنين؛ بها يتقرب المؤمنون من الله تعالى. وبالصلاة يشكر المؤمنون ربهم على نعمه الكثيرة، منها بعث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وتأييده بمعجزة القرآن الكريم؛ وجعل أمته أمة شاهدة على الناس أجمعين (2).

ومن المعاني التداولية المستنبطة من مقام النداء تنبيه المؤمنين إلى خلق عظيم هو خلق الصبر، فبه يحقق المؤمنون كل الفضائل، فهو مفتاح الطاعات وقوام العبادات. وقد " ذكر الصبر في هذه الآية في مقام التنبيه إلى فرض عظيم فرض على المؤمنين وهو الجهاد في سبيل الله تعالى" (3). ونجد هذا المعنى في الآية اللاحقة في سورة البقرة، قال تعالى: " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" (4).

ويظهر من مقام النداء بعض مظاهر التكريم التي كرم الله تعالى بها رسوله الكريم وعباده المؤمنين منها: " ترك المبالاة بطعن المعاندين في أمر القبلة" (5)؛ فبالصبر والصلاة يقوى المؤمنون على أعدائهم من الكفار واليهود والمنافقين. ويظهر التكريم الإلهي أيضاً في جعل موطن سيدنا محمد عليه السلام ( مكة المكرمة) أفضل بقعة يتوجه المؤمنون إليها في صلاتهم (6). وفي جعل صلاتهم مقبولة في كل الاتجاهات وكل الأماكن.

#### • تداولية الجملة الاسمية ( إن الله مع الصابرين ):

كرم الله تعالى عباده الصابرين في هذه الآية. فقد "جمعت الآية بين الصبر والصلاة، ثم خصت أهل الصبر بمعية الله سبحانه؛ لأن الهدف من الصلاة في هذا الموقف، هو أن يقوي المؤمن صبره، بالضراعة إلى الله في الصلاة" (7). ومن ثمار معية الله تعالى لعباده الصابرين

1 - البيضاوي، عبدالله عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 95/1.

2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 51/2 ، 52.

3 - المرجع السابق. 51/2، 52 بتصرف.

4 - سورة البقرة . آية ( 154).

5 - الألويسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية، 417، 418/1.

6 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 51/2 ، 52.

7 - استنبطية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 439 .

أنها" أعظم ترغيب لهم إلى لزوم الصبر على ماينوب من الخطوب، فَمَنْ كان الله تعالى معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال"<sup>(1)</sup>. وعليه فهي " معية خاصة بالعون والنصر، ولم يقل مع المصلين؛ لأنه إذا كان مع الصابرين كان مع المصلين من باب أولى لاشتمال الصلاة على الصبر"<sup>(2)</sup>.

فكل عبادة يقوم بها المؤمنون تدفعهم إلى الصبر؛ فالصبر مفتاح كل طاعة وقوام كل عبادة. ووصف البقاعي حقيقة هذه المعية بقوله: "بداية الدين صبر وخاتمته يسر؛ فإن مَنْ كان الله سبحانه وتعالى معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلوة الصحبة التي تُشعرُ بها كلمة "مع"<sup>(3)</sup>.

## 2- نداء المؤمنين ( الذين آمنوا) في مقام الأمر بالوضوء لتأدية الصلاة:

خاطب الله تعالى عباده المؤمنين في مقام تنبيههم إلى شرط الوضوء المرتبط بتأدية فريضة الصلاة؛ فلا تُقبلُ صلاة المؤمنين إلا بالوضوء، فهو شرط من شروط صحتها. قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون"<sup>(4)</sup>.

ولهذا الخطاب أهميته البالغة؛ ففيه إعلاء لشأن أهم فريضة فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين وهي فريضة الصلاة. وتظهر هذه الأهمية بقوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة"، فالمعنى: "إذا قصدتم الصلاة؛ لأن مَنْ توجه إلى شيء، وقام إليه كان قاصداً له لا محالة، فعبّر عن القصد له بالقيام إليه"<sup>(5)</sup>. ونية المسلم وقصده شرط أساسي من شروط عبادته؛ فعمل المسلم

1 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير ، تحقيق سيد إبراهيم. 1/ 224 .

2 - الألوسي، شهاب الدين السيد محمود.روح المعاني، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية.1/418،417 .

3 - البقاعي،إبراهيم عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. 1/278.

4 - سورة المائدة. آية (6) .

5 - الزمخشري،محمود عمر. تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين.مج 1/ 596، 597 .

مرتبط بقصده ونيتته. وفي الآية إشارة واضحة إلى قصد المؤمن ونيتته في الصلاة وهو أهم شرط من شروط صحة الصلاة.

والوضوء شرط ثانٍ عند إرادة القيام إلى الصلاة. "وقد اختلف أهل العلم في هذا الأمر (الوضوء) عند إرادة القيام إلى الصلاة، فقالت طائفة: هو عام في كل قيام إليها، سواء كان القائم متطهراً أو محدثاً، فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ، وهو مروى عن علي وعكرمة، وقالت طائفة أخرى: إن هذا الأمر خاص بالنبي، صلى الله عليه وسلم، وهو ضعيف؛ فإن الخطاب للمؤمنين والأمر لهم. وقالت طائفة: الأمر للندب طلباً للفضل، وقال آخرون: إن الوضوء لكل صلاة كان فرضاً عليهم بهذه الآية، ثم نسخ في فتح مكة، وقال جماعة هذا الأمر خاص بمن كان محدثاً. وقال جمهور أهل العلم، وهو الحق: أن الوضوء لا يجب إلا على المحدث"<sup>(1)</sup>.

• نحوية قوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين":

جملة متمم النداء (مضمون النداء) هي جملة شرطية مُصدّرة بأداة الشرط غير الجازم "إذا". وجملة الشرط فيها الجملة الفعلية "قمتم إلى الصلاة". وجملة جواب الشرط هي الجملة الفعلية "فاغسلوا وجوهكم". وقد رُبط بين جملة الشرط وجملة جوابه بالفاء. و "أيديكم" اسم معطوف على "وجوهكم". والجملة الفعلية "امسحوا برؤوسكم" معطوفة على جملة "اغسلوا وجوهكم". و "أرجلكم" اسم معطوف على "وجوهكم"<sup>(2)</sup>، لأن الغسل في الآية واجب للوجه واليدين والأرجل. والمسح للرأس.

في الجملة الشرطية (جملة متمم النداء) بيان واضح لأركان الوضوء التي أمرنا الله تعالى بها في نص الآية الكريمة، وهي على الترتيب: غسل الوجه، غسل اليدين إلى المرافق،

<sup>1</sup> - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 24/2، 25 بتصرف .  
<sup>2</sup> - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2/ 234، 235.

مسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين. ويصح وضوء المؤمن بهذه الأركان، والله أعلم، إذا كان طاهر البدن والثوب. وأما إذا كان على جنابة فيجب عليه الاغتسال.

#### • تداولية آية الوضوء:

من مقام النداء في آية الوضوء تتبين لنا المعاني التداولية والتي يمكن إجمالها بما هو آتٍ: لذكر أركان الوضوء وأعماله بهذا الترتيب معنى تداولي عميق هو شدة احترام رب العالمين لعبده المؤمن. ويظهر هذا المعنى في ترتيب الأعمال؛ فبالوجه يقف الإنسان أمام الله، عز وجل، في الصلاة وبه يركع ويسجد وبه يحمد ويشكر. وجعل الله تعالى مسح الرأس قبل غسل الرجلين، أيضاً، تكريماً لعبده المؤمن المصلي، وإعلاء لمنزلته عند خالقه. وفي تطبيق أعمال الوضوء نقاء وطهارة لبدن المؤمن؛ ففي هذه الطهارة تكريم من الله تعالى لعبده المؤمن. فانه تعالى يريد من عبده المؤمن أن يكون في أكمل حالة بدنية حين الاتصال به. وفي الوضوء صفاء نفسي ونقاء ذهني للإنسان يؤهله مناجاة الله تعالى والاتصال به. ومن مقام النداء في الآية يتبين لنا معنى تداولي يتمثل في تقرير وإثبات شرط الوضوء وحكمه؛ فلا تجوز صلاة المؤمن إلا بجملة من الشروط أهمها الوضوء. وفي الآية إعلاء لشأن فريضة الصلاة؛ فهي أم العبادات وهي أساس الدين وعموده. وهي نعمة عظيمة من الله تعالى بها على عباده المؤمنين. وعلى المؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه النعمة، فهي وسيلتهم إلى الطاعات وسبيلهم إلى النجاة في الدنيا والآخرة. وعليه؛ فإن فضائل الصلاة كثيرة ومتعددة فقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين المصلين بأوصاف كثيرة تدل على رضاه عنهم، منها: الشاكرون والمتقون والمستغفرون والساجدون والراكون والمسبحون والصابرون ... الخ .

### 3- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام إعلاء شأن فريضة الصلاة :

أمر الله تعالى المؤمنين بالخشوع أثناء تأدية الصلاة؛ فأشار إلى خصوصية هذه العبادة (الفريضة) بذكر ركنين مهمين من أركانها، هما الركوع والسجود. قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" (1).

" فالمعنى : أي صلوا الصلاة التي شرعها الله تعالى لكم ، وخصّ الصلاة لكونها أشرف العبادات، ثم عمم، فقال: "واعبدوا ربكم" أي افعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها، "وافعلوا الخير" أي ما هو خير وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة ، وقيل: المراد بالخير هنا المندوبات، ثم علل ذلك بقوله: لعلكم تفلحون أي إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح، وهذه الآية من مواطن سجود التلاوة في القرآن الكريم" (2).

فإيمان الإنسان المؤمن لا يكون إلا بإظهار العبودية التامة لله تعالى في كل أمر، والإقرار بوحدانيته، جل شأنه، " وتظهر هذه العبودية بأخص العبادات الصلاة وتشمل أيضاً كل العبادات الأخرى كالصوم والزكاة والحج وغيرها، وجميع أفعال الخير التي أمر بها الإسلام كصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر مكارم الأخلاق" (3).

#### • نحوية قوله تعالى: " اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير":

تتكون جملة متمم النداء من أربع جمل فعلية متعاطفة؛ فجملة " اركعوا" جملة فعلية فعلها فعل أمر، فيه بيان لركن مهم من أركان الصلاة هو ركن الركوع. وجملة " اسجدوا" جملة فعلية معطوفة على جملة " اركعوا" وفعلها فعل أمر، وفيه بيان لركن ثانٍ من أركان الصلاة هو ركن السجود. وجملة " اعبدوا ربكم" جملة فعلية معطوفة على الجملتين السابقتين فعلها فعل أمر وفيه بيان لحقيقة عبودية الإنسان التي لا تكون إلا لله تعالى وحده لا شريك له. وجملة " افعلوا

1 - سورة الحج . آية ( 77 ) .

2 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 585/3.

3 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 346/17 بتصرف.

الخير" جملة فعلية معطوفة على الجمل الفعلية السابقة فعلها فعل أمر وفيه بيان لعمومية أعمال الخير (الأعمال التي يتقرب بها المؤمن من الله تعالى بعد تأديته للفرائض)<sup>(1)</sup>.

• تداولية جملة متمم النداء، قوله تعالى: "اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير":

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

لاستعمال حرف العطف معنى تداولي هو ترتيب العبادات، فبدأ بأخص العبادات وأشرفها وهي الصلاة، ثم انتقل إلى باقي العبادات (الفرائض)، ثم انتقل إلى الأكثر عمومية وهي أعمال الخير. فهو انتقال من الخاص إلى العام إلى الأكثر عمومية<sup>(2)</sup>.

ولاستعمال الفعلين: "اركعوا" و "اسجدوا" معنى تداولي هو إظهار الخضوع والخشوع والعبودية التامة لله سبحانه وتعالى<sup>(3)</sup>. ولاستعمال الفعل: "اعبدوا" معنى تداولي هو إظهار العبودية الخالصة لله تعالى، جلّت قدرته، فلا تكون عبودية الإنسان المؤمن إلا لله تعالى. والأصل أن تظهر هذه العبودية بتأدية كل الفرائض وأعمال الخير على أكمل وجه. وأن تكون تأديتها مرضاة لله تعالى وخضوعاً لسلطانه الكريم. ولاستعمال الفعل: "افعلوا" معنى تداولي هو إظهار خيرية الدين الإسلامي ورحمته. فهو دين الخير والرحمة، وكل أفعال الخير التي تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة. وعليه؛ فالصلاة أشرف العبادات وأخصها، وهي عماد الدين<sup>(4)</sup>.

4- نداء المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) في مقام التنبيه إلى فريضة صلاة الجمعة :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بتأدية فريضة صلاة الجمعة، وهي "فرض عين على المؤمنين في القرآن الكريم (واجبة على كل الأعيان)<sup>(5)</sup>. قال تعالى في بيان هذا الفرض: "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"<sup>(6)</sup>.

1 - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 318/5.

2 - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، 275/2.

3 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 346/17.

4 - انظر: المرجع السابق. 346/17.

5 - المرجع السابق. 226/28.

6 - سورة الجمعة. آية (9).

في الخطاب الرباني أمران: أمر بالسعي إلى ذكر الله ( صلاة الجمعة وخطبتها)، ولا يكون السعي بالإسراع في المشي إلى المسجد وإنما يكون بالنية والإرادة والعمل<sup>(1)</sup>. فالمؤمن لا يؤدي صلاة الجمعة إلا امتثالاً لأمر الله تعالى، وطمعاً في ثوابه وخضوعاً لإرادته المطلقة. وأما الأمر الثاني فهو الأمر بترك البيع وكل ما يتعلق به من أمور كالشراء والإجارة وغيرها وقت صلاة الجمعة؛ ففي وقت صلاة الجمعة ( الظهر) يكثر البيع وينشغل الناس به<sup>(2)</sup>؛ لذا فقد أمرنا الله تعالى بتركه وبترك كل ما يتعلق به وقت الصلاة، وهو أمر مرتبط بزمن معين (زمن صلاة الجمعة) ويزول هذا الأمر بانقضاء الصلاة وزوال وقتها. وقد بين رب العالمين ذلك في الآية اللاحقة. قال تعالى: " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون"<sup>(3)</sup>.

• نحوية قوله تعالى: " إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع":

جملة متم النداء في هذه الآية جملة شرطية مُصدّرة بأداة الشرط غير الجازم " إذا". وفعل الشرط فيها هو الفعل الماضي المبني للمجهول (نودي). وشبه الجملة من الجار والمجرور " للصلاة" متعلقان بالفعل " نودي". وشبه الجملة الثانية من الجار والمجرور " من يوم"، أيضاً، متعلقان بالفعل " نودي". ولفظ " الجمعة" مضاف إليه معرفة، وضّح الصلاة المفروضة(صلاة الجمعة). والجملة الفعلية" فاسعوا إلى ذكر الله" هي جملة جواب الشرط. وقد بينت الأمر الأول وهو وجوب تأدية صلاة الجمعة. وأما الجملة الفعلية الثانية" وذروا البيع" فهي جملة فعلية معطوفة على جملة " فاسعوا إلى ذكر الله" وبيّنت الأمر الثاني وهو وجوب ترك البيع وكل ما يتعلق به من أمور وقت صلاة الجمعة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 264/8، 265.

<sup>2</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير، 360/3. وانظر: الزمخشري، محمود عمر. تفسير الكشاف. ضبط وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين مج 4/523، 524.

<sup>3</sup> - سورة الجمعة. آية(10) .

<sup>4</sup> - انظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 8/193، 194 .

• تداولية قوله تعالى: "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع":

إذا تأملنا جملة متمم النداء تكشفت لنا المعاني التداولية التالية :

لاستعمال أسلوب الشرط معنى تداولي عميق يتمثل في أن لكل عبادة فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين شروطاً وقواعد وضوابط. من هذه الشروط النية والقصد. فكل عمل يعمله المؤمن يجب أن يرتبط بنيته الصادقة وإرادته القوية طلباً لمرضاة الله تعالى. وقد ناسب استعمال الفعل "اسعوا" شرط النية في فريضة الصلاة.

وتظهر تداولية النداء في الآية أيضاً في استعمال بعض الكلمات فيها، ففي استعمال الفعل الماضي المبني للمجهول "نودي" معنى تداولي هو أن صلاة الجمعة "فرض عين على كل مسلم قادر بالغ عاقل حر؛ فهي فرض ثابت بنص الآية. وأجاز رسولنا الكريم، في سنته المطهرة، سقوط هذه الصلاة عن النساء والعبيد والمسافرين ومن لا يستطيع السعي إليها"<sup>(1)</sup>. ولاستعمال لام العهد في كلمة "الصلاة" معنى تداولي يتمثل في تعريف هذه الصلاة. فهي "الصلاة المعروفة الخاصة بيوم الجمعة، وهي صلاة ظهر يوم الجمعة، وليست صلاة زائدة على الصلوات الخمس؛ فأسقط من صلاة الظهر ركعتان لأجل الخطبتين"<sup>(2)</sup>. ولاستعمال الفعل "اسعوا" معنى تداولي يتمثل في وجوب استحضار النية والقصد في كل عمل يعمله المؤمن؛ فكل عمل يعمله المؤمن يحتاج إلى نية صادقة وإرادة قوية، وهما دليلان على صدق عبوديته لخالقه الواحد القهار. ولاستعمال الفعل "ذروا" معنيان تداوليان، أولهما: "التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يُشغل عنها في وقت أدائها. وثانيهما: توبيخ الفئة المؤمنة التي تركت الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقت خطبة صلاة الجمعة، وانصرفت عنه بسبب قدوم قافلة تجارة من الشام"<sup>(3)</sup>. وهذا الأمر واضح في قوله تعالى: "وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين"<sup>(4)</sup>.

1 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 226/28 بتصرف.

2 - المرجع السابق. 221 ، 222 .

3 - المرجع السابق. 205 ، 206 . بتصرف.

4 - سورة الجمعة . آية ( 11 ) .

وعليه؛ فإن ما يكسبه الإنسان من أجر بسبب تأدية الفرائض وأعمال الخير أفضل من مال الدنيا وكل خيراتها. فرزق الإنسان مقدر ومحدود لا يعلمه إلا الله الرازق، ولا يستطيع الإنسان أن يستعجل هذا الرزق أو يزيده أو ينقصه؛ لأنه مخلوق ضعيف لا يملك من أمره شيئاً؛ فأرادته مقيدة ومحدودة ورزقه أيضاً محدود ومقدر من الخالق القوي الجبار.

وفي تأدية صلاة الجمعة خير للمؤمنين؛ لأن اجتماعهم فيها يدل على اتحادهم وقوتهم. وفي خطبة صلاة الجمعة تذكير لهم بالفرائض والسنن وأعمال الخير.

#### 5 - نداء المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) في مقام الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى:

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالجهاد في سبيله، وقد ربط هذا الأمر بالإيمان به وبرسوله تعظيماً لأمر الجهاد وإعلاءً لشأنه. قال تعالى: "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" (1).

من المواضع التي حث الله تعالى عباده المؤمنين فيها على الجهاد في سبيله قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" (2).

يمثل نداء المؤمنين في هذه الآية وصية فذة جامعة بها يتحقق الخير، ويعظم النصر، ويتم الفلاح والنجاح (3)؛ فقد بدأت بالحث على الصبر؛ لأنه مفتاح العبادات والطاعات، وختمت بالحث على التقوى؛ لأن التقوى غاية ما يسعى إليه المؤمن وبها سعادته في الدارين (الدنيا والآخرة).

#### • نحوية قوله تعالى: "اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون":

تتكون جملة متمم النداء من أربع جمل فعلية، كل جملة فعلية منها تتضمن أمراً. فالجملة الفعلية الأولى هي: "اصبروا". والجملة الفعلية الثانية هي: "صابروا" وهي معطوفة على الجملة الأولى. والجملة الفعلية الثالثة هي: "رابطوا" وهي معطوفة على الجملة الثانية. وأما الجملة الفعلية الأخيرة فهي: "اتقوا الله" وهي معطوفة على الجملة الثالثة. وختمت الآية

1 - سورة الصف . آية (11).

2 - سورة آل عمران . آية ( 200 ) .

3 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 1/165 .

بجملة اسمية منسوخة مُصدّرة بالحرف المشبه بالفعل الناسخ " لعل " . والجملة الاسمية المنسوخة " لعلكم تفلحون " هي جملة حالية. والمعنى : " اتقوا الله فالحين " (1).

• تداولية قوله تعالى : " اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ":

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

بدأ الله تعالى خطاب عباده المؤمنين بفعل الأمر " اصبروا " ؛ لأن الصبر مفتاح كل عبادة ومستهل كل طاعة. والصبر بدرجته العادية ومرتبته الطبيعية هو أول مراتب الصبر. ويدل استعمال الفعل " صابر " في الأمر الثاني، وهو على وزن فاعل، على معنى المغالبة. والمصابرة هي مغالبة الصبر وهي مرتبة أعلى من مرتبة الصبر؛ وتظهر هذه المرتبة عند المؤمنين في العبادات والطاعات التي تحتاج إلى الصبر الشديد كالجهد في سبيل الله تعالى والصوم وتحمل المصاعب والمشاق في جهاد النفس عن ملذات الدنيا وشهواتها. وإظهار الصبر الشديد ، أيضاً ، في السفر والمرض طلباً لمرضاة الله تعالى .

ويدل استعمال الفعل " رابط " في الأمر الثالث، وهو على وزن فاعل ، أيضاً، على درجة عالية من الصبر تفوق درجة المصابرة؛ لأن المرابطة تكون بحراسة حدود الدولة الإسلامية وملازمة ثغورها ومقارعة أعداء الله والمسلمين. وهذا الأمر يحتاج إلى درجة عالية من الصبر. وختمَ الأمر الرباني في هذه الآية بفعل الأمر " اتقوا "؛ لأن التقوى أعلى درجات الإيمان وبها يحقق المؤمن الفوز بالدنيا والآخرة.

ويمكن القول أن لاستعمال حرف العطف " الواو " في هذه الآية معنى تداولياً يتمثل في بيان مراتب الصبر ودرجاته. فأول هذه المراتب وأدناها الصبر بدرجته العادية، وأعلاها التقوى؛ لأن التقوى متضمنة لأعلى درجة من درجات الصبر.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 1/640.

## 6- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام التحذير من موالة الكفار :

حذر الله تعالى عباده المؤمنين من موالة الكفار في كتابه المبين. ومن المواضع التي حذر المؤمنون فيها ، قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً " (1).

فالمعنى: " أي لا تجعلوهم خاصة لكم وبطانة توالونهم من دون إخوانكم من المؤمنين كما فعل المنافقون من موالاتهم للكافرين"(2). والاستفهام في الآية " للتقريع والتوبيخ: أي أتريدون أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة يعذبكم بها بسبب ارتكابكم لما نهاكم عنه من موالة الكافرين"(3).

### • التحليل النحوي للآية :

• نحوية قوله تعالى : " لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً " :

يتكون التركيب النحوي لجملة متم النداء من جملتين فعليتين: الجملة الأولى هي : لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين. وهي جملة فعلية مكتملة العناصر، فعلها الفعل المضارع المجزوم " تتخذ" وفاعلها " واو الجماعة". وهم الفئة المؤمنة المقصودة بالخطاب. و"الكافرين" مفعول أول. و " أولياء" مفعول ثانٍ. و" من دون" شبه جملة من الجار والمجرور وهو مضاف. وهما متعلقان بصفة محذوفة. و" المؤمنين" مضاف إليه(4). فالمعنى : لا تتخذوا الكافرين أولياء محبوبين من دون المؤمنين.

وأما الجملة الثانية، فهي قوله تعالى: " أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً ". وقد صُدِّرتُ هذه الجملة بهمزة الاستفهام، وهو استفهام إنكاري غرضه التوبيخ. و " تتريدون" فعل

1 - سورة النساء . آية ( 144 ).

2 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. مج 1 / 705.

3 - المرجع السابق. مج 1 / 705 .

4 - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2 / 183 .

مضارع فاعله واو الجماعة ومفعولاه: "سلطاناً" ، والمصدر المؤول من " أن تجعلوا" بمعنى " الجعل" و " مبيناً" نعت لـ " سلطاناً"<sup>(1)</sup>. فالمعنى أتريدون جعل سلطاناً مبيناً لله عليكم.

• تداولية قوله تعالى: " لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ":

في جملة متم النداء لهذه الآية نستنتج المعاني التداولية التالية :

لاستعمال أداة النهي " لا" معنى تداولي هو تحذير المؤمنين من موالاته أعداء الله وأعدائهم من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين؛ لأن هذه الفئات جميعها تشترك في صفتي الكفر والشرك. ولاستعمال الفعل " تتخذ" معنى تداولي هو شدة المودة والمحبة دل على ذلك استعمال كلمة " أولياء"؛ فالولي هو الصديق الحميم الذي تربطه بصديقه رابطة قوية كرابطة الدم أو النسب.

لهزمة الاستفهام معنى تداولي هو تقريع وتوبيخ الفئة المؤمنة ضعيفة الإيمان التي أرادت أن توالي الفئة الكافرة من دون المؤمنين. ولاستعمال الفعل " تريدون" معنى تداولي هو سوء الاختيار والوقوع في دائرة الكفر. فالفئة ضعيفة الإيمان هي مَنْ أرادت بسبب ضعف إيمانها اختيار موالاته أعداء الله وأعداء المؤمنين من الكفار. وقد حذرنا الله تعالى من ذلك.

وفي الآية تحذير للمؤمنين من صفة النفاق، ومن موالاته المنافقين الذين هم أولياء الكافرين. وفي الآية، أيضاً، تشهير بنفاق المنافقين، وبيان لعاقبتهم السيئة<sup>(2)</sup>. ويظهر هذا الأمر في قوله تعالى: " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً"<sup>(3)</sup>.

وعليه ؛ فالمؤمنون أخوة تربطهم أقوى رابطة هي رابطة الإسلام. ولا يكون ولاؤهم إلا لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين. وقد ظهر هذا المعنى في قوله تعالى: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا"<sup>(4)</sup>. وفي قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم مج 2 / 184.

2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 242/5 .

3 - سورة النساء. آية ( 145).

4 - سورة المائدة. من آية ( 55).

استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون"<sup>(1)</sup>. وفي قوله تعالى، أيضاً،  
:" بل الله مولاكم وهو خير الناصرين"<sup>(2)</sup>.

#### 7- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام الأمر بأكل الطيبات :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين " بأن يأكلوا من الطيبات التي رزقهم الله إياها. وهذا الأمر واضح في قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون"<sup>(3)</sup>. فالطيبات جمع طيبة، وهي ما لذَّ وحسَنَ وطَهَرَ وزكا من الطعام فكان بذلك حلالاً. وعلى الرغم من أن لفظ الآية يدل على عموم منظوق الطيبات، فمن الواضح أن المقصود هنا، هو اللحوم والذبائح. لأن الآية التي بعدها<sup>(4)</sup> تستثني المحرمات من اللحوم والذبائح، ولا يستحسن أن يُقال أن الإباحة مطلقة في الآية الأولى ، بحجة ذكر ما حرم في الآية الثانية؛ وبحجة أن العموم إذا جاء بعده مباشرة ما يخصه، ظل العموم دالاً على عمومه، ويستثنى منه ما يذكر بعده"<sup>(5)</sup>.

وعليه؛ فإن إباحة أكل الطيبات غير مطلقة في الآية الأولى؛ " لأن ما حُرِّم من الأطعمة والذبائح في الآية الثانية، ليس هو كل ما حُرِّم فقد حرم الله بالإضافة إلى ذلك الموقودة (المضروبة حتى الموت)، والنطيحة، والمتردية، وما أماتته الوحوش المفترسة. وعلى ذلك لا يحسن أن ينظر إلى الآية الثانية، على أنه مقيد تفصيلي. ولما كان الأمر كذلك، لا يقال إن كلمة (الطيبات) في الآية الأولى مقيدة فقط باستثناء ما ذكر في الآية الثانية، فقد علمنا أن المحرم في الآية ليس هو كل ما حُرِّم من الأطعمة والذبائح"<sup>(6)</sup>.

1 - سورة التوبة. آية ( 23).

2 - سورة آل عمران. آية ( 150).

3 - سورة البقرة. آية ( 172 ) الآية الأولى .

4 - انظر سورة البقرة . آية ( 173 ) الآية الثانية .

5 - استثنائية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 466 بتصرف.

6 - المرجع السابق. ص 466.

والأمر الثاني في هذه الآية (شكر الله تعالى) مرتبط بالأمر الأول (أكل الطيبات)؛

فعلى المؤمن أن يشكر الله تعالى على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ومنها الطيبات التي رزقه الله إياها.

فشكر المؤمن لله تعالى هو دليل على عبوديته الحقّة له. وهو أيضاً مظهر من مظاهر

استسلامه وخضوعه وانقياده لخالقه؛ فالمؤمن يشكر الله تعالى في السراء والضراء.

#### • التحليل النحوي للآية:

- نحوية قوله تعالى: "كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون":

تتكون جملة متمم النداء من جملة فعلية فعلها فعل الأمر "كلوا" ومفعولها محذوف. و

"من طيبات" جار ومجرور متعلقان بالمفعول المحذوف، وهي صفة للمفعول المحذوف. فالمعنى:

كلوا الطعام الطيب. وجملة صلة الموصول (ما رزقناكم) لا محل لها من الإعراب. وهي متممة

في المعنى للجملة السابقة، وعليه؛ يكون المعنى: كلوا الطعام الطيب الذي رزقكم الله إياه.

وجملة "اشكروا لله" هي جملة فعلية ثانية معطوفة على جملة "كلوا من طيبات" ورُبطَ

الأمر الثاني "اشكروا" بالأمر الأول "كلوا"؛ لأن أكل الطيبات يستوجب شكر المنعم الرازق

جلت قدرته. وأما الجملة الأخيرة "إن كنتم إياه تعبدون" فهي جملة شرطية صُدِّرتُ بحرف

الشرط الجازم "إن" وهي جملة اسمية منسوخة فعل الشرط فيها الفعل الماضي الناقص "كان". و

التاء في الفعل "كنتم" اسم كان وخبره الجملة الفعلية "إياه تعبدون". وأما جواب الشرط فهو

محذوف يفسره المذكور. فالمعنى: إن كنتم إياه تعبدون فاشكروه.

فعبودية الإنسان المؤمن لا تكون إلا لخالقه ولي نعمته ورازقه. ومن المظاهر الدالة

على عبودية المؤمن شكره لخالقه وحمده له؛ فبالشكر تدوم النعم<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 1/228، 229.

• تداولية قوله تعالى: "كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون":

لجملة متمم النداء المعاني التداولية التالية:

في استجابة العبد المؤمن للأمر الرباني (أكل الطيبات) معنى تداولي هو إظهار الطاعة والعبودية لله. "فالحلال (أكل الطيبات) عند المؤمن باب من أبواب طاعة الله؛ لأن الله أمر به، فإذا أكل فإنما يفعل ذلك طاعة لأمر الله، واستبقاء لحياته وطاقته وقدرته على القيام بما أمره الله به من الواجبات، فالحلال باب الواجب بهذا الاعتبار. ومن هنا كان ما يأكله المؤمن طاعة لله يثاب عليها"<sup>(1)</sup>.

وفي الأمر الرباني (أكل الطيبات) تكريم إلهي للإنسان المؤمن؛ فقد جعله رب العزة طيب القلب طيب الجسد طيب النفس؛ لذا فقد أمره بأكل الطيبات والابتعاد عن الخبائث؛ "لأنها إذا دخلت الجسد، أفسدت طيبه وطهره وزكاته. فإذا حصل ذلك، فسد القلب وخبثت النفس. ومن هنا كان حرص الإسلام شديداً على ألا يأكل المؤمن إلا طيباً، ولا يشرب إلا طيباً. فإذا كان ذلك أصبح سلوكه مع الناس طيباً"<sup>(2)</sup>.

ويمكن القول أن الآية الكريمة ربطت بين أمرين (عبادتين): أكل الطيبات، وشكر النعم. لقد كرم الله تعالى عبده المؤمن في العبادتين؛ فكَرَّمَهُ بأن جعله طيب النفس وطيب الجسد وطيب السلوك؛ لأن طعامه طيب. وكرمه، أيضاً، بأن جعله من عباده الشاكرين؛ فشكر الله تعالى وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى عبادة. فمن الصفات الحسنة التي وصف الله تعالى بها عباده المخلصين الشاكرين.

ويظهر البعد التداولي في الآية في استعمال كاف الخطاب وتاء الخطاب في الفعلين: "رزقناكم" و "كنتم"، ففي استعمالها معنى تداولي هو تنبيه المؤمنين إلى ضرورة الامتثال للأمر الرباني. فأكل الطيبات يفضي إلى شكر المنعم وحمده. ويشكر الله تعالى وحمده على نعمه تظهر عبودية المؤمن الحق لربه الرازق الكريم. وفي تقديم الضمير المنفصل (إياه)

<sup>1</sup> - استيتية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 468.  
<sup>2</sup> - المرجع السابق. ص 468.

معنى تداولي هو تعظيم الخالق الرازق. فعبودية المؤمن لا تكون إلا لخالقه الكريم. وتظهر هذه العبودية في إذعان المؤمن لأوامره واجتنبه لنواهيه.

#### 8- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام الأمر بالعدل :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يعدلوا في كل أمر من أمور حياتهم؛ فقال في بيان ذلك: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون"<sup>(1)</sup>.

في الآية تفصيل لأمر العدل؛ فهو العدل الذي أمر الله تعالى به عباده المؤمنين بأن يطبقوه في حياتهم؛ امتثالاً لأمره تعالى وطمعاً في ثوابه وخوفاً من عذابه؛ فعدل المؤمن في كل أمر من أمور حياته لا يكون إلا لله تعالى، وهو شهادة صادقة على إيمانه وتقواه.

ويمكن القول أن الخطاب الرباني "بدأ بالقيام لله تعالى أولاً؛ لأنه أردع للمؤمنين، ثم أردف بالشهادة بالعدل"<sup>(2)</sup>. فالمؤمن لا يكون إلا قائماً لله وفاءً بعهده وشرعه، وشاهداً بالعدل امتثالاً لأمره.

والعدل الذي أمر الله تعالى بتطبيقه يشمل المؤمن والكافر. فقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن ظلم غيرهم من الكفار أو المشركين، وأمرهم بالعدل في معاملتهم، وهذا النهي واضح في قوله تعالى: " لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى". فالمعنى: " لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعدتوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتنتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك"<sup>(3)</sup>.

1 - سورة المائدة. آية ( 8).

2 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 3/ 455 .

3 - الزمخشري ، محمود عمر. تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين. مج 1/600.

وفي قوله تعالى: " اعدلوا هو أقرب للتقوى" تأكيد على أمر العدل وبيان لفرضه الشرعي؛ فهو " أقرب للتقوى أي للتقوى الكاملة التي لا يشذ معها شيء من الخير، وذلك أن العدل هو ملاك كبح النفس عن الشهوة وذلك ملاك التقوى"<sup>(1)</sup>.

خُتِمَتُ الآيَةُ الكَرِيمَةُ بفعل الأمر " اتقوا" ؛ فهو أمر موجه إلى المؤمنين، ولهذا الأمر مقصده الشرعي؛ لأن تحقيق التقوى أمر مرتبط بإقامة العدل. فالعدل عبادة من العبادات التي يفعلها المؤمن إرضاءً لله تعالى، وبها وبغيرها من العبادات والطاعات يصل المؤمن إلى ذروة إيمانه ( تقواه).

- التحليل النحوي للآية:
- نحوية قوله تعالى: " كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون":

جملة متم النداء (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) جملة اسمية منسوخة مركبة من جملتين. الجملة الأولى هي: كونوا قوامين لله. وقد صُدرتْ هذه الجملة بفعل الأمر الناقص "كونوا" ، و " واو" الجماعة اسم كان. و" قوامين" خبرها. وأما الجملة الاسمية المنسوخة الثانية، فهي: شهداء بالقسط؛ لأن أصل الجملة : كونوا شهداء بالقسط. فالجملتان متعاطفتان، وتقديرهما: كونوا قوامين لله وكونوا شهداء بالقسط. وأما جملة" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا" فهي جملة فعلية معطوفة على السابق مُصدّرة بحرف النهي " لا" تبيين حكماً جديداً وهو نهى المؤمنين عن ترك العدل مع غير المؤمنين من الكفار. وأما جملة" اعدلوا" فهي جملة فعلية مؤكدة لأمر (فعل) العدل ومعلقة له؛ فالعدل أساس الحكم في الإسلام وهو طاعة مفضية إلى إيمان الإنسان وتقواه. وبها يتقرب المؤمن إلى الله تعالى يظهر هذا المعنى في قوله تعالى: " هو أقرب للتقوى". والجملة الفعلية" اتقوا الله" جملة معطوفة على جملة " اعدلوا" وقد تكرر الأمر بالعدل في هذه

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 136/6.

الآية؛ وربط بينه وبين التقوى؛ لأن العدل من التقوى. أما الجملة الأخيرة (إن الله خبير بما تعملون) فهي جملة اسمية منسوخة أكدت صفة من صفات الله تعالى هي صفة " الخبير". وقد استعملت هذه الصفة؛ لتناسب مقام الآية؛ فالعدل سلوك فطري داخلي من الإنسان تحكمه ضوابط الشريعة ويظهر أثره في كل عمل يعمله الإنسان في حياته (خير أو شر)؛ لذا فقد قرنت صفة الخبير بما يعمله المؤمن من خير كالعدل أو شر كالظلم؛ لأن الله تعالى يخبر (يعلم) كل ما يفعله الإنسان من خير أو شر في حياته الدنيا<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية الآية :

يمكن إجمال المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو أت:

استعملت صيغة المبالغة ( قوامين) الدالة على جمع الذكور (المؤمنين) لمعنى تداولي هو حرص المؤمنين على تأدية أوامر الله تعالى واجتباب نواهيه. فالمؤمن يقوم بتأدية العبادات والطاعات على أتم وجه إظهاراً لعبوديته الخالصة لله تعالى. وكُرِّرَ لفظ الجلالة " الله" لمعنى تداولي هو تعظيم الله سبحانه وتعالى. فالمؤمن يفعل ما يؤمر به وينجنب ما ينهى عنه تعظيماً لخالقه وامتثالاً لأمره. ووُصِفَ رَبُّ العزة في الآية بالخبير لمعنى تداولي هو تعظيم هذه الصفة وتقديسها. وقد قرنت هذه الصفة في الآية بما يعمله المؤمن من خير كالعدل أو شر كالظلم. ويظهر ذلك في قوله تعالى: " إن الله خبير بما تعملون".

في الآية تنبيه إلى مبدأ أساسي من مبادئ الحكم في الإسلام هو مبدأ العدل. وهذا المبدأ يُطبَّق على جميع أفراد المجتمع الإسلامي دون تحيز، وبه ينصف المظلوم وإن كان كافراً يعيش في كنف الدولة الإسلامية وتكسر شوكة الظالم ويردع عن ظلمه وإن كان مسلماً. وبالعدل يقوى المجتمع الإسلامي؛ فبتطبيقه يشعر أفراد المجتمع الإسلامي بالراحة والطمأنينة، وبه تسود المحبة

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2/239، 240، 241.

والرحمة بينهم. فالمجتمع الإسلامي مجتمع قوي متماسك، من ركائز قوته ركيزة العدل. وعليه فإن الإنسان المؤمن لا يكون إلا عادلاً؛ لأن إيمانه يدفعه إلى ذلك.

**9- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام التأدب في مخاطبة الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم:**

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتأدب في مخاطبة رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم"<sup>(1)</sup>.

لقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن استعمال الفعل " راعنا" في مخاطبة الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ولهذا النهي أسبابه، وقد فصل القول في حقيقة هذا النهي حين تحدث المفسرون عن أسباب نزول هذه الآية.

تعددت روايات المفسرين حول سبب نزول هذه الآية، من هذه الروايات ما " أخرج ابن المنذر عن السدي قال: كان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد، إذا لقيا النبي، صلى الله عليه وسلم، قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أنّ هذا شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي، صلى الله عليه وسلم، ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"<sup>(2)</sup>.

وعليه؛ "فإن وجه النهي في الآية عن استعمال لفظ " راعنا" أنّ هذا اللفظ كان بلسان اليهود سباً، قيل: إنه في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت، وقيل غير ذلك، فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي، صلى الله عليه وسلم: راعنا طلباً منه أن يراعيهم من المراعاة، اغتتموا الفرصة، وكانوا يقولون للنبي، صلى الله عليه وسلم، كذلك، مظهريّن أنهم يريدون المعنى العربي مبطنين أنهم يقصدون السب، الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم"<sup>(3)</sup>.

1 - سورة البقرة . آية ( 104 ) .

2 - السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. ص 24 .

3 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 180/1 .

ولأن من صفات اليهود سب الآخرين وشتيمهم " فقد أرادوا، قبحهم الله، أن يصفوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالرعونة التي هم أهلها. هذا، وفي العبرية كلمة للذم وهي (راع)، وتعني شرير أو مقيت، أو بغيض. وقد كانوا يذمون بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا خلا بعضهم إلى بعض. ويبدو أن بعض المسلمين استعملوا - عن حسن نية ومجرد تقليد غير واع - الكلمة العربية، فنهاهم الله عن ذلك"<sup>(1)</sup>.

وأما قوله تعالى: "وقولوا انظرونا" فيعني: "اجعل لنا من نظرك ورعايتك نصيباً"<sup>(2)</sup>. وحفظاً للنبي الكريم من كل منقصة وتأديباً لأتباعه المؤمنين فقد "أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يخاطبوا النبي، صلى الله عليه وسلم، بما لا يحتمل النقص ولا يصلح للتعريض. وفي ذلك دليل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص سداً للذريعة ودفعاً للوسيلة وقطعاً لمادة المفسدة"<sup>(3)</sup>؛ لذا فقد نهاهم عن استعمال الفعل (راعنا) وأمرهم باستعمال الفعل (انظرونا) في مخاطبة الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، تكريماً له.

وقوله تعالى: "واسمعوا" هو أمر رباني موجه إلى المؤمنين ويعني: "اسمعوا ما أمرتم به ونهيتم عنه، وأطيعوا الله في ترك خطاب النبي، صلى الله عليه وسلم، بذلك اللفظ (راعنا) وخاطبوه بما أمرتم به (انظرونا)، ويحتمل أن يكون معناه اسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع حتى يحصل لكم المطلوب بدون طلب للمراعاة"<sup>(4)</sup>.

خُتِمَتُ الآيةُ الكريمةُ ببيان الجزاء الذي ينتظر اليهود، لعنهم الله؛ فقد توعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم؛ لأنهم سبوا الرسول الكريم وشتموه.

1 - استيتية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 358، 359

2 - المرجع السابق. ص 359.

3 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 180/1 بتصرف .

4 - المرجع السابق. 180/1 بتصرف.

## • التحليل النحوي للآية:

### • نحوية قوله تعالى: " لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم":

جملة متمم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية مركبة مُصدّرة بـ "لا" الناهية. فـ " لا تقولوا" جملة فعلية مُصدّرة بـ "لا" الناهية . وجملة " راعنا" جملة فعلية أخرى ( فعل وفاعل ومفعول به) وهي في محل نصب مقول القول للفعل " تقول". وجملة " وقولوا انظرنا" هي جملة فعلية مركبة فعلها فعل الأمر " قُلْ". و " انظرنا" جملة فعلية أخرى ( فعل وفاعل ومفعول به) وهي في محل نصب مقول القول للفعل " قُلْ"؛ فجملة " وقولوا انظرنا" معطوفة على جملة " لا تقولوا راعنا". والجملة الفعلية الثالثة " اسمعوا"، أيضاً، معطوفة على الجملتين السابقتين: " لا تقولوا راعنا" و " قولوا انظرنا". وحُذِفَ مفعول جملة " اسمعوا" وتقدير الكلام: اسمعوا ما تؤمرون به وتتهون عنه.

وأما الجملة الأخيرة التي ختمت بها الآية، فهي جملة اسمية مستأنفة<sup>(1)</sup> تتضمن هذه الجملة حكماً جديداً هو ذم اليهود والتعريض بهم. وقد ظهر هذا الحكم في تقديم ما يدل عليه من لفظ. فبدأت الآية بذكر شبه الجملة ( للكافرين)؛ لإظهار المعنى المطلوب منها ، فتقدير الكلام في قوله تعالى: عذاب أليم حاصل للكافرين. فالمعنى التداولي المتحصل من مقام الآية هو ذم اليهود وتقييحهم؛ لأنهم أرادوا سب الرسول وشتمه.

## • تداولية الآية:

بالنظر في مقام الآية وسبب نزولها يمكن استبطان المعاني التداولية التالية:

في النهي الرباني: " لا تقولوا راعنا" ذم لليهود الذين استعملوا هذه الكلمة ( راعنا) في مقام شتم الرسول الكريم وسبه. وتنبيه للمسلمين وتحذيرهم من مكر اليهود وخبثهم. وفي الأمر الرباني:

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج1/142، 143.

وقولوا انظرنا" مدح للمؤمنين الذين يطيعون رسولهم، ويشغلون فكرهم وعقلهم فيما يمليه عليهم من أمور دينهم.

في الأمر الرباني: "اسمعوا" تنبيه المؤمنين إلى ضرورة سماع ما يُملى عليهم من أمور دينهم، وعدم التهاون فيه. فالأصل أن يكون سماعهم لأمر دينهم سماع إذعان وقبول وطاعة وامتنال. وفي استعمال هذا الفعل تعريض باليهود الذين قالوا سمعنا وعصينا. فمعصية اليهود لأمر الله تعالى لم يكن سببها جهلهم لهذا الأمر وعدم معرفته؛ " فقد اختاروا المعصية عن تأمل ونظر وفهم. فالذنب إذاً عظيم، والاعتذار بالجهل في اختيار الكفر والمعصية غير وارد. فالمعنى المقصود تقييح معصيتهم وإظهار فظاعتها"<sup>(1)</sup>. وحُذف المفعول به بعد الفعل "اسمعوا" لمعنى تداولي هو تنبيه المؤمنين إلى أهمية ما يؤمرون به وينهون عنه؛ فالمعنى : اسمعوا كل ما تؤمرون به وتنهون عنه سماعاً حسناً وطبقوه. فالمؤمن دينه قويم وأخلاقه حسنة لا يشتم الرسول والناس الآخرين.

ووصف الله تعالى اليهود في نهاية الآية بالكافرين، وفي هذا الوصف معنى تداولي هو المبالغة في ذمهم؛ لأنهم سبوا الرسول الكريم وشتموه؛ فقد توعدهم رب العزة بالعذاب الأليم يوم القيامة.

ويمكن القول أن هذه الآية " دلت على مشروعية أصل من أصول الفقه وهو من أصول المذهب المالكي يلقب بسد الذرائع وهي الوسائل إلى يتوسل بها إلى أمر محظور"<sup>(2)</sup>.

**10- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم:**

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم "<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - استيتية، سمير. رياض القرآن، تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي. ص 335 بتصرف.

<sup>2</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 1 / 652 .

<sup>3</sup> - سورة محمد. آية ( 33 ) .

لقد خاطب الله تعالى عباده المؤمنين، في هذه الآية، بصيغة الأمر؛ فأمرهم بطاعته (إتباع أوامره واجتتاب نواهيه) وقرن هذه الطاعة، أيضاً، بطاعة رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، تكريماً لرسوله الكريم.

وأما الجزء الثاني من الخطاب في هذه الآية فهو نهى المؤمنين عن إبطال طاعتهم وإفساد إيمانهم بالمعاصي والآثام والأعمال الفاسدة.

لهذه الآية مناسبة، فقد " قيل إنّ بني أسد أسلموا، وقالوا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم: قد أثرتناك وجئتناك بنفوسنا وأهلنا كأنهم منوا بذلك فنزلت فيهم هذه الآية"<sup>(1)</sup>.

وعليه؛ فإن النهي الوارد في الآية سببه المناسبة التي ارتبطت به. فقد "نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن يبطلوا أعمالهم كما أبطلت الكفار أعمالها بالإصرار على الكفر"<sup>(2)</sup>.

لقد تعددت تفسيرات النهي الرباني ( لا تبطلوا أعمالكم ). من هذه التفسيرات: " لا تبطلوا أعمالكم باليمن بالإسلام. وعن ابن عباس بالرياء والسمعة، وعنه أيضاً، بالشك والنفاق، وقيل بالعجب فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وقيل: المراد بالأعمال الصدقات أي تبطلوها باليمن والأذى، وقيل: لا تبطلوا طاعاتكم بمعاصيكم"<sup>(3)</sup>. والتفسير الأقرب إلى الصواب ما قاله الشوكاني، فقد قال في تفسير هذا النهي: " والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كائناً ما كان من غير تخصيص بنوع معين"<sup>(4)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية:

#### • نحوية قوله تعالى: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ":

جملة متمم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " أطيعوا"، وفي هذه الجملة أمر صريح بطاعة الله تعالى وامتثال أمره. وأما الجملة الفعلية الثانية: " أطيعوا الرسول"

1 - الألويسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية. 233/13.

2 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 50/5 .

3 - الألويسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية. 234/13 .

4 - الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 50/5 .

فهي جملة فعلية أيضاً معطوفة على الجملة الأولى، وتتضمن هذه الجملة أيضاً أمراً ثانياً هو طاعة الرسول وتطبيق سنته. عُطِفَ أمر طاعة الرسول الكريم على أمر طاعة الله تعالى تكريماً له، فطاعة الرسول من طاعة الله تعالى وهو نبيه ورسوله المبلغ الأمين الشفيع يوم الدين. وختمت الآية الكريمة بجملة فعلية مُصدّرة بـ " لا " الناهية. وهي جملة معطوفة تبين حكماً جديداً هو النهي عن إبطال الطاعات بالمعاصي<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية الآية:

- تداولية قوله تعالى: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ":

يُستنتجُ من مقام الآية المعاني التداولية التالية:

يظهر البعد التداولي في الآية في استعمال لفظ الجلالة " الله"، ففي استعماله معنى تداولي هو تعظيم الله تعالى الخالق المعبود المنفرد بوحدهيته. ويظهر البعد التداولي أيضاً في تعريف لفظ (الرسول)، ففي تعريفه معنى تداولي هو تكريم الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقد كرمه الله تعالى بأن جعله نبياً رسولاً مختاراً شافعياً لأُمَّته يوم الدين. وفي النهي الرباني في الآية تنبيه المؤمنين إلى عدم إبطال الطاعات بالمعاصي. "وتحذيرهم عن كل ما بين الدين أنه مبطل للعمل كلاً أو بعضاً مثل الردة ومثل الرياء في العمل الصالح، فإنه يبطل ثوابه"<sup>(2)</sup>. وعليه فالمؤمن التقي عبد مطيع منيب، وعبوديته خالصة لخالقه الواحد القهار. فلا يبطل طاعاته بمعاصيه.

وفي تكرار الفعل " أطيعوا" معنى تداولي هو إعلاء شأن طاعة الرسول الكريم؛ فطاعته واجبة وهي من طاعة الله تعالى؛ لذا كرر الفعل " أطيعوا". والأمر بطاعة رسولنا الكريم هو مظهر من مظاهر تكريمه عليه السلام. ولا يقتصر تكريم الرسول الكريم على هذا

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 480/7.  
<sup>2</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 127/26.

الأمر، فمظاهر تكريم الله تعالى لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، كثيرة في القرآن الكريم، منها: الأمر بطاعته والاستجابة له وعدم خيانتة وعدم رفع الصوت في حضرته، والصلاة عليه وشفاعته لأُمَّته يوم الدين<sup>(1)</sup>.

#### 11- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا) في مقام الحث على الاستئذان قبل دخول البيوت:

نهى الله عباده المؤمنين عن دخول بيوت الغير بدون استئذان، لكنه أجاز دخولها بعد استئذان أهلها والتسليم عليهم. وهذا النهي واضح بين في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون"<sup>(2)</sup>.

يرتبط النهي الإلهي في هذه الآية بسبب نزولها؛ فمما يُروى في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: "جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية"<sup>(3)</sup>.

وعليه؛ فوجه النهي في هذه الآية هو الحفاظ على حرمة البيوت وأسرارها. ولكن هذا النهي ليس نهياً مطلقاً؛ فقد أجاز الله تعالى دخول بيوت الغير بعد الاستئذان والتسليم. وهذا الأمر واضح في قوله تعالى: "حتى تستأنسوا وتسلموا".

فصل الزمخشري القول في تفسير قوله تعالى: "تستأنسوا" فقال: "فيه وجهان: أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى:

<sup>1</sup> - انظر: سورة النساء. آية ( 59 ) ، سورة الأنفال. آية ( 20 ) ، آية ( 24 ) ، آية ( 27 ) . سورة الحجرات. آية ( 2 ) . سورة الأحزاب . آية ( 56 ) . سورة الحديد . آية ( 28 ) .  
<sup>2</sup> - سورة النور. آية ( 27 ) .  
<sup>3</sup> - السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. ص 158.

حتى يؤذن لكم. الثاني: من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال"<sup>(1)</sup>.

فالمعنى العام للآية: "أي لا تدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل. وقوله تعالى: "ذلك خير لكم" : أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة. وقوله تعالى: "لعلكم تذكرون" أي لتتعظوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة"<sup>(2)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: "لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية صُدِّرتْ بـ " لا" الناهية وتتضمن هذه الجملة (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) نهياً عن دخول بيوت الغير. لكن هذا النهي ليس نهياً مطلقاً، فهو مشروط بوجوب الاستئناس (الاستئذان) والتسليم ( طرح تحية الإسلام). ظهر هذان الشرطان في الجملة الفعلية المُصدَّرة بحرف التعليل الناصب " حتى" في قوله تعالى: " حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها". فالاستئذان شرط أول عُطف عليه التسليم ( الشرط الثاني). فالجملة الفعلية " تسلموا" معطوفة على الجملة الفعلية "تستأذنوا". فالمعنى: يُسمح للمؤمنين بالدخول إلى بيوت الغير إذا استأذنوا وسلموا على أهلها.

وأما قوله تعالى: "ذلكم خير لكم" فهو جملة اسمية بينت المقصد الشرعي من أدب الاستئذان والتسليم. فالاستئذان والتسليم على أهل المنزل عند الدخول خير للمؤمن. وهو أدب (خلق) إسلامي له مقاصده وأغراضه ومعانيه.

<sup>1</sup> - الزمخشري ، محمود عمر. تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين. مج 3/220.  
<sup>2</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 306/2.

وختمت الآية الكريمة بالجملة الاسمية المنسوخة المُصدّرة بحرف الترجي الناسخ

(لعل) " لعلكم تذكرون " لتبين صفة من صفات المؤمنين وهي صفة الذاكرين الذين يتدبرون

الآيات ويفهمون مقاصدها؛ فيتعظوا بها ويعملوا بموجب مقاصدها<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية آية الاستئذان:

بالنظر في مقام الآية، يمكننا استبطان المعاني التداولية المتولدة منه وإجمالها بما هو آت:

لاستعمال حرف العطف ( الواو ) في قوله تعالى: " حتى تستأنسوا وتسلموا " معنى تداولي هو ترتيب شروط الدخول. فجعل الاستئناس (الاستئذان) شرطاً أولاً والتسليم شرطاً ثانياً. وهو ترتيب منطقي عقلي يناسب كيفية الدخول والمقصد الشرعي للاستئذان. ويظهر البعد التداولي أيضاً في تكرير كلمة " بيوتاً"، ففي استعماله نلمح معنى تداولياً يدل على عموم بيوت الغير (بيوت المؤمنين)؛ لكن هذا العموم لا يعني الإبهام والغموض والتكثير؛ لأن كلمة " بيوتاً" وصفت بصفة معرفة (غير بيوتكم) . فبيوت المؤمنين ( بيوت الغير) التي يقصد الدخول إليها هي بيوت معروفة مأهولة بسكانها بدليل قوله تعالى: " وتسلموا على أهلها". فالقصدية في دخول بيوت الغير جعلتها بيوتاً معروفة. " والقصد توجه بليغ في إخراج الكلمة من التكثير إلى التعريف"<sup>(2)</sup>.

وفي استعمال اسم الإشارة ( ذلكم) معنى تداولي هو تنبيه المؤمنين إلى أدب الاستئذان وإعلاء شأنه وبيان أهميته؛ فهو أدب رفيع وخلق قويم، وهو علامة مميزة للمجتمع الإسلامي. وينكشف الوجه التداولي أيضاً في استعمال الفعل المضارع ( تذكرون) ففي استعماله معنى تداولي هو استمرارية حدث الاستئذان. فالاستئذان سلوك مستمر يتكرر حدوثه في الحياة ويقوم به أفراد المجتمع الإسلامي بشكل يومي؛ لذا فقد ناسب استعمال الفعل المضارع بصيغته الدالة على الاستمرار تكرار حدوث الاستئذان في الحياة. فإرادة دخول البيوت باستمرار يلزمها استمرار تذكر شروط الدخول وهي الاستئناس والتسليم.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 421/5، 422.

<sup>2</sup> - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي، ص 678.

ويمكن القول أن في تطبيق أدب الاستئذان بعداً تداولياً نفسياً يتعلق بالمستأذن ( اسم الفاعل). فالاستئذان يحفظه من الذم والشتم والمساءلة. فالمستأذن حين يستأذن يحفظ نفسه ويصون كرامته، ولا يقع في الشبهة والذنب؛ لأن بيوت المؤمنين ( الغير) عورات. وقد أمر ديننا الحنيف بستر هذه العورات والمحافظة عليها. وأما البعد التداولي النفسي المتعلق بالمستأذن منه ( اسم المفعول) فيتمثل في أن الاستئذان يصون بيته ويحفظ عورته وعورة أهل بيته ويبعد عنه شرور الآخرين.

وفي تطبيقه أيضاً أبعاد اجتماعية إيجابية للطرفين وتتمثل هذه الأبعاد في حفظ النفوس من الذم والشتم والمساءلة، ستر عورات المسلمين والمحافظة عليها، انتشار العدل والأمن، انتشار المحبة والطمأنينة. وبهذه الأبعاد ( النتائج الإيجابية) وغيرها تتحقق قوة المجتمع الإسلامي؛ فيكون مجتمعاً مثالياً صالحاً للحياة ( حياة الفرد والجماعة).

وعليه، فإن لأدب الاستئذان في الإسلام مقصداً شرعياً أراد الله تعالى لعباده المؤمنين؛ فهو كله خير؛ وقد أشار رب العزة إلى أهمية هذا المقصد الشرعي بقوله: " ذلكم خير لكم".

12- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا ) في مقام الأمر بتقوى الله تعالى والتحذير من عذابه يوم القيامة :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقواه، وحذرهم من هول عذابه يوم القيامة. قال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفسٌ ما قدمت لعدوِّ واتقوا الله إنَّ الله خبير بما تعملون<sup>(1)</sup>.

في الخطاب الرباني أمران: فالمعنى في الأمر الأول ( اتقوا الله ) " خافوا الله واحذروا

عقابه بامتثال أوامره واجتنب نواهيه"<sup>(2)</sup>. فالمؤمن يؤدي العبادات ويفعل الطاعات وأعمال

الخير في الدنيا ؛ ليكون من عباده الفائزين بالجنة في الآخرة.

<sup>1</sup> - سورة الحشر. آية (18).

<sup>2</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 3/335.

وأما الأمر الثاني، فهو دعوة المؤمنين إلى التفكير في يوم القيامة (يوم الحساب)؛ ففيه يُكشف عن مصير الإنسان، فإما أن يكون هذا الإنسان من أهل الجنة وإما أن يكون من أهل النار. وفي هذه الدعوة أيضاً تنبيه المؤمنين إلى وجوب الاستمرار في تأدية العبادات وفعل الطاعات وأعمال الخير؛ لأن الأمور بخواتيمها. فالمؤمن النقي حريص على أن يختم حياته في الدنيا بطاعة الله تعالى وتقواه؛ ليفوز بجنته في الآخرة.

وكرر الأمر الأول ( واتقوا الله ) في الآية؛ لتذكير المؤمنين بأن تقوى الله ومخافته هي المنجية لهم يوم القيامة من عذابه. فالفائزون يوم القيامة هم المتقون وهم أصحاب الجنة. قال تعالى: " لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون"<sup>(1)</sup>.  
وخُتمت الآية الكريمة بتأكيد صفة من صفات الله تعالى هي صفة الخبير؛ فالمعنى: اتقوا الله فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وخافوا عذابه؛ لأنه الخبير العليم يخبر كل شيء خلقه ويعلم أسرار ه وخفائاه.

#### • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: " اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " اتقوا" وهي تمثل الأمر الأول، فالمعنى: اتقوا الله بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه. وأما الجملة الثانية المرتبطة بجملة متم النداء (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) فهي جملة فعلية معطوفة مُصدرة بلام الأمر، وتتضمن هذه الجملة الأمر الثاني، فالمعنى: احذروا عذاب الله تعالى يوم القيامة؛ فكونوا من الأتقياء الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه، لتفوزوا بالجنة. وأما الجملة الثالثة فهي " اتقوا

<sup>1</sup> - سورة الحشر. آية ( 20).

الله" وهي جملة فعلية معطوفة على الجملتين السابقتين، وكُررتْ هذه الجملة وهي من باب التوكيد اللفظي. لتؤكد على وجوب تقوى الله، فهي وسيلة المؤمن إلى النجاة وسبيله إلى الجنة .  
وأما الجملة الأخيرة في الآية فهي الجملة الاسمية المنسوخة (إن الله خبير بما تعملون) وهي جملة معلة للجملة السابقة، فالمعنى: اتقوا الله وخافوه فأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه؛ لأنه هو الخبير العليم يعلم كل شيء خلقه<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية الآية :

يمكن إجمال المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في الآية بما هو آتٍ:  
كُرر الأمر بالتقوى في الآية وهذا التكرار من باب التوكيد اللفظي، لمعنى تداولي هو تنبيه المؤمنين إلى أن التقوى هي السبيل إلى نجات المؤمنين من عذاب النار، وأنها المنزلة العالية من الإيمان وهي صفة المؤمنين التي تميزوا بها. وكرر لفظ الجلالة "الله" لمعنى تداولي هو تعظيم الخالق؛ فهو المتفرد بوحديته سبحانه وتعالى. وعبودية البشر لا تكون إلا له. وهو مَنْ يخافه المؤمنون ويتقونه.

ويظهر البعد التداولي في استعمال الفعل المضارع المصدر بلام الأمر؛ ففيه معنى تداولي هو دعوة المؤمنين إلى الاستمرار في تأدية العبادات والطاعات والمداومة عليها قبل فوات الأوان (الموت) . فالمؤمن يجب عليه أن يعيد النظر في أعماله التي يعملها في حياته باستمرار ويجعلها سالحة؛ ليكون من الفائزين يوم القيامة. وفي استعمال الفعل "تنظر"، أيضاً، تذكير للإنسان بحواسه وعقله، فهي نعم وهبها الله تعالى له؛ ليعبده ويتفكر في ملكوته وسلطانه. ونلمح في استعمال صفة "خبير" معنىً تداولياً هو تقديس صفة من صفات الله تعالى؛ فهو الخبير العليم يعلم كل شيء خلقه.

وينكشف الوجه التداولي للنداء في الآية في "التكبير"، ففي تكبير لفظ "نفس" معنى تداولي هو تذكير كل نفس إنسانية خلقها الله تعالى وبث فيها الروح بوجوب عبادته وطاعته

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 8 / 131، 132 .

وامتثال أمره. فلفظ "نفس" وإن كان نكرة فإنه يدل على عموم النفس الإنسانية التي خلقها الله<sup>(1)</sup>، فالمعنى: ولتنتظر كل نفس، فهو أمر موجه إلى عموم الناس لا خاصتهم؛ وبذا اكتسبت كلمة "نفس" التعريف بسبب قصديتها الموجهة إلى عموم الناس. فالخطاب (الأمر) موجه مقصود إلى عموم الناس. "والقصد توجه بليغ في إخراج الكلمة من التنكير إلى التعريف"<sup>(2)</sup>. وفي تنكير لفظ "غد" معنى تداولي هو تفخيم يوم القيامة وتهويل شأنه<sup>(3)</sup>، فهو يوم عظيم استأثر الله تعالى بعلمه. قال تعالى في وصف عظم هذا اليوم: "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم"<sup>(4)</sup>، ويوم القيامة حق وزمن حدوثه غير معلوم للبشر؛ لكن الله تعالى يعلمه، لذا نُكِرَ.

### 13- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا ) في مقام بيان فضل التقوى:

من أعظم الأوامر التي فرضها الله عزوجل على عباده التقوى، فقد "نبه الله تعالى عباده المؤمنين إلى ثمرة التقوى، وذكرهم بأنها أساس الخير كله، وأن من أعظم ثمرات التقوى ذلك النور الرباني، الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، وبه يفرق بين الرشيد والغبي، والهدى والضلال"<sup>(5)</sup>. قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم"<sup>(6)</sup>.

في الآية بيان لفضائل التقوى، من هذه الفضائل النصر الذي حققه المسلمون في غزوة بدر الكبرى؛ ففيها فصل الله تعالى بين الحق والباطل ونصر دينه ورسوله الكريم، ومن توابع هذا الفضل أيضاً تكفير السيئات والمغفرة.

فتقوى الله تعالى شرط أساسي في جعل الفرقان وتحقيقه وبها أيضاً تُكْفَر السيئات

وتُغْفَرُ الذنوب.

1 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 110/28.

2 - استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي، ص 678.

3 - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، 3/336.

4 - سورة الحج. آية (1).

5 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. 456/1.

6 - سورة الأنفال. آية (29).

فُسِّرَ الفرقان في الآية تفسيرات كثيرة، منها أنه "النصر ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله أو البيان والظهور الذي يشهر أمر المسلمين ويثبت صيتهم وآثارهم في أقطار الأرض أو المخرج من الشبهات والنجاة من كل ما يخافونه"<sup>(1)</sup>.

وَحُتِمَتُ الآيةُ الكريمةُ بتذكير المؤمنين أن التقوى أساس الخير كله للمؤمنين، وهي فضيلة كبرى من الله تعالى بها على عباده المؤمنين؛ وبها سعادتهم في الدارين ( الدنيا والآخرة). فهو صاحب الفضل العظيم؛ لأن نعمه على الإنسان كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى.

#### • التحليل النحوي للآية:

- نحوية قوله تعالى: " إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة شرطية مُصدّرة بحرف الشرط الجازم "إن". ففعل الشرط فيها الفعل المضارع "تتقوا" وجوابه الفعل المضارع "يجعل". فالمعنى: " إن أطعتم الله واجتنبتم معاصيه يجعل لكم هداية ونوراً في قلوبكم، تفرقون به بين الحق والباطل" <sup>(2)</sup> وأما الجملة الفعلية " يكفر عنكم سيئاتكم" فهي جملة فعلية معطوفة على جملة جواب الشرط " يجعل لكم فرقاناً". فتكفير السيئات فضل آخر يحصله المؤمنون من التقوى. وأما الجملة الفعلية " يغفر لكم" فهي جملة فعلية معطوفة، أيضاً، على الجملتين السابقتين: " يجعل لكم فرقاناً" و " يكفر عنكم سيئاتكم". فمغفرة الله تعالى للمؤمنين فضل آخر متحصل من التقوى.

<sup>1</sup> - الزمخشري ، محمود عمر. تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين. مج 2 / 208  
بتصرف

<sup>2</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 1 / 465 .

وعليه، فالتقوى فضل كبير أكرم الله تعالى به عباده المؤمنين، فبه يفرقون بين الحق والباطل، وبه يحققون النصر على أعداء الله وأعدائهم، وبه المخرج من كل ضيق. وبالتقوى تكفّر السيئات وتُغفر الذنوب.

وختُمت الآية الكريمة بقوله تعالى: "والله ذو الفضل العظيم". وهي جملة اسمية<sup>(1)</sup> فالله تعالى ولي نعمة المؤمنين، وهو المتفضل عليهم بنعمة التقوى وفضائلها الكثيرة. فنعمه كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى وخيره وسع كل شيء.

#### • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في الآية في الآتي:

يظهر البعد التداولي في الآية في استعمال الأفعال، ففي استعمال فعل الشرط "نتقوا" معنى تداولي هو التنبيه إلى فضائل التقوى والحث على التمسك بها. فالتقوى أساس الخير كله للمؤمنين في الدنيا والآخرة. وفي استعمال الفعل "يجعل" معنى تداولي هو حتمية حدوث الفعل وتحقيقه، فالله القادر يفعل بإرادته ما يشاء. فهو مَنْ يجعل (يحقق) المخرج للمؤمنين من كل ضيق. وإرادته مطلقة يفعل ما يريد وهو القادر على كل شيء خلقه.

وينكشف الوجه التداولي في الآية أيضاً في استعمال بعض الحروف والأسماء وأشباه الجمل، ففي استعمال حرف العطف "الواو" معنى تداولي هو الترتيب. فالتقوى شرط ويزترتب على القيام بهذا الشرط: الوعد بالنصر ومغفرة الذنوب وسعة الفضل<sup>(2)</sup>. في استعمال لفظ "فرقانا" معنى تداولي هو التمييز الشامل بين حالين: حال الإيمان ويمثله المؤمنون بتقواهم وأعمالهم الصالحة وحال الكافرين ويمثله الكافرون بكفرهم وعصيانهم وشركهم وأعمالهم الفاسدة<sup>(3)</sup>. وفي استعمال شبه الجملة "لكم" معنى تداولي هو تكريم المؤمنين بتكثير فضائل التقوى

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 3/256، 257.

2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 9 / 226 .

3 - انظر: المرجع السابق. 9 / 226 .

لهم، فتقواهم سبب في إكثار الفضائل منها المخرج من كل ضيق وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

وتظهر التداولية في الآية في الحذف والتكرار، ففي حذف مفعول الفعل " يغفر " معنى تداولي هو تكثير المغفرة وبيان سعتها؛ لأن الله غفار الذنوب، ومغفرته واسعة وسعت كل شيء؛ لذا لم يقيد الفعل بمفعول. وفي تكرار لفظ الجلالة " الله " في الآية معنى تداولي هو تعظيم الخالق، جلّت قدرته، وتقديس صفة من صفاته وهي صفة الفضل. فضله عظيم وخيره كثير وعطاؤه غير محدود.

#### 14- نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا ) في مقام الأمر بذكر الله تعالى وتسبيحه :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بمداومة ذكره وتقديسه، جلّت قدرته، والإكثار من تنزيهه وتمجيده. قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً " وسبحوه بكرة وأصيلاً<sup>(1)</sup>.

في الآيتين حثٌ على استمرارية الدعاء؛ لأن الدعاء روح العبادة. فالمعنى في الآيتين " اذكروا الله بالتهليل والتحميد، والتمجيد والتقديس ذكراً كثيراً، بالليل والنهار، والسفر والحضر وسبحوا ربكم في الصباح والمساء، وخص الله تعالى الليل والنهار بالذكر؛ لأنهما أفضل الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما"<sup>(2)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية:

#### • نحوية قوله تعالى: " اذكروا الله ذكراً كثيراً " " وسبحوه بكرة وأصيلاً":

جملة متمم النداء في الآية الأولى ( اذكروا الله ذكراً كثيراً ) جملة فعلية فعلها فعل الأمر ( اذكروا). فالخطاب الرباني في هذه الآية أمر بذكره ذكراً كثيراً؛ لأن في مداومة الدعاء واستمراريته وكثرته خير للمؤمن؛ فالدعاء روح العبادة وهو مفتاح كل خير له.

<sup>1</sup> - سورة الأحزاب . آية ( 41 ) وآية ( 42 ) .

<sup>2</sup> - الصابوني ، محمد علي . صفة التفسير . 486 / 2 بتصرف .

وأما الأمر الثاني، في الآية الكريمة ( وسبحوه بكرة وأصيلاً )، فهو أمر بتسبيح الله تعالى وتقديس صفاته وتعظيم أسمائه. وقد عُطف الأمر ( سبحوه ) على الأمر ( اذكروا ). فالجملة الفعلية ( سبحوه بكرة وأصيلاً ) معطوفة على الجملة الفعلية ( اذكروا الله ذكراً كثيراً ) . والعطف في هاتين الجملتين هو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن ذكر الله تعالى عبادة كلية تشمل الصلوات المفروضة وجميع الأدعية التي يتقرب بها المؤمن من ربه، وأما تسبيح الله وتقديسه فهو عبادة خاصة يقصد منها تنزيه الله تعالى عما سواه؛ فهو الخالق الواحد القهار الفرد الصمد، "وقد يراد بالتسبيح الصلوات النوافل" (1).

#### • تداولية قوله تعالى: " اذكروا الله ذكراً كثيراً ":

يتضمن الخطاب ( الأمر ) الرباني في هذه الآية المعاني التداولية التالية:  
تظهر التداولية في الخطاب الرباني في هذه الآية في استعمال فعل الأمر " اذكروا " فهو يكشف عن معنى تداولي هو تذكير المؤمنين بوجوب طاعة الله تعالى في كل أمر من أمور حياتهم؛ فطاعة المؤمن لله تعالى طاعة عامة تشمل العبادات وغير العبادات. وفي استعمال المفعول المطلق " ذكراً " معنى تداولي آخر هو تكثير العبادات والطاعات والأذكار والأدعية. فالمفعول المطلق يتضمن معنى كثرة الفعل وزيادته. ويدل على هذا المعنى (معنى الكثرة) وصف المفعول المطلق بكلمة " كثيراً ".

وفي استعمال لفظ الجلالة " الله " في الآية وعدم حذفه معنى تداولي هو تعظيم الخالق سبحانه وتعالى المنعم المعطي صاحب الفضل الكثير والعطاء العميم؛ فمن فضله بعث الرسل إلى الناس وهدايتهم برسالاتهم. فخيرهم عميم ورحمته وسعت كل شيء؛ قال تعالى: " هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً " (2).

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 22 / 48 وانظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 6 / 352، 353.  
<sup>2</sup> - سورة الأحزاب. آية ( 43 ) .

وعليه؛ فإن الأمر الرباني " اذكروا" يتضمن معنى تداولياً هو الشكر<sup>(1)</sup>؛ فالمؤمن يعبد الله تعالى ويذكره بالأدعية والأذكار والصلوات المفروضة وغير المفروضة شكراً له على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، من هذه النعم نعمة الإيمان به .

بعد بسط القول في نحوية نداء المؤمنين ( يا أيها الذين آمنوا ) وبيان تداوليته يمكن القول أن هذا النداء يمثل مجموعة ( جملة) من أوامر الله تعالى ونواهيه، وأن الخطاب الرباني في هذه الأوامر والنواهي تجاوز مفهوم النداء النحوي وقواعده المعيارية، التي نظرت لها النحاة العرب في مصنفاتهم؛ فلهذه الأوامر والنواهي أغراض ومقاصد. وقد حاولت الدراسة بيان هذه الأغراض والمقاصد من خلال النظر في مقامات الآيات التي اعتمدت في الدراسة ومعرفة أسباب نزول هذه الآيات، أيضاً.

فالتحليل التداولي لنداء المؤمنين في الآيات السابقة شمل جميع عناصر هذا النداء وأركانه. وقد نظرت إلى هذا النداء نظراً تداولياً ( استعمالياً) تجاوز النظر النحوي المعياري. وقد أخذ بعين الاعتبار في التحليل التداولي لهذا النداء الأبعاد المرتبطة باستعمال اللغة كالبعد النفسي والاجتماعي والثقافي .... الخ؛ لأن التحليل التداولي للظاهرة اللغوية لا ينظر إلى هذه الظاهرة منعزلة عن واقع استعمالها المرتبط بهذه الأبعاد . فاستعمال اللغة بعد حياتي واحد يرتبط بأبعاد الحياة الأخرى كالبعد النفسي والاجتماعي... الخ .

#### • المطلب الثاني : نداء الاسم المعروف بأل التعريف ( الناس )

خاطب الله تعالى الناس في القرآن الكريم بهذا الأسلوب في واحد وعشرين موضعاً. وقد تمحور نداء الناس ( يا أيها الناس) في القرآن الكريم في ثلاثة محاور أساسية، هي دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، وتذكيرهم بيوم القيامة وتحذيرهم من هوله وعذابه، ودعوتهم إلى

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 21/ 248 .

اتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم، وتصديق رسالته، رسالة التوحيد (القرآن الكريم). اختارت الدراسة من هذا النداء أربعة مواضع؛ ولكل موضع منها مقامه الخاص فيه وظروف استعماله.

### • التحليل النحوي لنداء الناس ( يا أيها الناس ):

#### • نحوية حرف النداء " يا " :

يُستعمل حرف النداء " يا " لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. وقد يُنادى به القريب توكيداً. وهو أكثر حروف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يقدر عند الحذف سواه<sup>(1)</sup>.

أستعمل حرف النداء " يا " في نداء الناس ( يا أيها الناس )؛ لأن مقام النداء مقام أمر واستعلاء من الخالق ( الله تعالى ) إلى الخلق ( الناس )؛ فانه تعالى بعيد عن خلقه ( الناس الذين خلقهم ) في منزلته وقدرته المطلقة.

#### • نحوية صيغة النداء ( أيها الناس ):

بيّن النحاة العرب كيفية التي نتوصل بها إلى نداء الاسم المعرف؛ فقالوا: " واعلم أنه لا يُنادى اسم فيه الألف واللام إلا بـ " أيُّ " ، كقولك : " يا أيُّها الرجل ". فـ " أيُّ " : اسم مفرد منادى، و " ها " : صلة لـ " أيُّ " ، والرجل : نعت لـ " أيُّ " في قولك : " يا أيُّها الرجل ". وهو نعت لا يُستغنى عنه، ولا يجوز فيه إلا الرفع. ولا يجوز أن نقول : " يا الرجل "؛ لأن النداء يُعرّف المنادى بالقصد والإشارة، والألف واللام تعرفانه بالعهد، ولا يتعرف الاسم من وجهين مختلفين<sup>(2)</sup>.

وأفصح ابن عقيل عن حقيقة نداء الاسم المعرف، فقال: " ولا توصف " أيُّ " إلا باسم جنس محلى بأل ، كالرجل، أو باسم إشارة، نحو " يا أيُّها أقبيل " أو بموصول محلى بأل " يا أيُّها الذي فعل كذا"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 2/ 36 مبحث " يا " وانظر: السيوطي، جلال الدين . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم. 30/3 .

<sup>2</sup> - الزجاجي، عبدالرحمن بن اسحاق. كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد. ص 150 ، 151 .

<sup>3</sup> - ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . 245 / 2 ، 246 .

وفي الحقيقة ، فإن صلة النداء ( أيها ) وحدها ليست هي المنادى، وإن كانوا عدوها كذلك في واقع الإعراب في مصنفاتهم ، فهي لفظ تنبيهي إشاري إلى المنادى الحقيقي الذي يليها. فالمنادى الحقيقي في قوله تعالى: " يا أيها الناس " هم الناس ( جميع البشر ) الذين خلقهم الله تعالى، وهم الذين ناداهم رب العزة في كتابه المبين.

وأما الاسم المعرف بأل التعريف ( الناس ) فهو المنادى الحقيقي الذي خاطبه الله تعالى في هذا الأسلوب ( يا أيها الناس ) من النداء. وقد بينّ النحاة العرب حقيقة الاسم المعرف بأل التعريف، فقالوا: " والألف واللام المُعرّفة تكون للعهد، كقولك: " لقيت رجلاً فأكرمت الرجل " ، ولاستغراق الجنس، نحو: " إن الإنسان لفي خسر " وعلاقتها أن يصلح موضعها " كل " (1).

فالمنادى ( الناس ) في أسلوب النداء ( يا أيها الناس ) هو منادى معرّف بأل التعريف؛ لاستغراق الجنس؛ لأن الله تعالى يخاطب في هذا النداء كل الناس ( جميع البشر ) الذين خلقهم دون استثناء، ولا يخاطب فئة معينة مقصودة من الناس.

ويمكن القول أن التحليل النحوي السابق لأسلوب النداء ( يا أيها الناس ) هو تحليل عام ينطبق على بقية المواضع التي ورد فيها هذا الأسلوب، لكن وجه الاختلاف في نداء هذا الأسلوب ( يا أيها الناس ) يكون في دلالة جملة متمم النداء المرتبطة بهذا الأسلوب، وفي دلالة الجمل الأخرى المرتبطة بها. وسيظهر هذا الاختلاف في التحليل التداولي لكل عنصر من عناصر هذا الأسلوب.

#### • التحليل التداولي لأسلوب النداء ( يا أيها الناس ) :

استعمل حرف النداء " يا " في نداء الناس ( يا أيها الناس ) لمعنى تداولي هو إظهار الأمر الرباني الموجه إليهم على وجه الاستعلاء؛ فنداء الناس أمر استعلاء من الخالق إلى جميع

<sup>1</sup> - المرجع السابق. 1 / 168 .

الخلق (الناس)؛ لأن منزلته عالية وهو منزله عما سواه ، وقدرته مطلقة؛ لذا فقد استعمل هذا الحرف، ليناسب مقامات هذا الأسلوب من النداء.

#### • تداولية وصلة النداء ( أيها ) :

لاستعمال وصلة النداء في هذا الأسلوب معنى تداولي هو تنبيه الناس إلى أهمية مضمون النداء وتذكيرهم بوجوب الإذعان إليه؛ لأن فيه خيراً لهم في الدنيا والآخرة. وساهم في إظهار هذا المعنى وبيانه مدُّ الصوت وإطالته في ألفي المد في حرف النداء " يا " ووصلة النداء " أيها" . فإطالة الألف فيهما خدمت غرض النداء ومعناه المقصود.

#### • تداولية المنادى ( الناس ) :

في استعمال المنادى ( الناس ) بهذه الصيغة ( صيغة الاسم المعرف بأل التعريف ) معنى تداولي هو تذكير الناس بأصلهم وحقيقة خلقهم، فكل الناس خلقهم الله تعالى، جلت قدرته، وهم مأمورون بإقرار عبوديتهم له وحده، فهو الخالق الواحد القهار، تباركت صفاته وتقدّست أسماؤه، وجميع الناس عبيدٌ له.

فإن الله تعالى في نداء الناس ( يا أيها الناس ) يخاطب جميع الناس (البشر) فهو لا يخاطب فئة معينة منهم، لذا استعملت صيغة الاسم المعرف بأل التعريف ( الناس)؛ لاستغراق جنس الناس كلّهم ( كل البشر).

1- نداء الناس ( يا أيها الناس ) في مقام الأمر بتقوى الله تعالى والتحذير من عذابه يوم القيامة:

أمر الله تعالى الناس ( جميع البشر ) بتقواه ( طاعته ) وذلك بتنفيذ أوامره واجتتاب نواهيه، وحذرهم من هول ( فزع ) يوم القيامة. قال تعالى: " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم" (1).

<sup>1</sup> - سورة الحج، آية ( 1 ) .

في الآية ربطٌ منطقي تعليلي بين أمر التقوى والتحذير من هول يوم القيامة. فالمؤمنون يتقون الله تعالى ( يتبعون أو امره ويجتنبون نواهيه)؛ لأنهم يخافون عذابه يوم القيامة؛ فتقوى المؤمنين نتيجة سببها خوفهم من عذاب ربهم يوم القيامة وخشيتهم من أهواله وأخطاره. كشفت الآية الكريمة عن أهوال يوم القيامة فوصفت هولاً واحداً من هذه الأهوال وهو الزلزال الذي يكون بين يدي الساعة؛ فهو أمر عظيم وخطب جسيم لا يكاد يُتصوّر لهوله<sup>(1)</sup>. وقد بينت الآية الكريمة التالية ( الثانية) الأثر المخيف لهذا الزلزال؛ فمن آثاره ذهول كل أنثى مرضعة عن رضيعها وتشاغلها عنه، وإسقاط كل امرأة حامل حملها ( جنينها)، ورؤية الناس وكأنهم في حالة سكر شديد، وهم في الواقع، غير ذلك. قال تعالى: " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد "<sup>(2)</sup>.

لقد وصفت الآية الكريمة الثانية الآثار المترتبة على زلزلة الساعة؛ لتخويف الناس من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

وعليه؛ فالمؤمنون ( المنقون) هم مَنْ يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه؛ لأنهم يخافون عذابه ويرجون رحمته وثوابه ويطمعون في جنته. أما الكافرون الذين أنكروا البعث؛ فسيدخلون نار جهنم خالدين فيها؛ بسبب كفرهم وتجبرهم وإنكارهم للحق.

#### • التحليل النحوي للآية :

#### • نحوية قوله تعالى: " اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم":

جملة متمم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية فعلها فعل أمر " اتقوا". فمضمون النداء في هذه الآية هو أمر الناس بتقوى الله تعالى وحثهم على مداومة طاعته وعبادته؛ وذلك بامتنثال أوامره واجتتاب نواهيه، وإقرار العبودية التامة له .

<sup>1</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير . 2 / 257 .  
<sup>2</sup> - سورة الحج . آية (2) الآية الثانية ( التالية) .

أما جملة " إن زلزلة الساعة شيء عظيم" فهي جملة اسمية منسوخة معلّلة للأمر الرباني (الأمر بالتقوى) (1)؛ فالتقوى من الناس وبخاصة المؤمنين نتيجة حتمية سببها خوف الناس (وبخاصة المؤمنين) من عذابه العظيم يوم القيامة. فالتقوى نتيجة سببها الخوف من الخالق وخشية عذابه.

• **تداولية قوله تعالى: " اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم" :**

بعد إمعان النظر في هذه الآية يمكن لنا أن نستبطن بعض المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء فيها وإجمالها فيما هو آت:

يظهر البعد التداولي في الآية في استعمال الفعل " اتقوا"، ففي استعماله معنى تداولي هو تعظيم الخالق، جلّت قدرته؛ بإقرار وحدانيته وإخلاص العبودية التامة له. " وفي التعبير عن الذات العليّة بصفة الرب مضافاً إلى ضمير المخاطبين إيماء إلى استحقاقه أن يُتَّقَى؛ لعظمته بالخالقية، وإلى جدارة الناس بأن يتقوه؛ لأنه بصفة تدبير الربوبية لا يأمر ولا ينهى إلا لمرعي مصالح الناس ودرء المفساد عنهم" (2).

وتتكشف التداولية في الآية في استعمال المصدر " زلزلة" المشتق من الفعل الرباعي المضعف (زلزل)، ففيه نجد معنى تداولياً هو إظهار شدة يوم القيامة وهوله؛ فاستعمال المصدر " زلزلة" يناسب مقام التخويف والتهويل.

وتظهر التداولية في الآية أيضاً في التعريف والتكثير، ففي تعريف كلمة " الساعة" معنى تداولي هو تعظيم الخالق، عالم الغيب والشهادة. فعلم الساعة علم غيبي استأثر الله تعالى به ولم يُطْلَع عليه أحد. والساعة حق ومنكرها كافر؛ لذا عُرِفَتْ. وفي تكثير كلمة " شيء" معنى تداولي هو "تهويل أمر الساعة وبيان شدتها. فهي أمر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله تعالى" (3). وفي تكثير الصفة " عظيم" معنى تداولي هو بيان عظمة الساعة وإعلاء شأنها؛ فهي حق لا يعلمه إلا الله تعالى، وحدثها حق، ومحدثها ( الله تعالى) حق، والإيمان بها حق. و"عظيم" صفة نكرة

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 5 / 244 .

2 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 17 / 186 .

3 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 17 / 187 .

لموصوف "شيء" نكرة، فالنكرة المخصصة بالوصف في التركيب "شيء عظيم" تدل على معرف؛ لأنه حقيقة وحق، لكن هذا المعرف لا يعلمه إلا ربنا العليم الخبير؛ ونكراً لتحويل أمره. ومن مقام النداء في الآية نستبطن مدحاً للمؤمنين المتقين الذين يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر؛ فهم الذين يقرون بوحداية الله تعالى؛ فعبوديتهم التامة له؛ وهم الذين يخشونه ويرجون جنته. ومن مقام النداء أيضاً يتولد معنى تداولي هو ذم وتوبيخ ووعيد للكافرين الذين أنكروا البعث وأشركوا بالله تعالى. فهم الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم، وسيخلدون في نار جهنم. وقد خاطب الله تعالى الناس مؤكداً حقيقة البعث في قوله: "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب... من كل زوج بهيج"<sup>(1)</sup>. فالآية دليل قاطع وحجة بينة على هذه الحقيقة.

## 2- نداء الناس (يا أيها الناس) في مقام تذكيرهم بأن الرسول الكريم هو نذير مبين :

أمر الله تعالى نبينا محمداً، صلى الله عليه وسلم، بتذكير الناس (والمقصود المشركين) بأنه نبي مرسل إلى المشركين (كفار قريش) بخاصة والناس بعامة. وقد أيده الله تعالى بمعجزة القرآن الكريم . قال تعالى: "قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين"<sup>(2)</sup>. بدأت الآية الكريمة بفعل الأمر "قل" ولم تبدأ بنداء الناس؛ لأن النداء فيها خطاب غير مباشر؛ فقد أمر رب العالمين رسوله الكريم أن يخاطب قومه (كفار قريش) في مقام تذكيرهم بأنه رسول يوحى إليه من ربه. وقد أيده الله تعالى بمعجزة القرآن الكريم (رسالة التوحيد)، وأن عمله فيها يقتصر على إنذار الناس وتخويفهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة وإبانة ما في القرآن الكريم من أوامر ونواهي. فالمعنى: "قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين للعذاب إنما أنا منذر لكم أخوفكم عذاب الله وأنذركم إنذاراً بيناً من غير أن يكون لي دخل في تعجيل العذاب أو تأخيرها"<sup>(3)</sup>.

1 - سورة الحج . آية (5).

2 - سورة الحج . آية (49).

3 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 2 / 269

## • التحليل النحوي للآية:

### • نحوية قوله تعالى: " قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين":

سُبِقَ النداء ( نداء الناس) في هذه الآية بفعل الأمر " قل" فهو نداء غير مباشر أَرادَه الله تعالى أن يكون على لسان رسوله الكريم؛ ليكون شاهداً على كفرهم وعصيانهم يوم القيامة. أما جملة متمم النداء في هذه الآية فهي جملة اسمية مُصدّرة بأداة الحصر "إنما". فالمعنى المراد: أيد الله تعالى رسولنا الكريم ، صلى الله عليه وسلم، بمعجزة القرآن الكريم وهي رسالة التوحيد وهي رسالة لكل الناس، وعلى رسولنا الكريم إنذار الناس بهذه الرسالة وإبانته لهم؛ ليكون ذلك حجة عليهم يوم القيامة (1).

### • تداولية الآية:

بالنظر في مقام الآية وظروف استعمالها يمكن استبطان بعض المعاني التداولية المتولدة من مقامها وإجمالها بالآتي:

سبق أسلوب النداء في الآية بفعل الأمر " قل" ، ففي استعماله على هذا النحو (سابقاً لأسلوب النداء) معنى تداولي هو تكريم رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم؛ فقد أمره الله تعالى بأن يبلغ رسالة التوحيد؛ فعمله فيها مقتصر على التبليغ والدعوة والإنذار والإبانة والإرشاد. وليس عليه ذنب كفرهم وعصيانهم. فكفر الكفار عليهم، وعصيان العصاة عليهم، ونفاق المنافقين عليهم. وأما الرسول الكريم فهو المصطفى المختار الأمين صاحب الشفاعة يوم الدين. وتظهر التداولية أيضاً في الآية في خطاب الناس ( وبخاصة المشركين منهم)، ففي ندائهم معنى تداولي هو " إعلامهم بأن تكذيبهم واستهزاءهم لا يغيظ النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا يصدّه عن أداء رسالته؛ ففي ذلك قمع لهم إذ كانوا يحسبون أنهم بتكذيبهم واستهزائهم يملّونه فيترك دعوتهم وتثبيت له ولدعوته وتسليّة له أيضاً فيما يلقاه منهم"(2). فالرسول الكريم لا يسعى

1 - انظر الإعراب في : الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 5 / 292 ، 293 .  
2 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 17 / 294 .

في دعوته إلى التوحيد إلى تأييد الناس ونصرهم وتثبيتهم؛ فالله تعالى تكفل له بالتأييد والنصر والموازرة والتثبيت.

وينكشف الوجه التداولي في الآية في تقديم شبه الجملة " لكم" ففي تقديمها معنيان تداوليان، فالمعنى الأول: هو تكريم الفئة المؤمنة التي اتبعت الرسول الكريم وأمنت برسالته. فمن مظاهر تكريم هذه الفئة المغفرة والرزق الكريم. وأما المعنى التداولي الثاني، فهو ذم وتوبيخ الفئة الكافرة التي كفرت وعصت أمر الله والرسول، وقد توعد الله تعالى هذه الفئة بالعذاب الأليم يوم القيامة وقد وصفهم رب العزة بأصحاب الجحيم<sup>(1)</sup>.

وإذا ما تأملنا نداء الناس ( يا أيها الناس) في القرآن الكريم نجد أن هذا النداء قد سبق بفعل الأمر " قل" في أربعة مواضع منها؛ ولهذا السبق معناه، فظاهره أنه أمر؛ لكنه تكريم لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وقد تمثل هذا التكريم في تأييد رب العالمين له ونصره وعصمته وتأييده وتثبيته في كل أمر من أمور هذا الدين<sup>(2)</sup>.

### 3- نداء الناس ( يا أيها الناس) في مقام بيان قدرة الله تعالى المطلقة في الخلق:

خاطب الله تعالى الناس ( جميع البشر) منبهاً إلى قدرته المطلقة في الخلق؛ فقدرته على خلقهم ( إيجادهم) مطلقة، وكذا قدرته على إفنائهم ( إعدامهم)، فهو المنصرف في خلقه يفعل كيف يشاء ومشيئته نافذة في كل أمر. قال تعالى في بيان ذلك: " إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً"<sup>(3)</sup>.

فالمعنى في الآية" لو أراد الله لأهلكم وأفنائكم وأتى بآخرين غيركم؛ لأنه القادر على ذلك يفعل ما يشاء"<sup>(4)</sup>.

1 - انظر: سورة الحج. آية ( 50 ) ، آية ( 51 ) .

2 - انظر: سورة الأعراف. آية ( 158 ) ، سورة يونس . آية ( 104 ) ، ( 108 ) ، سورة الحج . آية ( 49 ) .

3 - سورة النساء. آية ( 133 ) .

4 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 1 / 284 بتصرف.

## • التحليل النحوي للآية :

• نحوية قوله تعالى: " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا":

سُبق نداء الناس ( أيها الناس ) في هذه الآية بجملة شرطية؛ لأن الشرط يكشف عن قدرة الله تعالى المطلقة في الخلق ومشيئته النافذة في كل أمر؛ ولأن في هذا الشرط، أيضاً، تذكيراً للناس بضعفهم وعجزهم. أما أسلوب النداء ( نداء الناس ) فقد توسط في الآية بين جملتين: جملة الشرط ( إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ) والجملة الفعلية المعطوفة على جملة الشرط ( وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ). لقد فصل النداء في الآية بين جملة الشرط والجملة الفعلية المعطوفة عليها؛ تذكيراً للناس بقدرة الله المطلقة في خلقهم وإفنائهم، وإظهاراً لضعفهم وعجزهم؛ فهم لا يملكون من أمرهم شيئاً وهم عبيد الله الفقراء إليه في كل شيء.

وأما قوله : " وكان الله على ذلك قديراً " فهو جملة اسمية منسوخة مُستأنفة مُعللة للخطاب الرباني، في الآية ؛ لأن المعنى: الله تعالى يحيي ويميت ويفعل ما يريد؛ لأنه القادر على ذلك، وقدرته المطلقة كانت وما تزال وستبقى<sup>(1)</sup>.

## • تداولية الآية :

### • تداولية حذف حرف النداء في الآية :

لحذف حرف النداء في الآية معنى تداولي هو بيان شدة قرب الله تعالى من الإنسان؛ فهو أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، وهو الخالق لكل شيء المتصرف في كل أمر؛ فقدرته مطلقة ومشيئته نافذة، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

• تداولية قوله تعالى: " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا":

للبعد التداولي حضور في هذه الآية، ويمكن إجماله بما يأتي:

في استعمال الفعل المضارع " يشأ " معنى تداولي هو إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في خلق كل شيء؛ فهو خالق كل شيء وقدرته مستمرة غير مقيدة بزمان أو مكان؛ لذا استعملت صيغة المضارع لتدل على ذلك.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2 / 169 ، 170.

لقد خلق الله تعالى جميع الناس لغاية سامية نبيلة هي عبادته. فإذا انحرف الناس عن هذه الغاية استبدل بهم آخرين يعبدونه ويطبقون شرعه في الأرض. ويظهر هذا المعنى في قوله تعالى: "ويأتِ بآخرين". فإيمان الناس لا يزيد ملك الله ولا يقوي سلطانه، وكفرهم لا ينقص ملكه ولا يضعف سلطانه. فإله تعالى هو الواحد القهار المتفرد بالوحدانية الجدير بالعبودية وهو الغني الحميد. وكل الناس فقراء إليه في كل أمر من أمور حياتهم في الحياة الدنيا، وهم الفقراء، أيضاً، إلى رحمته وشفاعته في الآخرة. قال تعالى في بيان ذلك: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد"<sup>(1)</sup>.

ويظهر البعد التداولي في الآية أيضاً في استعمال اسم الإشارة "ذلك"، ففي استعماله معنى تداولي هو تعظيم قدرة الله المطلقة في الخلق وإعلاء شأنها. فإله تعالى هو القادر يحيي ويميت وهو العلي العظيم.

#### 4- نداء الناس ( يا أيها الناس ) في مقام بيان أن أساس المفاضلة بين الناس هو التقوى:

خاطب الله تعالى الناس في مقام تبيين المفاضلة بينهم؛ فجعل أساس المفاضلة بينهم التقوى. قال تعالى في بيان ذلك: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"<sup>(2)</sup>.

لهذه الآية سبب نزول؛ فقد نقل لنا المفسرون روايتين في سبب نزولها، منها " ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى"، الآية. وأما الرواية الثانية، فهي

<sup>1</sup> - سورة فاطر. آية ( 15 ).

<sup>2</sup> - سورة الحجرات. آية ( 13 ).

" أنها نزلت في أبي هند ، أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، بني بياضة أن يزوجه امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا، فنزلت الآية"<sup>(1)</sup>.

نَبَّهَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى حَقِيقَةِ خَلْقِهِمْ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى". فَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ( آدَمَ )، وَخَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا ( حَوَاءَ )، وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ؛ فَأَصَلَ كُلَّ النَّاسِ وَاحِدٌ هُوَ التَّرَابُ <sup>(2)</sup>. وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ لَا يَنْكُرُهَا إِلَّا جَاهِدٌ وَلَا يَكْفُرُهَا إِلَّا ضَالٌّ.

وَشَاءَتْ قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى الْمَطْلَقَةَ وَحِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ فِي أَعْرَاقِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: " وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا". لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَعَلَّه مَقْصِدٌ هُوَ التَّعَارُفُ.

فَالتَّعَارُفُ مَقْصِدٌ شَرْعِيٌّ عَمِيقٌ يَشْمَلُ تَعَارُفَ النَّاسِ وَتَأْلُفَهُمْ وَانْسِجَامَهُمْ مَعَ بَعْضِهِمْ الْبَعْضُ، وَلَا يَحْصُلُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِالزَّوْجِ. لَقَدْ شَرَعَ اللهُ تَعَالَى الزَّوْجَ لِمَقَاصِدٍ وَأَعْرَاضٍ شَرْعِيَّةٍ مِنْهَا حِفْظُ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنَ الْإِنْتِثَارِ وَحِفْظُ الْأَنْسَابِ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ. وَعَلَيْهِ؛ فَقَدْ نَتَجَ عَنِ تَنَاسُلِ النَّاسِ تَعَدُّدُ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ، وَاخْتِلَافُ الْأَعْرَاقِ وَالْأَلْسِنَةِ. وَهَذَا الْأَمْرُ حَقِيقَةٌ انْبَثَقَتْ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْأُولَى حَقِيقَةُ خَلْقِهِمْ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ هُوَ التَّرَابُ.

وَفَاضَلَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ بِالتَّقْوَى؛ فَأَكْرَمَ النَّاسَ وَأَكْثَرَهُمْ قَبُولًا عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ التَّقِيُّ. قَالَ تَعَالَى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْقَاكُمْ". فَتَقْوَى اللهِ تَعَالَى وَخَشْيَتُهُ هِيَ الْمَعْيَارُ الْأَسَاسِيُّ عِنْدَ اللهِ فِي الْمَفَاضِلَةِ بَيْنَ النَّاسِ. فَدَرَجَةُ قَبُولِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللهِ تَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ دَرَجَةِ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ؛ لِذَا فَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى جَنَّتَهُ مَرَاتِبَ وَمَنَازِلَ.

<sup>1</sup> - السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. ص 199.  
<sup>2</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفسير. 219/3 .

## • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: "إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن

أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة اسمية مُصدّرة بحرف التأكيد الناسخ "إن";  
ففيها تأكيد على حقيقة ثابتة هي أن خلق الناس معجزة، وأن أصلهم واحد، وإن اختلفت أعراقهم  
وألوانهم وألسنتهم. فكل الناس لأدم و آدم من تراب.

وأما جملة " وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" فهي جملة فعلية معطوفة على جملة " خلقناكم". وفيها ، أيضاً، تأكيد على حقيقة أخرى هي أن الله تعالى جعل الناس مختلفين ليتعارفوا ويتآلفوا ويحفظوا أنسابهم.

وأما جملة " إن أكرمكم عند الله أتقاكم" فهي جملة اسمية منسوخة مؤكدة أكدت أساس  
المفاضلة بين الناس. فمقياس المفاضلة بين الناس في الدنيا والآخرة عند الله تعالى هي التقوى؛  
فبها تحسب درجة المؤمن، وبمقدارها يعلو شأنه عند ربه العليم الخبير.

خُتمت الآية الكريمة بجملة اسمية منسوخة مؤكدة، أيضاً<sup>(1)</sup>. وقد أكدت هذه الجملة  
صفتين من صفات رب العالمين؛ فالله تعالى هو العليم وعلمه مطلق وهو يعلم كل شيء خلقه،  
وهو الخبير يخبر كل شيء ولا تخفى عليه خافية. فالله تعالى بعلمه وخبره يفاضل بين خلقه يوم  
الحساب وهو الواحد الديان.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

ينكشف الوجه التداولي للنداء في الآية في استعمال حرف التأكيد الناسخ "إن" وكاف

الخطاب والفعل " جعل" . ففي تكرار حرف التوكيد الناسخ " إن" معنى تداولي هو إظهار قدرة

الله تعالى المطلقة في خلق الناس وتهيئتهم للتعارف والمفاضلة بينهم ومعرفة درجة إيمانهم

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 7 / 542 ، 543 ، 544 .

وتقواهم. وفي استعمال كاف الخطاب في الجملتين "خلقناكم" و "جعلناكم" معنى تداولي هو وجوب إقرار الناس (كل البشر) بقدرة الله تعالى المطلقة في كل شيء خلقه. وفي استعمال الفعل "جعل" معنى تداولي هو تهيئة الناس للتقارب والتعارف والتزواج وحفظ الأنساب من الاختلاط واستمرار النوع الإنساني وإعمار الأرض. فالغاية من خلق الإنسان عبادة الله تعالى وإعمار الأرض وتطبيق شرعه فيها. ولا يتم كل هذا إلا بمشيئة الله وقدرته.

وتظهر التداولية أيضاً في الآية في عطف الجمل ، ففي عطف الجملتين: "خلقنا" و "جعلنا" معنى تداولي هو بيان حقيقة بدء الخلق وكيفية تهيئته للعيش في الأرض وإعمارها. واستعملت الصفتان: العليم والخبير في الآية مناسبةً لمقام الآية وسبب نزولها؛ فالله تعالى يعلم ويخبر كل شيء خلقه.

لقد خلق الله تعالى كل الناس وأمرهم بعبادته وتقواه وإقرار العبودية التامة له، فهو الخالق الواحد القهار الفرد الصمد الجدير بالعبودية وهو العليم الخبير. وميز في كتابه العزيز بين فئتين: فئة مؤمنة وفئة كافرة. فالفئة المؤمنة هي الفئة التي آمنت بوجود الله تعالى وأقرت بعبوديتها التامة له. وأما الفئة الكافرة فهي الفئة التي أنكرت وجود الله تعالى ولم تؤمن.

وعليه؛ فإن مقياس المفاضلة بين الناس عند الله تعالى في الدنيا والآخرة هو التقوى. وإن نسب الإنسان وحسبه وماله لا يغني عنه شيئاً يوم القيامة؛ فمنزلته عند الله يوم القيامة تقاس بعمله ودرجته تعلق بتقواه.

حاولت الدراسة، بعد تفصيل القول في نحوية نداء الناس (يا أيها الناس) وتداوليته، أن تبين المعاني التداولية المستكنة في مقامات هذا النداء وظروف استعماله. فقد كشف التحليل التداولي لعناصر هذا النداء وأركانها عن جملة من هذه المعاني مستعيناً بالنظر في مقاماته.

### • المطلب الثالث: نداء الاسم المعروف ( النبي )

خاطب الله تعالى النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم، بهذا الأسلوب في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم. وقد تركز نداء النبي حول أمرين أساسيين، أولهما: دعوة النبي، صلى الله عليه وسلم إلى تبليغ رسالة التوحيد ( القرآن الكريم ) ومجاهدة أعداء الله ( الكفار والمشركين والمنافقين ) وعدم إطاعتهم. وأما الأمر الثاني، فهو: تنبيه النبي الكريم إلى المكارم التي خصّه الله تعالى بها، من هذه المكارم النبوة والرسالة ( رسالة التوحيد ) والعصمة والشفاعة والإرشادات الربانية التي خصّ بها ومن أمثلتها أمره بستر نسائه وبناته ونساء المؤمنين وإباحة الزوجات له دون غيره من المؤمنين وإرشاده إلى كيفية التعامل معهن ومع نساء المؤمنين. اختارت الدراسة ثلاثة مواضع من هذا النداء. ولكل موضع منها مقامه الخاص فيه.

### • التحليل النحوي لنداء النبي ( يا أيها النبي ) :

#### • نحوية حرف النداء " يا " :

يُستعمل حرف النداء " يا " لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً. وقد ينادى به القريب توكيداً. وهو أكثر حروف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يُقدر عند الحذف سواه<sup>(1)</sup>.  
استعمل حرف النداء " يا " في نداء النبي ( يا أيها النبي ) ؛ لأن نداء النبي فيه أمر واستعلاء من الله تعالى . فالله تعالى يخاطب نبيه ورسوله الكريم في مقام دعوته إلى تبليغ رسالة التوحيد ( القرآن الكريم ) وامتثال أمره في كل ما ورد فيها من أوامر ونواهي وتشريعات. فمقام نداء النبي مقام أمر واستعلاء؛ لأنه من الله العليّ القدير إلى عبده ورسوله الكريم المكلف بتبليغ الرسالة وهداية الناس؛ لذا فإن مقام نداء النبي يناسبه استعمال هذا الحرف.

<sup>1</sup> -انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. 36/2 مبحث " يا " وانظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم. 30/3.

## • نحوية صيغة النداء (أيها النبي) :

بيّن النحاة العرب الكيفية التي نتوصل بها إلى نداء الاسم المعرف؛ فقالوا: "واعلم أنه لا يُنادى اسم فيه الألف واللام إلا بـ "أيُّ"، كقولك: "يا أيُّها الرجل". فـ "أيُّ" : اسم مفرد منادى، و "ها" : صلة لـ "أيُّ"، والرجل : نعت لـ "أيُّ" في قولك : "يا أيُّها الرجل". وهو نعت لا يُستغنى عنه، ولا يجوز فيه إلا الرفع. ولا يجوز أن نقول : "يا الرجل" ؛ لأن النداء يُعرّف المنادى بالقصد والإشارة، والألف واللام تعرفانه بالعهد، ولا يتعرف الاسم من وجهين مختلفين"<sup>(1)</sup>.

ووضّح ابن عقيل حقيقة نداء الاسم المعرف، فقال: "ولا توصف "أيُّ" إلا باسم جنس محلى بأل، كالرجل، أو باسم إشارة، نحو "يا أيُّها أقبال" أو بموصول محلى بأل "يا أيُّها الذي فعل كذا"<sup>(2)</sup>.

إنّ وصلة النداء (أيُّها) وحدها ليست هي المنادى، وإن كانوا عدّوها كذلك في واقع الإعراب في مصنفاتهم، فهي لفظ تنبيهي إشاري إلى المنادى الحقيقي الذي يليها. فالمنادى الحقيقي في قوله تعالى: "يا أيُّها النبي" هو النبي (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) الذي أكرمه الله تعالى برسالة التوحيد (القرآن الكريم).

وأما الاسم المعرف بأل التعريف (النبي) فهو المنادى الحقيقي المقصود الذي خاطبه الله تعالى في هذا الأسلوب (يا أيُّها النبي) من النداء. وقد بين النحاة العرب حقيقة الاسم المعرف بأل التعريف، فقالوا: "والألف واللام المُعرّفة تكون للعهد، كقولك: "لقيت رجلاً فأكرمت الرجل"، ولاستغراق الجنس، نحو: "إن الإنسان لفي خسر" وعلاقتها أن يصلح موضعها "كل"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - الزجاجة، عبد الرحمن بن اسحاق . كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد. ص 150 ، 151 .  
<sup>2</sup> - ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 245/2 ، 246 .  
<sup>3</sup> - ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. 1/ 168 .

فالمنادى ( النبي ) في أسلوب النداء ( يا أيها النبي ) هو منادى معرفّ بأل التعريف للعهد؛ لأن الله تعالى في هذا النداء يخاطب نبياً محددًا مقصوداً لذاته هو صفيه وحببيه المصطفى محمد، صلى الله عليه وسلم، فقد أمره بتبليغ رسالته إلى جميع الناس، فهو نبي البشرية وخاتم الأنبياء والرسل.

ويمكن القول أن التحليل النحوي السابق لأسلوب النداء ( يا أيها النبي ) هو تحليل عام ينطبق على بقية المواضع التي ورد فيها هذا الأسلوب، لكنّ وجه الاختلاف في نداء هذا الأسلوب ( يا أيها النبي ) يكون في دلالة جملة متم النداء المرتبطة بهذا الأسلوب، وفي دلالة الجمل الأخرى المرتبطة بها. وسيظهر هذا الاختلاف في التحليل التداولي لكل عنصر من عناصر هذا الأسلوب.

#### • التحليل التداولي لأسلوب النداء ( يا أيها النبي ) :

##### • تداولية حرف النداء " يا " :

استعمل حرف النداء " يا " في نداء النبي ( يا أيها النبي ) لمعنى تداولي هو تكليف النبي ، صلى الله عليه وسلم، بتبليغ رسالته رسالة التوحيد إلى كافة الناس. فنداء النبي هو أمر فيه استعلاء؛ لأنه موجّه من الله تعالى إلى رسوله المصطفى في مقام دعوته إلى تبليغ دينه وبيان شريعته لكافة الناس ؛ لذا فقد ناسب استعمال حرف النداء " يا " مقام النداء .

##### • تداولية وصلة النداء ( أيُّها ) :

لاستعمال وصلة النداء ( أيُّها ) في هذا الأسلوب معنى تداولي هو تنبيه الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، إلى أهمية رسالة التوحيد (القرآن الكريم) ودعوته إلى تبليغها لكافة الناس؛ لذا فقد ساهم مدُّ الصوت وإطالته في ألفي المد في حرف النداء "يا" ووصلة النداء " أيُّها" في إظهار هذا المعنى وكشفه.

## • تداولية المنادى ( النبي ) :

في تعريف المنادى المعرف ( النبي ) معنى تداولي هو تكريم الرسول ، صلى الله عليه وسلم، وتشريفه<sup>(1)</sup>؛ " فنداء النبي ، عليه الصلاة والسلام، بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يُخاطب به غيره؛ ولذلك لم يُنادَ في القرآن الكريم بغير " يا أيها النبي " أو " يا أيها الرسول " <sup>(2)</sup>.

فالنبي الأمين رسولنا الكريم هو المنادى المقصود؛ لأن الله تعالى أيده بمعجزة القرآن الكريم (رسالة التوحيد) وجعله خاتم الأنبياء والرسل إلى كل البشر، وأمره بتبليغ رسالته، وجعله شاهداً ومبشراً ونذيراً. قال تعالى: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً"<sup>(3)</sup>.

### 1- نداء النبيّ ( يا أيها النبي ) في مقام الأمر بالتقوى وعدم إطاعة الكفار والمنافقين :

أمر الله تعالى نبيه المصطفى، صلى الله عليه وسلم ، بتقواه وعدم إطاعة أعداء الله وأعدائه (الكفار والمنافقين). قال تعالى : " يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إنّ الله كان عليماً حكيماً"<sup>(4)</sup>.

تعددت روايات المفسرين في سبب نزول هذه الآية، منها " ما رواه جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس، قال: إنّ أهل مكة ومنهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إنّ لم يرجع قتلوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"<sup>(5)</sup>.

في الآية أمر من الله تعالى لرسوله الكريم بأن يتقيه ويستمر في تقواه؛ لأن في تقوى الله تعالى امتثالاً لأوامره واجتناباً لنواهيه وابتعاداً عن طاعة أعدائه ( الكفار والمنافقين).

1 - انظر : الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. 469/2 .

2 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 249 / 21.

3 - سورة الأحزاب. آية ( 45 ).

4 - سورة الأحزاب. آية ( 1 ).

5 - السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. ص 171 بتصرف.

ولم يكتفِ الخطاب الرباني بدعوة النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى تقوى الله تعالى بل تعداه إلى نهيه عن طاعة أعداء الله تعالى من الكفار والمنافقين وموالاتهم؛ لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله الواحد القهار الجدير بالعبودية، وأن ولاية النبي والمؤمنين لا تكون إلا لخالقهم الواحد الجبار. وختمت الآية الكريمة : بقوله: " إن الله كان عليمًا حكيمًا" تعليلاً للنهي؛ والمعنى : " أن الله حقيق بالطاعة له دون الكافرين والمنافقين؛ لأنه عليم حكيم فلا يأمر إلا بما فيه الصلاح"<sup>(1)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: " اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية مُصدّرة بفعل الأمر " اتق". فالمعنى: دعوة النبي ، صلى الله عليه وسلم، إلى تقوى الله باتباع أوامره واجتتاب نواهيه، لأن الله تعالى هو الجدير بالتقوى والمخافة.

وأما قوله: " ولا تطع الكافرين والمنافقين" فهي جملة فعلية معطوفة على جملة " اتق الله" وفيها نهي واضح عن طاعة أعداء الله تعالى وأعداء الرسول والمؤمنين. فالمعنى المتحصل من الخطاب الرباني في الآية ( الأمر والنهي) هو دعوة النبي، عليه السلام، إلى طاعة الله تعالى وإظهار الولاية والعبودية له سبحانه وتعالى.

خُتِمت الآية الكريمة بجملة اسمية منسوخة ( إن الله كان عليمًا حكيمًا ) مُعلّلة للخطاب الرباني . فقد أمر الله تعالى نبيه المصطفى بتقواه وامتنال أمره ونهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين ( أعدائه وأعداء المؤمنين )؛ لأنه يعلم ما ينفع النبي والمؤمنين ويخبر ما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 251/21 .

<sup>2</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 251 / 21 . وانظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 6/306 ، 307 .

## • تداولية الآية :

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت :

يظهر البعد التداولي في الآية في استعمال الفعل " اتق " ففي استعماله معنى تداولي هو تعظيم رب العزة وإظهار جبروته وسلطانه؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، جلت قدرته. فطاعة النبي والمؤمنين وولايتهم لا تكون إلا لله الواحد القهار. فإله تعالى هو الجدير بالطاعة والولاية والعبودية. وفي طاعته منجاة وفيها سعادة الدارين ( الدنيا والآخرة). وأما طاعة أعداء الله (الكافرين والمنافقين) فهي مهلكة وفيها شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة. وفي استعمال لفظ الجلالة "الله" معنى تداولي هو وجوب إظهار الولاء والعبودية لله تعالى. فالله هو الجدير بالولاء والعبودية، وكل الخلق عبيد له. وهو العليم الحكيم؛ لأنه يعلم ما ينفع عباده، ويخبر ما يصلح حياتهم في الدارين ( الدنيا والآخرة).

وفي الآية ذم وتوبيخ وتقريع للكافرين والمنافقين؛ لأنهم أعداء الله والنبي والمؤمنين وموالاتهم كفر. وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من موالات أعدائه في مواضع كثيرة في كتابه العزيز، منها قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين"<sup>(1)</sup>. فالكافرون والمنافقون ضعفاء لا يملكون من أمرهم شيئاً؛ فولايته باطلة فاسدة؛ لأن عقيدتهم فاسدة وباطلة. وعليه فقد أيد الله تعالى نبيه بالتقوى والإيمان وحصنه بالعصمة وجعله منصوراً مظهوراً، بقدرته، في كل أمر من أمور حياته. قال تعالى: "وكفى بالله وكيلاً"<sup>(2)</sup>.

## 2- نداء النبي ( يا أيها النبي ) في مقام بيان أن النصر لا يكون إلا من الله تعالى :

خاطب الله تعالى نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في مقام بيان أن نصر النبي والمؤمنين لا يكون إلا من الله تعالى العزيز الجبار. قال تعالى: "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين"<sup>(3)</sup>.

1 - سورة المائدة . آية ( 51 ).

2 - سورة الأحزاب. من آية ( 3 ).

3 - سورة الأنفال. آية ( 64 ).

من الروايات التي نقلها المفسرون في سبب نزول هذه الآية " ما رواه البزار من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله " يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " وله شواهد"<sup>(1)</sup>. فسرت هذه الآية تفسيرين، أما الأول: " الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد. وأما المعنى الثاني (التفسير الثاني) فهو : كافيك الله والمؤمنون"<sup>(2)</sup>. إن التفسير الأول أقرب إلى الصواب؛ لأن الله تعالى وحده من يكفي النبي والمؤمنين؛ فالنصر والتأييد لا يكون إلا منه وهو القادر على كل شيء، جلّت قدرته.

لقد نصر الله تعالى نبيه الكريم والمؤمنين في غزوة بدر وهم فئة قليلة؛ لأنهم آمنوا به وصبروا وثبتوا على الحق؛ فالنصر والتأييد لا يكون إلا من الله تعالى، وهو القادر عليه.

#### • التحليل النحوي للآية :

#### • نحوية قوله تعالى : " حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ":

جملة متم النداء ( حسبك الله ) هي جملة اسمية؛ لأن " حسب " مبتدأ مضاف إلى الضمير (الكاف). و " حسب " تعني " الكافي ". فالمعنى كافيك الله. ويصح أن نقول يكفيك الله أو كفاك الله<sup>(3)</sup>. وأما قوله تعالى: " ومن اتبعك من المؤمنين " فهي جملة معطوفة على جملة " حسبك الله"، فالمعنى: والله كافي من اتبعك من المؤمنين أو والله يكفي من اتبعك من المؤمنين<sup>(4)</sup>. وعليه، فإن المعنى المتحصل من الآية: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصر<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. ص 113.

<sup>2</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير 1 / 477 .

<sup>3</sup> - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 510/4، 511 .

<sup>4</sup> - انظر: المرجع السابق. 4 / 510 ، 511 .

<sup>5</sup> - انظر: المرجع السابق. 4 / 510 ، 511 .

## • تداولية الآية:

يمكن إجمال المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في الآية بالآتي:

ينكشف الوجه التداولي للنداء في الآية في تكريم الله تعالى للنبي عليه السلام وتشريفه، فالله وحده كافي نبيه؛ " فقد خصّه الله تعالى بهذه الكفاية؛ لتشريف مقامه بأن الله يكفي الأمة لأجله"<sup>(1)</sup>. وفي الآية أيضاً تشريف للمؤمنين أتباع النبي؛ فقد شرفهم الله تعالى في غزوة بدر بالنصر على أعدائه وأعدائهم. فتشريفهم من تشريف نبيهم ونصرهم من نصر نبيهم.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى تحريض المؤمنين على قتال كفار قريش. قال تعالى: " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا... "<sup>(2)</sup>. وقد شرف الله تعالى نبيه والمؤمنين بالنصر المبين على أعدائهم وأعدائه في غزوة بدر الكبرى؛ لأنهم صبروا وثبتوا وصدقوا. فالصبر مفتاح الفرج، وهو ثمرة التقوى. وعليه؛ فالمؤمنون هم الفئة الغالبة؛ لأن نهجهم قويم وعقيدتهم سالحة وهدبهم حق.

ويظهر التكريم الإلهي للنبي والمؤمنين في الآية في استعمال حرف الجر "من" فقد استعمل هذا الحرف لمعنى تداولي هو تشريف الفئة المؤمنة القليلة الصابرة التي أمنت بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وشاركته قتال كفار قريش ومجاهدتهم في غزوة بدر. وقد وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بصفة الصابرين. قال تعالى: " فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين "<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 10 / 65 بتصرف.

<sup>2</sup> - سورة الأنفال. آية ( 65 ) . وانظر : آية ( 66 ) ؛ لأن الآيتين تكملان المعنى.

<sup>3</sup> - سورة الأنفال. من آية ( 66 ) .

### 3- نداء النبيّ ( يا أيّها النبيّ ) في مقام أمره بستر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين :

أمر الله تعالى نبيه الكريم بستر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين باللباس الواسع الفضفاض. قال تعالى: " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً " (1).

تعددت روايات المفسرين في سبب نزول هذه الآية، منها ما نقله السدي، فقد قال: " كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجن ففضين الحاجة، وكان فساق من فساق المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حرة، فتركوها وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أمة؛ فكانوا يراودونها فأنزل الله تعالى هذه الآية" (2)،

في الآية توجيه رباني إلى فضيلة من فضائل الإسلام هي وجوب ستر جسد المرأة المسلمة باللباس الواسع الفضفاض. بدأ التوجيه الرباني بصيغة الأمر؛ فالمعنى: " قل يا محمد لزوجاتك الطاهرات، أمهات المؤمنين، وبناتك الفضليات الكريمات، وسائر نساء المؤمنين، قل لهن يلبسن الجلابيب الواسع، الذي يستر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهن السنة السوء، ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية؛ فذلك التستر أقرب بأن يعرفن بالعفة والتستر والصيانة؛ فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد ( أقرب بأن يُعرفنْ أنهن حرائر، ويتميزن عن الإمامة) " (3).

وختمت الآية الكريمة بذكر صفتين من صفات رب العالمين (الغفور والرحيم)؛ مناسبة لمضمون الخطاب ( النداء) ؛ فإله تعالى سيغفر تقصير المؤمنات السابق في أمر التستر وسيصفح عما سبق، وسيرحم عباده المتقين الذين يأترون بأمره ويجتنبون نهيه (4).

1 - سورة الأحزاب. آية ( 59 ).

2 - الواحدي، علي أحمد. أسباب النزول، تحقيق السيد الجميلي. ص 301.

3 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير 494/2.

4 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 494 / 2.

## • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: " قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك

أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ":

صدرت جملة متمم النداء بفعل الأمر " قل " وهي جملة فعلية. فالنداء فيها أمر رباني خاص موجه إلى فئة معينة من أفراد المجتمع الإسلامي هي فئة النساء ( زوجات الرسول وبناته ونساء المؤمنين ) ويتضمن هذا الأمر طلباً ربانياً هو وجوب ستر جسد المرأة المسلمة؛ لأن ستره يدل على عفتها وطهارتها ويحفظها من الإيذاء<sup>(1)</sup>.

وأما جملة " ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " فهي جملة اسمية<sup>(2)</sup>، يشير فيها اسم الإشارة " ذلك " إلى أهمية الستر؛ فالستر يدل على العفة والشرف والطهارة ويمنع إيذاء النساء والاعتداء عليهن، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد<sup>(3)</sup>.

خُتِمَت الآية الكريمة بالجملة الاسمية المستأنفة المنسوخة ( وكان الله غفوراً رحيماً )، بذكر صفتين من صفات الله تعالى ( الغفور الرحيم )؛ لأن الله سبحانه وتعالى سيغفر ما سبق من تهاون وتقصير في أمر الستر وسيخص عباده المؤمنين دون غيرهم بالرحمة الواسعة يوم القيامة<sup>(4)</sup>.

## • تداولية الآية :

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في الآية بما هو آتٍ :  
ينكشف الوجه التداولي للنداء في هذه الآية في عدد من الاستعمالات، ففي استعمال فعل الأمر " قل " معنى تداولي هو تكليف الرسول الكريم بأمر رباني هو وجوب ستر المرأة المسلمة. وفيه، أيضاً، معنى تداولي آخر هو تشريف الرسول الكريم والمسلمين بهذا الأمر؛ لأن فيه خيراً لهم في الدنيا والآخرة. وفي استعمال حرف العطف " الواو " في قوله: " لأزواجك

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 6/375، 376

<sup>2</sup> - المرجع السابق مج 6/375، 376.

<sup>3</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 494/2.

<sup>4</sup> - انظر: المرجع السابق . 494 / 2 . و انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 6/376.

وبناتك ونساء المؤمنين" معنى تداولي هو إظهار الأولوية في التكليف الرباني، فأزواج الرسول الكريم هن قدوة المسلمات في اللباس الساتر، في تنفيذ هذا الأمر وتطبيقه؛ لذا بدأ الأمر الرباني بهن.

وفي استعمال الفعل المضارع " يدينين" إشارة إلى وجوب الستر الكامل للجسم باللباس الواسع الفضفاض؛ لأنه يستر ويدفع سوء والأذى. والستر فعل مستمر ودائم دل على ذلك استعمال صيغة الفعل المضارع " يدينين". وفي استعمال اسم الإشارة " ذلك" معنى تداولي هو تنبيه المؤمنين إلى أهمية هذا الأمر(الستر)؛ ففيه تُستر المسلمة وتُعرف عفتها ويُدفع عنها الأذى والسوء. وفي اختيار صفتي " الغفور الرحيم" معنى تداولي هو إظهار مغفرة الله الواسعة لعباده المؤمنين ورحمته المطلقة بهم.

وعليه؛ فإن في الأمر الرباني ( وجوب ستر المرأة المسلمة) بعداً تداولياً نفسياً يتمثل في صيانتها من الذم وحفظها من الأذى النفسي والجسدي وإعادها عن شتم الآخرين في حال تعرضهم لها (1). وفي وجوب سترها أيضاً بعد اجتماعي يتمثل في حفظ أعراض المسلمين والمسلمات وصونها؛ فيصبح المجتمع المسلم مجتمعاً قوياً خالياً من المفسد والفتن والاضطرابات النفسية التي قد تنتج عن سفور المرأة المسلمة وتبرجها. لقد أراد الله تعالى للمجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً قوياً متماسكاً متحاباً بأخلاق أبنائه الحسنة؛ فالستر يحفظ أبناء المجتمع الإسلامي من الذم ويُبعدُ عنهم الرذيلة والمنقصة ويقويهم ويجعلهم نموذجاً يحتذى في الأخلاق الحسنة والصفات النبيلة.

يتبين مما سبق، أن نداء النبيّ ( يا أيّها النبيّ ) له أغراضه ومقاصده ومعانيه. فالأوامر والنواهي والتوجيهات الربانية التي وردت في هذا النداء تجاوزت حدود القواعد النحوية المعيارية إلى فضاء أرحب هو المجال التداولي ( الاستعمالي). فبالنظر في مقامات هذا النداء وظروف استعماله يمكن لنا استبطان هذه المعاني والوقوف عليها.

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 107/22.

## • المبحث الثاني : نداء الأعلام

ورد نداء الأعلام في القرآن الكريم في ثمانية وستين موضعاً. وقد تركز هذا النداء في ثلاثة محاور، هي: نداء رب العالمين للأنبياء والرسل (آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، زكريا، يحيى، داود عليهم السلام)، ونداء الأقسام للأنبياءهم ورسولهم (نداء قوم موسى له، نداء قوم نوح له، نداء قوم صالح له، نداء قوم شعيب له، نداء قوم لوط له، نداء الحواريين لعيسى).  
وأما المحور الثالث فهو يمثل نداءات متعددة من نداء الأعلام، منها: نداء رب العالمين لإبليس الملعون، نداء السحرة لسيدنا موسى، نداء سيدنا زكريا لمريم عليها السلام، نداء الملائكة لسيدنا لوط عليه السلام، نداء آل فرعون لسيدنا موسى، نداء أهل النار لخازن النار (مالك)، نداء الشيطان لسيدنا آدم، نداء والد سيدنا إبراهيم له، نداء سيدنا موسى لأخيه هارون، نداء فرعون لهامان، نداء سيدنا موسى لفرعون، نداء فرعون لسيدنا موسى، نداء الرجل الذي حذر سيدنا موسى من القوم الظالمين، نداء الرجل الذي أراد سيدنا موسى أن يقتله، نداء عزيز مصر لسيدنا يوسف عليه السلام، نداء الرجل الذي أراد من سيدنا يوسف أن يفسر له رؤية ملك مصر، نداء الرجل الذي أراد سيدنا موسى أن يقتله ولكنه لم يفعل.  
ويمكن القول أن كل نداء من نداءات المحور الثالث ورد في موضع واحد أو موضعين في القرآن الكريم. أما نداءات المحور الأول والثاني فهي تمثل جُلَّ نداء الأعلام في القرآن الكريم.

اختارت الدراسة من نداء الأعلام خمسة مواضع، لكل موضع منها مقامه الخاص فيه.

### • التحليل النحوي لنداء الأعلام:

#### • نحوية حرف النداء "يا" :

استعمل حرف النداء "يا" في كل مواضع نداء الأعلام التي وردت في القرآن

الكريم باستثناء موضعين، هما: نداء سيدنا يوسف في سورة يوسف<sup>(1)</sup>. وُضِعَ حرف النداء "يا"

<sup>1</sup> - انظر: الآيتين: (29) و (46) من سورة يوسف عليه السلام.

في الأصل لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. وقد يُنادى به القريب توكيداً. وهو أكثر حروف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يُقدَّر عند الحذف سواه<sup>(1)</sup>.

نوديت كل الأعلام في نداء الأعلام بحرف النداء "يا". ولاستعمال هذا الحرف "يا" في كل موضع من مواضع هذا النداء معناه التداولي، ولا يُكشَف عن حقيقة هذا المعنى إلا بالنظر في كل عناصر هذا النداء (نداء الأعلام)، ومعرفة مقامه الذي استعمل فيه.

#### • نحوية المنادى العلم:

يُعدُّ المنادى العلم واحداً من ضربى المنادى المفرد المعرّف المبني. وقد وصفه النحاة العرب بقولهم: "والمعرفة، أيضاً، على ضربين: أحدهما ما كان معرفة قبل النداء، نحو يا زيد، ويا عمرو"<sup>(2)</sup>.

والمنادى العلم من أكثر المناديين استعمالاً؛ لأن مقام النداء يتطلب مخاطبة المُعرّف لا المبهم. لذا فقد ورد استعمال المنادى العلم في القرآن الكريم استعمالاً كثيراً وفي مقامات مختلفة.

#### • التحليل التداولي لنداء الأعلام:

لكل عنصر من عناصر نداء الأعلام معناه التداولي، ولا يظهر هذا المعنى إلا بالنظر في مقام هذا النداء وظروف استعماله. وسيُكشَف عن المعنى التداولي لكل عنصر من عناصر النداء في التحليل التداولي للآية مع الأخذ بعين الاعتبار مقام الآية.

1 - انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحاميد 36/2. مبحث "يا"، وانظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم 30/3.

2 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 106.

## 1- نداء رب العالمين لسيدنا موسى عليه السلام في مقام تكريمه:

نادى رب العزة، جلّت قدرته، سيدنا موسى في مقام تكريمه بالرسالة الإلهية وبتكليمه دون وساطة. قال تعالى: "قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين"<sup>(1)</sup>.

في الآية بيان واضح للتكريم الخاص الذي شرف الله به سيدنا موسى؛ فقد اصطفاه على أهل زمانه بالرسالة الإلهية وبتكليم رب العالمين دون وحي منه، وأمره بأخذ هذه الرسالة والاجتهاد في تبليغها إلى قومه، وشكره على ما أعطاه من النعم الكثيرة منها الآيات والمعجزات الدالة على صدق رسالته<sup>(2)</sup>.

### • التحليل النحوي للآية:

• نحوية قوله تعالى: "إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكنّ من الشاكرين":

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة اسمية منسوخة مبدوءة بحرف التأكيد الناصب "إن"؛ والمعنى فيها، تأكيد اصطفاء رب العزة لموسى عليه السلام وتكليفه بتبليغ الرسالة الإلهية لقومه، وقد أيدته الله تعالى بآيات ومعجزات كثيرة تدل على صدق رسالته. منها تكليمه الله تعالى دون وحي .

وأما قوله تعالى: "فخذ ما آتيتك" فيتضمن أمراً ربانياً موجهاً إلى موسى عليه السلام؛ فالله تعالى يأمره بأخذ هذه المعجزات وبيانها لقومه؛ لتكون دليلاً على صدق رسالته وحجة على قومه يوم القيامة. وختمت الآية الكريمة بأمر رباني آخر عُطفَ على الأمر الأول "خذ". فالله

1 - سورة الأعراف. آية ( 144 ).

2 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير . 436/1.

تعالى يأمر موسى عليه السلام بشكره وحمده؛ فبحمد الله تعالى وشكره يُكشفُ عن صدق المرسلين وتظهر عبوديتهم الخالصة لله تعالى ويُدام الفضل والخير من الله عليهم<sup>(1)</sup>.

#### • تداولية الآية الكريمة:

#### • تداولية حرف النداء "يا":

استُعملَ حرف النداء "يا" في الآية لمعنى تداولي هو تكريم موسى عليه السلام وتشريفه بالرسالة الإلهية والمعجزات الدالة على صدق هذه الرسالة، منها تكليم الله تعالى دون وساطة الوحي. فمقام النداء في الآية مقام تشريف وتكريم يناسبه استعمال هذا الحرف.

#### • تداولية المنادى ( موسى عليه السلام ):

خاطب الله تعالى موسى عليه السلام باسمه؛ لتقريبه من ذاته، فقد اصطفاه على أهل زمانه وأيده بالتوراة والآيات الدالة على صدق رسالته. ففي التقريب إظهار لشدة حبه تعالى لرسوله وكليمه موسى عليه السلام.

وأسهمت في إظهار هذا المعنى ضمة المنادى العلم (موسى). فلضمة المنادى (موسى) المقدره على آخره معنى تداولي هو التقريب<sup>(2)</sup>؛ فالله تعالى يقرب إليه رسوله وكليمه ويُشعره بحبه ونصره وتأبيده.

#### • تداولية جملة متمم النداء:

إذا ما أمعنا النظر في مقام الآية تبيننا لنا بعض المعاني التداولية ويمكن إجمالها بما هو آتٍ:

صُدِّرَ النداء في الآية بالفعل الماضي "قال"؛ لأن استعمال هذا الفعل يدل على الخطاب المباشر من رب العالمين لرسوله موسى عليه السلام وهو خطاب يدل على قدرة الله المطلقة، وفيه فصّلت مظاهر تكريم موسى عليه السلام. وبدأت جملة متمم النداء في الآية بحرف التوكيد "إن" ولهذا الاستعمال معنى تداولي هو بيان قدرة الله تعالى المطلقة في اصطفاء

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 3/ 151، 152 .  
<sup>2</sup> - انظر: استنبطية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الضمة . ص 377، 378 .

موسى وجعله رسولاً ومبلغاً لدين الله تعالى إلى قومه. وفي هذا الاصطفاء تكريم وتشريف لموسى عليه السلام.

تعددت مظاهر تكريم موسى عليه السلام في الآيات، وتبرز هذه المكارم في استعمال بعض الكلمات، ففي استعمال الفعل "اصطفى" معنى تداولي هو تكريم موسى عليه السلام وتشريفه؛ فقد اصطفاه الله تعالى وجعله رسولاً على أهل زمانه<sup>(1)</sup>. وفي تكرار حرف "الباء" في الكلمتين: "برسالاتي" و "بكلامي" معنى تداولي هو التأييد والنصر والمؤازرة بالآيات والمعجزات الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته. وفي استعمال حرف العطف بين: "برسالاتي" "بكلامي" معنى تداولي هو ترتيب المعجزات والآيات ترتيباً زمنياً. وقدم "برسالاتي" على "بكلامي"؛ لأن الرسالة أسبق في الزمان، أو لأنه انتقل من شريف إلى أشرف<sup>(2)</sup>. وفي استعمال فعل الأمر "خذ" معنى تداولي هو تكليف موسى عليه السلام بتبليغ رسالته وبيان دين الله لقومه. وفي استعمال فعل الأمر "كن" معنى تداولي هو تشريف موسى عليه السلام وتكريمه؛ لأن إعطاء موسى عليه السلام الآيات والمعجزات الدالة على صدق رسالته توجب شكره لخالقه، العزيز الحميد.

تبين مما سبق أن الأنبياء والرسل هم فئة مصطفاة ومختارة أكرمها الله تعالى بالرسالات وأيدها بالآيات والمعجزات. وهذا الإكرام يوجب الشكر والحمد لله الواحد القهار. فالأنبياء والرسل يشكرون الله تعالى على نعمه الكثيرة التي لا تُعد ولا تحصى، وأخص هذه النعم الآيات والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها وجعلها أدلة على صدق رسالاتهم.

لقد أكرم الله تعالى موسى عليه السلام بتسع آيات تدل على صدق رسالته، هي: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر والسنين<sup>(3)</sup>. وجعله مؤيداً بها ومنصوراً بقدرته المطلقة على عدو الله فرعون وقومه. فانه تعالى ينصر أنبياءه ورسله وأوليائه ويجعلهم، دائماً، الغالبين على عدوه وعدوهم.

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتوير، 9/95.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 385/4.

<sup>3</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. 164/2.

لقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام بشكره على النعم والمعجزات لأن " شكر المؤمن لله تعالى يدل على قناعته ورضاه بما أعطاه الله تعالى " (1)؛ فموسى عليه السلام من عباد الله الشاكرين الذين حمدوا الله تعالى على نعمه. فالعطاء من الله تعالى تشريف وتكريم لموسى عليه السلام، والشكر من سيدنا موسى عليه السلام عبادة وطاعة لله تعالى.

ويمكن القول أن المعنى التداولي العام المتولد من مقام النداء في الآية هو تأنيس سيدنا موسى وإزالة الروع عنه (2)؛ لأنه خاف عندما رأى قدرة الله المطلقة في الجبل الذي جعله الله دكاً. لم يقتصر التكريم الإلهي لموسى عليه السلام على هذا التأنيس والتأييد، فقد كرمه في جُلِّ مواضع النداء التي خاطبه بها، من هذه المواضع، قوله تعالى: " يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم" وقوله أيضاً: " يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون" (3).

## 2- نداء رب العالمين لنوح عليه السلام في مقام تكريمه بالنجاة من الطوفان:

كرم الله تعالى نوحاً عليه السلام بأن نجّاه من الطوفان الذي عذب به قومه. قال تعالى: " قيل يا نوح اهبط بسلامٍ منا وبركاتٍ عليك وعلى أمم ممن معك وأممٍ ستمتعهم ثم يمسهُمُ منّا عذابٌ أليم" (4).

في الآية الكريمة بيان لنهاية الطوفان الذي أغرق الله تعالى به قوم نوح؛ فبعد أن انتهى الطوفان وأغرقتُ الفئة الظالمة من قوم نوح عليه السلام خاطب رب العزة نوحاً عليه السلام، فأمره بالهبوط ( النزول) من السفينة إلى الأرض؛ لأنها كانت أعلى من الأرض . في أمر الهبوط من السفينة إلى الأرض تكريم لنوح عليه السلام؛ فالمعنى: اهبط إلى الأرض سالماً آمناً مباركاً مكرماً؛ فقد هيا الله تعالى الأرض لنوح ومن معه من الصالحين، وجعلها صالحة للعيش بعد تدميرها بالطوفان.

1 - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 385/4.

2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. 95/9.

3 - انظر الآيتين (9) ، (10) من سورة النمل.

4 - سورة هود. آية (48).

فتكريم نوح عليه السلام بعد الطوفان تمثل أولاً بالنزول الآمن السالم من الأذى بقدرته تعالى إلى الأرض ثم بالخير العميم المبارك الدائم في هذه الأرض له ولمن تبعه من المؤمنين (ذريته الصالحة) إلى يوم الدين<sup>(1)</sup>.

وأما قوله: " وأمم ستمتعهم ثم يمسه منا عذاب أليم" ففيه إشارة إلى الأقوام السابقة التي عمرت الأرض وعاشت فيها بعد سيدنا نوح؛ لكنها كفرت ولم تؤمن برسول الله وأنبيائه؛ فأخذها الله تعالى بالعذاب الأليم، من هذه الأقوام قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام<sup>(2)</sup>.

فإنه تعالى يُنجي الأنبياء والرسل ومن آمن معهم ويهلك الكافرين، وهذه سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة تديلاً.

#### • التحليل النحوي للآية :

• نحوية قوله تعالى: " اهبط بسلامنا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم ستمتعهم ثم يمسه منا عذاب أليم":

سُبق أسلوب النداء في هذه الآية بالفعل الماضي المبني للمجهول " قيل"؛ لأن النداء فيها خطاب غير مباشر ( عن طريق الملائكة)، فالخطاب الرباني إما أن يكون مباشراً من الله تعالى أو عن طريق الوحي (الملائكة).

وجملة متم النداء في الآية ( اهبط بسلامنا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) هي جملة فعلية مُصدّرة بفعل الأمر " اهبط" والمعنى: أنزل يا نوح من السفينة أو المكان المرتفع بعد الطوفان إلى الأرض سالماً مباركاً، فقد أعدّ الله تعالى هذه الأرض لك ولذريتك المؤمنة التي آمنت معك، وجعلها صالحة للعيش بعد الطوفان وباركها بالخير العميم الكثير إكراماً لسيدنا نوح وذريته الصالحة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 14/2. وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 231/5.

<sup>2</sup> - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 232/5.

<sup>3</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 14/2.

وأما قوله تعالى: " وأمم ستمتعهم ثم يمسه منا عذاب أليم " فهي جملة اسمية مستأنفة وتعني الأمم السابقة من ذرية نوح عليه السلام، وهي الأمم التي كفرت بأنبيائها ورسالتها ولم تؤمن بهم، فعاقبها الله تعالى بالعذاب العاجل في الدنيا ولها عذاب أليم في الآخرة، من هذه الأمم قوم هود وصالح ولوط وشعيب.

وجملة " ثم يمسه منا عذاب أليم " هي جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية " وأمم ستمتعهم " وفيها إشارة إلى عذاب جهنم الذي ينتظر الكافرين ( الذين كفروا من ذرية نوح عليه السلام على مر العصور ) يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

فعذاب الفئة الكافرة من ذرية نوح عليه السلام عذابان : عذاب في الدنيا كعذاب عاد وثمود وعذاب أليم في الآخرة وهو عذاب جهنم.

#### • تداولية الآية:

#### • تداولية حرف النداء " يا " :

لحرف النداء "يا" في الآية معنى تداولي هو تكريم نوح عليه السلام وتشريفه؛ فقد أمره الله تعالى بأن ينزل إلى الأرض بعد الطوفان نزولاً آمناً سالماً برعايته وقدرته، وجعل الأرض ممهدة لعيشه وعيش من معه من الصالحين، وبارك لهم في خيراتها الكثيرة.

#### • تداولية المنادى العلم ( نوح ) :

خاطب الله تعالى نوحاً عليه السلام باسمه تنبيهاً له إلى قدرته المطلقة في تسيير مخلوقاته والتحكم بها؛ فقد أمر الله تعالى الملائكة بإنزال سفينته إلى الأرض المهيأة لعيشه وعيش الفئة المؤمنة معه. وفي هذا الأمر تكريم وتشريف لسيدنا نوح وذريته المؤمنة التي صبرت وتحملت أذى القوم المجرمين.

ولضمة المنادى العلم ( نوح ) دلالة التقريب<sup>(2)</sup>؛ فقد قرّب رب العزة نوحاً عليه السلام إليه برحمته وقدرته وإكرامه وبارك له في خيرات الأرض الكثيرة وأعطاه الفضل الكبير.

<sup>1</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير ، 14/2. و انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر.

إعراب القرآن الكريم. مج 627/3، 628.

<sup>2</sup> - انظر: استنبئية، سمير. علم الأصوات النحوي. دلالات الضمة. ص. 377، 378.

## • تداولية جملة متمم النداء:

تتلخص المعاني المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آتٍ :

يظهر البعد التداولي في الآية في استعمال بعض الكلمات، ففي استعمال فعل الأمر " اهبط " معنى تداولي هو إشعار نوح عليه السلام بالأمان والأمن. فقد هيا الله تعالى له الأرض بعد الطوفان وجعلها صالحة للعيش البشري. وفي قوله تعالى: " وبركات عليك " إشارة إلى الخير العميم والنفع الدائم لنوح عليه السلام وذريته المؤمنة في الأرض؛ فقد أنعم الله تعالى عليه وعلى ذريته بالفضل الكثير الدائم<sup>(1)</sup>. وفي استعمال حرف " الواو " في قوله: " وبركات عليك وعلى أمم ممن معك " معنى تداولي هو تعميم الخير والفائدة؛ فخير الله كثير وفضله دائم خصّ به نوحاً وذريته الصالحة التي هبطت معه إلى الأرض. وفي استعمال الفعل " ستمتعهم " معنى تداولي هو تهديد ووعد للأقوام الكافرة التي ستكفر بالله تعالى وستكذب رسله وأنبياءه، والمقصود الأمم والأقوام التي عذباها الله تعالى في الدنيا بعد نوح عليه السلام كعاد وثمود. وفي استعمال حرف العطف " ثم " معنى تداولي هو التأجيل والمباعدة، فعذاب الأقوام والأمم الكافرة في الدنيا عذاب عاجل، وعذابهم في الآخرة عذاب مؤجل إلى يوم القيامة.

يتبين مما سبق أن مصير الأقوام الظالمة الكافرة الهلاك والدمار. لذا فقد أكرم الله تعالى نوحاً عليه السلام وذريته الصالحة التي نجّاهم معه، وهياً لهم الأرض بعد الطوفان؛ ليعمروها ويتنعموا بخيراتها الكثيرة الدائمة.

ويفهم من مقام الآية أنّ الإسلام دين الرحمة والعدل والخير وبه تستمر حياة الأفراد والشعوب والأقوام وتصلح أحوالهم. وأنّ سبب هلاك الأقوام وتدميرها هو كفرها وظلمها، فبالظلم والفساد تُدمر الأمم والأقوام. وبالإيمان والعدل تُبنى الشعوب والحضارات.

<sup>1</sup> - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، 231/5.

وفي الآية طمأنة وتأييس لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فقد تكفل الله تعالى بنصر نبيه الكريم ودعمه وتأييده. فالرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وصحابته هم الفئة الغالبة على كفار قريش، وكفار قريش هم الفئة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

### 3- نداء قوم سيدنا لوط له في مقام تهديده ووعيده :

خاطب الكفار لوطاً في مقام تهديده بالنفي والطرْد؛ لأنه أمرهم بتقوى الله تعالى والابتعاد عن فعل الفاحشة؛ لكنهم رفضوا ذلك وتوعدوه بالنفي والطرْد ( الإخراج ) . قال تعالى: " قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين" <sup>(1)</sup>. في الآية إصرار واضح من قوم لوط على فعل الفاحشة والمعصية، ورفض تام لدعوة سيدنا لوط ونصحه لهم. فالمعنى، في الآية: " لئن لم تترك تقبيح ما نحن عليه لنخرجنك من بين أظهرنا وننفيك من بلدنا كما فعلنا بمن قبلك" <sup>(2)</sup>.

فخطابهم لسيدنا لوط يدل على تماديهم في المعصية وإصرارهم على الاستمرار في فعلها؛ لذا فقد توعدوه بالنفي ( الإخراج ) إن استمر في دعوتهم إلى تقوى الله وتحذيرهم من فعل الفاحشة.

#### • التحليل النحوي للآية:

#### • نحوية جملة متم النداء:

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة شرطية قسمية سُبِّقَتْ بالجملة الفعلية " قالوا". ويتضمن الشرط المسبوق بالقسم في الجملة الشرطية القسمية معنى التهديد والوعيد من قوم لوط له؛ فقد حذروه من الاستمرار في دعوتهم إلى تقوى الله تعالى ونهيبهم عن فعل الفاحشة. فهم مُصرّون عليها مستمرون في فعلها، وقد توعدوه بالإخراج ( النفي ) إن استمر في ذلك <sup>(3)</sup>.

1 - سورة الشعراء. آية ( 167 ).

2 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2 / 360.

3 - انظر الإعراب في : الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج5 / 610، 611.

## • التحليل التداولي للآية :

### • تداولية حرف النداء " يا " :

في استعمال حرف النداء " يا " في هذه الآية معنى تداولي هو تحذير لوط، عليه السلام، من الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى والنهي عن فعل المعصية. فمقام النداء يدل على البعد الديني والنفسي الكبير بين لوط وقومه. فلوط، عليه السلام، يدعو إلى التقوى وعبادة الله تعالى والابتعاد عن المعصية والاستمرار في فعلها، وقومه يدعون إلى الفاحشة والمعصية ويصرون على فعلها وشتان بين الدعوتين.

### • تداولية المنادى العلم ( لوط ):

في استعمال صيغة المنادى العلم معنى تداولي يدل على استخفاف قوم لوط به وعنادهم له وإصرارهم على كفرهم ومعصيتهم؛ فلم يخاطبوه، على سبيل المثال، بنبي الله أو رسول الله، فالخطاب يدل على الفجوة العميقة الكائنة بين عقيدة لوط ( عقيدة التوحيد ) وعملهم الفاسد الذي يكشف عن سوء أخلاقهم وشناعة تصرفهم، فعملهم لا يفعله إلا كلُّ من سلب عقله وفسدت فطرته وفقد إنسانيته وبطلت عقيدته.

### • تداولية جملة متمم النداء في الآية:

بالنظر في مقام الآية يمكن لنا أن نستبطن بعض المعاني التداولية المتولدة من هذا المقام وإجمالها بالآتي :

خاطب الكفار لوطاً مهديين له بالنفي والطرْد؛ لأنه يصر على دعوتهم إلى تقوى الله تعالى ويؤكد نهيمهم عن فعل المعصية. ويظهر ذلك في استعمال الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة "قالوا"، ففي استعماله معنى تداولي هو إظهار الوعيد والتهديد للوط عليه السلام من قومه؛ لذا سبق أسلوب النداء ( يا لوط ) بهذا الفعل.

ويؤكد هذا المعنى في استعمال شبه الجملة " من المخرجين ". في استعمالها معنى تداولي هو إثبات صفة " المخرج " للوط وتقويتها، فهو في نظر قومه واحد من المخرجين الذين

توعدهم قوم لوط بالنفي. فاستعمال شبه الجملة " من المخرجين " أدل في الدلالة وأبلغ في المعنى من "لنخرجنك"<sup>(1)</sup>. لكن لوطاً عليه السلام لم يذعن لأمرهم وتهديدهم ولم يستجب لدعوتهم وبقي ثابتاً على موقفه في تبليغ دعوة ربه عز وجل. ويظهر هذا المعنى في استعمال الفعل المضارع المجزوم " لم تنته " ففي استعماله معنى تداولي هو إصرار لوط عليه السلام على دعوتهم إلى تقوى الله وامتنال أمره والابتعاد عن فعل الفاحشة. فللفعل المضارع دلالة استمرار الحدث (استمرار الدعوة).

في الآية إشارة واضحة إلى إنكار الأقوام للرسالات السماوية التي أيد الله تعالى بها الرسل والأنبياء، من هذه الأقوام قوم لوط الذين أصروا على فعل المعصية ولم يمتثلوا لأمر الله تعالى؛ فعاقبهم بالخسف. قال تعالى: " وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين"<sup>(2)</sup>. يتبين مما سبق أن مصير الأقوام الفاسدة والأمم الكافرة الهالك والدمار؛ لأن الله تعالى لا يقبل استمرار الفساد والظلم في الأرض. وأن من صفات الأنبياء والرسل ثباتهم على الدعوة إلى دين الله تعالى وصبرهم على تحمل المشاق والمتاعب في سبيل ذلك. فالله تعالى ينصر ويؤيد أنبياءه ورسله؛ لأنهم أطاعوه وعبدهوا وتحملوا الأذى في سبيل نشر دينه، ويهلك الكفار والمجرمين الذين أنكروا وجود الله تعالى وكفروه واستجابوا للشيطان وأهوائهم.

#### 4- نداء قوم مريم، عليها السلام، لها في مقام إنكار فعلها:

أنكر قوم مريم، عليها السلام، فعلها؛ فنادوها مبينين فظاعة هذا الفعل وشناعته، وأنّ هذا الفعل لا تفعله إنسانة مؤمنة سالحة من نسل صالحين. قال تعالى: " فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريباً"<sup>(3)</sup>. في الآية فكرتان: أما الأولى، فهي قدوم مريم، عليها السلام، إلى أهلها ومعها ابنها عيسى، عليه السلام، والفكرة الثانية هي شدة إنكار قوم مريم، عليها السلام، فعلها ( إنجاب الطفل بدون زواج يعلمونه).

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 180/19. وانظر: الزمخشري، محمود عمر.

تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين. مج 320/3.

<sup>2</sup> - سورة الشعراء. آية ( 173 ).

<sup>3</sup> - سورة مريم. آية ( 27 ).

اقتضت حكمة الله تعالى ومشيبته أن يؤيد مريم، عليها السلام، بالمعجزات والآيات الدالة على قدرته المطلقة، فقد أوحى الله تعالى إليها أن تعتزل قومها وتتفرغ للعبادة، وأرسل إليها جبريل عليه السلام على هيئة إنسان ونفخ في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت يعيسى، عليه السلام، وتحت إلى مكان بعيد خشية أن يعيرها قومها بالولادة من غير زوج، وسهل الله تعالى ولادتها؛ فهيأ لها المكان المناسب المريح، وأمدّها بالطعام والشراب، وهيأ لها وسائل الراحة جميعها التي تحتاجها المرأة حين توضع. وكل هذه الأسباب هي علامات دالة على قدرته ومعجزته وبراهين دالة على نفاذ مشيبته وأمره<sup>(1)</sup>.

فبعد أن طهرت مريم، عليها السلام، من النفاس، وبعد أن رأت الآيات الدالة على قدرة الله المطلقة فيها أمرها رب العزة - جلت قدرته - أن تكف عن الكلام (تصوم عنه) الله تعالى وأن تصمت حين رؤية قومها، وأن تطلب منهم أن يكلموا الطفل في حجرها<sup>(2)</sup>.

لقد أيّد الله تعالى مريم، عليها السلام، بالآيات والمعجزات الدالة على قدرته المطلقة وصدقها؛ لذا فقد مهّدت هذه البراهين قدوم مريم إلى قومها حاملاً ابنها، ودعمت موقفها أمامهم، إلا أن هذه البراهين والأدلة لم تكن كافية، حسب ظنهم، لإقناعهم وإسكاتهم وأنكروا فعلها وعابوه.

لكنّ الله تعالى لم يترك عبده الصادقة المؤمنة الصالحة، فأيدها بمعجزة قاهرة لإنكارهم دالة على صدقها وإيمانها، فقد طلب الله تعالى منها أن تشير إلى الطفل (سيدنا عيسى) في حجرها، ليكلموه ويسألوه إظهاراً لصدقها وتوبيخاً لقومها الذين أنكروا فعلها وعابوه وإبطالاً لافتراءهم وكذبهم<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر الآيات من 16 - 26 من سورة مريم، وانظر تفسيرها في: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير ، 195 / 2 ، 196 .

<sup>2</sup> - انظر الآيتين 26، 29 من سورة مريم . وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 176/6.

<sup>3</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 197/2.

## • التحليل النحوي للآية:

### • نحوية متمم النداء ( لقد جئت شيئاً فرياً ):

جملة متمم النداء هي جملة فعلية مُصدّرة باللام الموطئة لقسم محذوف و بـ " قد "

حرف التحقيق (1). تتضمن جملة متمم النداء الفكرة الثانية من الآية وهي : شدة إنكار قوم مريم

لفعلها وإعابتهم له؛ لأنهم " لما رأوها وابنها أعظموا أمرها واستكروه وقالوا لها : لقد جئت شيئاً

عظيماً منكراً " (2).

وأما الفكرة الأولى من الآية فهي " قدوم مريم ، عليها السلام، إلى قومها بعد أن

طهرت من النفاس تحمل ولدها عيسى على يديها" (3).

### • تداولية الآية الكريمة:

#### • تداولية حرف النداء " يا " :

لاستعمال حرف النداء " يا " معنى تداولي هو شدة إنكار قوم مريم، عليها السلام،

لفعلها وإعابتهم له؛ فعملها القبيح المنكر، في رأيهم، أبعدها عنهم نفسياً؛ فنفسهم لم تقبل هذا

الفعل القبيح الذي لا يليق بمكانتها ومكانة أهلها، " فهي سالحة طاهرة من بيت طاهر معروف

بالصلاح والعبادة" (4).

### • تداولية المنادى العلم ( مريم عليها السلام ) :

خوطبت مريم في الآية باسمها؛ تقريباً وتوبيخاً لها؛ لأنها قامت بفعل منكر معيب لا

يتناسب مع صلاحها وصلاح قومها فهي سالحة من بيت صالح معروف بالتقوى والطهر؛ لذا

فقد نوديت باسمها.

1 - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 5 / 23.

2 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2 / 197.

3 - المرجع السابق 2 / 197 بتصرف.

4 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير. 2 / 197.

## • تداولية الآية :

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

سبق أسلوب النداء في الآية بجملة فعلية استئنافية ( فأنت به قومها تحمله ) ولهذا السبق معناه التداولي، فقد كُرِّمَتْ مريم، عليها السلام، بهذا المولود الجديد وهو معجزة دالة على قدرة الله تعالى المطلقة. ولكي يظهر الله صدق مريم، عليها السلام، فقد أمرها رب العزة أن تصوم عن الكلام وأن تشير إلى الطفل في حضنها؛ ليكلمه قومها ويسألوه. فمريم، عليها السلام، أتت به (بطفلها الجديد) قومها وهي تحمله على يديها مكرمة ومعززة بالأدلة الدامغة والبراهين المقنعة التي تدل على عظمة الخالق، سبحانه وتعالى، وصدقها أمام قومها. وللنظم القرآني المحكم ( فأنت به قومها تحمله ) أثر واضح في إظهار تكريم مريم، عليها السلام، وتأبيدها بالحجج والبراهين الدالة على صدقها وعفتها. ويظهر البعد التداولي في استعمال الجملة الفعلية "قالوا"، فقد سبق أسلوب النداء بالجملة الفعلية "قالوا" ولهذا السبق معناه التداولي وهو شدة إنكار قوم مريم لفعالها. لقد أنكر قومها فعلها واستعظموه؛ لأنها إنسانة صالحة تقيّة من بيت عفة وظهر؛ فلا يصدر هذا الفعل ممن يتصف بهذه الصفات.

وسبق الفعل " جنّت " باللام الموطئة للقسم وبحرف التحقيق " قد " لمعنى تداولي هو تقبيح فعل المعصية وإظهار فظاعته، فهو أمر قبيح فظيع يدل على كفر وعصيان من يفعله، ولا يصدر إلا عن كل كافر عاصٍ لا يتقي الله تعالى في نفسه وأهله. وفي تنكير " شيئاً " معنى تداولي هو تشنيع هذا الفعل وإظهار قبحه وفضاعته وتهويل أمره.

كرّم الله تعالى مريم، عليها السلام، بالمعجزات وخوارق العادات كحملها وقداسة ولدها وهو إرهاب لنبوّة عيسى ، عليه السلام، ومن هذه الإرهاصات إقدار سيدنا عيسى على تكليم قومها وهو صبي في المهد<sup>(1)</sup>. فالأصفياء والأتقياء والصالحون والصادقون يؤيدهم الله

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 59 / 16.

تعالى بمعجزاته الدالة على قدرته المطلقة. فمريم، عليها السلام، واحدة من الذين اختارهم الله تعالى وأيدهم بالمعجزات والبراهين الدالة على قدرته وصدقهم أمام أقوامهم والناس أجمعين.

في الآية تقريع وتوبيخ وذم لقوم مريم، عليها السلام؛ لأنهم شككوا في صدقها، ونتيجة لذلك فقد " اختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى، عليه السلام، وصاروا أحزاباً متفرقين، فمنهم من يزعم أنه ابن الله، ومنهم من يزعم أنه ابن خطيئة" (1). قال تعالى: " فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يومٍ عظيم " (2). فالكفار يشككون في صدق المعجزات والآيات الدالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته؛ لأنهم لا يؤمنون في الأصل بوجود الله تعالى ولا يقرون بوحدانيته، أما المؤمنون فهم الذين يصدقون آياته ومعجزاته ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، ويقرون بوحدانيته وعبوديتهم خالصة له .

ويمكن القول أن في ذكر قصة مريم، عليها السلام، تسليية وطمأنة لسيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يتولى رسله وأنبياءه وأصفياءه وأولياءه بالرحمة والتأييد والنصر ويدفع عنهم الأذى والهلاك وينصرهم على أعدائه وأعدائهم.

#### 5- نداء عزيز مصر ليوسف، عليه السلام، في مقام تكريمه بالعفة والطهارة:

خاطب عزيز مصر سيدنا يوسف، عليه السلام، في مقام تكريمه، فقد أمره بكتمان أمر مرأوده زوجته له وعدم ذكره لأحد، وأمر زوجته بالاستغفار وطلب التوبة من هذا الذنب (3). قال تعالى: " يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين" (4). تتضمن الآية الكريمة أمرين طلبهما عزيز مصر. أما الأول: فقد أمر عزيز مصر سيدنا يوسف،

1 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2 / 198. بتصرف.

2 - سورة مريم. آية ( 37 ) .

3 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2 / 44.

4 - سورة يوسف. آية ( 29 ) .

عليه السلام، بكتمان أمر مرأودة زوجته له وعدم ذكره لأحد. وأما الأمر الثاني: فقد طلب عزيز مصر من زوجته الاستغفار من ذنبها القبيح؛ لأنها من الخاطئين.

يتضح مما سبق أن عزيز مصر كان يعلم علم اليقين أن سيدنا يوسف، عليه السلام، بريء من التهمة (تهمة المرأودة)؛ لأن هذا العمل لا يقوم به من يتصف بصفات سيدنا يوسف، عليه السلام؛ لذا فقد أمر سيدنا يوسف بكتمان هذا الأمر وعدم نشره لكي لا يفضح أمره وأمر زوجته. ومما يدل، أيضاً، على براءة سيدنا يوسف، عليه السلام، أن عزيز مصر طلب من زوجته أن تتوب وتطلب المغفرة؛ لأنها من الخاطئين، فهي من رآدت سيدنا يوسف عن نفسه وأرادت منه فعل الفاحشة؛ لكن الله تعالى صرفه عن هذا العمل القبيح وعصمه من إتيان الفاحشة. وفي هذا الأمر تكريم لسيدنا يوسف، عليه السلام.

#### • التحليل النحوي للآية:

جملة متم النداء في هذه الآية هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر "أعرض" (1). تضمنت جملة متم النداء (أعرض عن هذا) الأمر الأول، فقد طلب العزيز من يوسف، عليه السلام، أن يكتم هذا الأمر القبيح (أمر مرأودة زوجته لسيدنا يوسف) وأن لا يطلع عليه أحداً حفاظاً على سمعته.

ويمكن القول أن آراء المفسرين تباينت في تحليل هذا الأمر؛ فمنهم من قال أن العزيز أمر سيدنا يوسف بكتمان هذا الأمر؛ لأنه قليل الغيرة، ومنهم من قال أنه كان حليماً عاقلاً (2). والحق أن في هذا الأمر تكريم لشخص سيدنا يوسف، عليه السلام، فهو النبي المخلص المعصوم عن الخطأ المؤيد بالمعجزات وخوارق العادات. فعزير مصر أمره أن يترك الخوض في هذا الأمر وأن يكتمه تكريماً له.

وأما الأمر الثاني (الذي طلبه العزيز من زوجته) فهو الاستغفار من الذنب. فعزير مصر يعلم أن زوجته هي من رآدت فتاها عن نفسه؛ لذا فهو يطلب منها أن تستغفر لذنبها وأن

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 4 / 28.  
2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 12 / 258.

تتوب عن فعلها؛ لأنها من الخاطئين. وعطف الأمر الثاني ( استغفري لذنبك)، وهو جملة فعلية فعلها فعل الأمر ( استغفري)، على الأمر الأول ( أعرض). وفي هذا العطف التفات؛ لأن الخطاب القرآني انتقل من خطاب سيدنا يوسف إلى خطاب زوجة العزيز. فكل أمر منهما موجه إلى معين مقصود ولهذا التوجيه مقصده ورضه. وأسلوب الالتفات في هذه الآية وفي القرآن الكريم أسلوب بياني بديع يدل على عظمة رب العالمين<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن للنظم القرآني المحكم ( أساليبه وتراكيبه المختلفة) بعده التداولي . فأسلوب الالتفات وغيره من الأساليب اللغوية ( النحوية والبلاغية) في آيات القرآن الكريم وسوره يمكن إعادة قراءتها والبحث فيها لمعرفة المعاني التداولية المتولدة من مقاماتها وظروف استعمالها. وأما قوله تعالى: " إنك كنت من الخاطئين" فهي جملة اسمية منسوخة مؤكدة بحرف التأكيد "إن" ومعللة لأمر الاستغفار؛ فعلها ( على امرأة العزيز) أن تستغفر لذنبها؛ لأنها من الخاطئين. ووقعها في الخطأ (الذنب المتعمد) أمر مؤكد؛ لأنها أرادت عن قصد وتخطيط مسبق<sup>(2)</sup>.

#### • تداولية الآية:

#### • تداولية حذف حرف النداء:

الأصل في أسلوب النداء أن يُذكر حرف النداء "يا" في أغلب الاستعمال، لكنه حذف في هذه الآية لمعنى تداولي هو تكريم يوسف، عليه السلام. لقد نودي سيدنا يوسف، في هذه الآية، دون استعمال حرف النداء "يا" في مقام تكريمه وإظهار عفته وطهارته، فهو النبيّ الصديق المخلص الأمين الذي اصطفاه رب العزة، واختبره في الشدائد والمحن وأيده بالمعجزات والخوارق وعصمه عن الزلل والخطأ، لذا فهو القريب من خالقه في السراء والضراء، وهو القريب، أيضاً، ممن أكرمه وأحسن مثواه ( العزيز ).

<sup>1</sup> - انظر: المرجع السابق، 259 / 12. و انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 4/28.

<sup>2</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 4/28. وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، 298/5.

## • تداولية المنادى العلم ( يوسف عليه السلام ) :

في ذكر اسم سيدنا يوسف ، عليه السلام، معنى تداولي هو إظهار نبوعته وصدقته، فهو النبي الصديق المختار الأمين الذي أيده الله تعالى بالمعجزات والآيات الدالة على صدقه وإخلاصه. ونجد هذا الأمر واضحاً في سورة يوسف، فقد ذكر اسمه، عليه السلام، في اثنتين وعشرين موضعاً فيها، ونودي في موضعين باسمه دون استعمال حرف النداء "يا" (1). ويمكن القول أن لهذا الاستعمال ( كثرة ورود اسم سيدنا يوسف في السورة ) معناه التداولي؛ فهو النبي الصديق القريب من رحمة الله تعالى ولطفه وعطفه ونصره وتأييده، فقد اختبره رب العالمين بالرحمة والشدائد في حياته وامتنح صبره فيها، فكان مثال الصديق الصبور المحتسب الواصل برحمة الله الواسعة وبقدرته المطلقة.

## • تداولية جملة متمم النداء:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آتٍ: يظهر البعد التداولي للنداء في هذه الآية في استعمال فعل الأمر " أعرض " واسم الإشارة "هذا"، ففي استعمالهما معنى تداولي هو تقبيح هذا الأمر (المرادة لفعل الفاحشة من امرأة العزيز) وإظهار فظاعته وشناعته؛ فيوسف، عليه السلام، بصفاته التامة وعصمته، تأبى نفسه هذا الأمر وتستقبحه. وفي تقديم الأمر " أعرض " على الأمر " استغفري " معنى تداولي هو إظهار براءة سيدنا يوسف وبيان عفته وطهارته؛ فهو النبي المعصوم الصديق الأمين الوفي الذي تأبى نفسه المعصية وتستقذرها. أما امرأة العزيز فهي المرأة المفتونة التي لم تحفظ بيتها وزوجها والتي حاولت مراودة فتاها ( يوسف عليه السلام ) عن نفسه قاصدة فعل الفاحشة؛ فهي المذنبة التي تقصدت فعل الفاحشة. وفي استعمال حرف التأكيد " إن " معنى تداولي هو تشنيع فعل المرادة وقصديته من امرأة العزيز ، فهي من أرادت فعل الفاحشة بنية وقصد وإصرار.

<sup>1</sup> - انظر سورة يوسف وانظر أسلوب النداء في الآيتين ( 29 ) و ( 46 ) من نفس السورة.

ويمكن القول أن من الكرامات التي أُعطيت لسيدنا يوسف، عليه السلام، حفظه في المحن والشدائد وإنقاذه منها. فقد عصم الله تعالى نبيه وصديقه عن الوقوع في المعصية وفعل الفاحشة وجعله تقياً . فالتقوى هي صمام الأمان للمؤمن في كل عمل يعمله في حياته، وهي وسيلته إلى النجاة من مهالك الدنيا وأخطارها وهي سبب سعادته في الدارين ( الدنيا والآخرة). وعليه، فالأنبياء والرسل والأصفياء والأولياء والصالحون مولاهم الله تعالى. أمّا الكافرون والمنافقون والمفسدون والخائنون فمولاهم الشيطان يزين لهم عمل الفاحشة .

يتبين من التحليل التداولي لنداء الأعلام أن لهذا النداء أغراضه ومعانيه ومقاصده. فإذا ما عرفنا مقام كل نداء من نداءات الأعلام وظروف استعماله تكشفنا لنا معانيه التداولية المتولدة من هذا المقام. فالتحليل التداولي لنداء الأعلام لا يكتفي بمعرفة المعاني التداولية لعنصر واحد من عناصر هذا الأسلوب ( نداء الأعلام) بل يكشف عن المعاني التداولية لكل عناصره، وذلك بالنظر في مقام هذا الأسلوب وظروف استعماله.

### المبحث الثالث: نداء الاسم المضاف

#### المطلب الأول: نداء لفظ " رب " المضاف إلى ياء المتكلم

ورد نداء لفظ " ربّ " المضاف إلى ياء المتكلم في القرآن الكريم في ستة وستين موضعاً. تركز هذا النداء في ثلاثة محاور، هي : دعاء الأنبياء والرسل والصالحين ( إبراهيم، نوح ، محمد، يوسف، امرأة عمران، زكريا، مريم، موسى، سليمان، لوط، ملكة سبأ ، امرأة فرعون). ودعاء الإنسان المؤمن والكافر ودعاء إبليس الملعون والمطروود من رحمة الله تعالى. ويمكن القول أن جلّ مواضع هذا النداء تركزت في المحور الأول (دعاء الأنبياء والرسل والصالحين ) . أما المحوران الثاني والثالث من هذا النداء ( نداء الإنسان المؤمن والكافر وإبليس ) فمواضعهما قليلة جداً (موضع واحد أو اثنان).

اختارت الدراسة، من هذا النداء ثلاثة مواضع لكل موضع منها مقامه الخاص فيه .

• التحليل النحوي لنداء " ربّ " :

• نحوية المنادى المضاف " ربّ " إلى ياء المتكلم :

ورد المنادى المضاف " رب " إلى ياء المتكلم في القرآن الكريم في كل مواضعه محذوف الياء بالصورة التالية : " ربّ ". ويمكن القول أنّ ورود هذا المنادى على هذه الصورة " ربّ " يمثل لغة استعملها العرب، في شعرهم ونثرهم، استعمالاً كثيراً. وقد علل سيبويه استعمال هذه الصورة ( حذف ياء المتكلم ) بقوله: " اعلم أنّ ياء الإضافة لا تثبت مع النداء وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء " (1).

يفهم من كلام سيبويه أنّ العرب حذفّت ياء المتكلم ( ياء الإضافة ) وأبقت الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة بسبب كثرة الاستعمال عندهم. وهذا هو الوصف ( التفسير ) النحوي لهذا النوع من المنادى. أما التفسير الصوتي لهذا التغيير فهو تقصير الحركة الطويلة (الياء) إلى حركة قصيرة (الكسرة). فالياء لم تحذف بل قصرت الحركة الطويلة ( الياء ) وجعلت حركة قصيرة (الكسرة)(2).

• التحليل التداولي لنداء " ربّ " :

• تداولية حذف حرف النداء من نداء " ربّ " :

لم يذكر حرف النداء في كل مواضع هذا النداء باستثناء موضعين(3). والأصل أنّ ينادى المنادى " ربّ " بحرف النداء " يا "؛ لأنه الحرف الذي وضع أصلاً للنداء ولا يقدر عند الحذف سواه. لهذا الحذف معناه التداولي وهو إيمان المنادي المؤمن واعتقاده بشدة قرب المنادى منه (الله تعالى). فالمؤمن (النبي أو الرسول أو الرجل الصالح أو الإنسان المحتاج) يعلم أن دعاءه مستجاب وتضرعه مسموع وتذله وانكساره لرب العالمين مجبور وطلب التأييد والمعونة ملبي.

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 209/2.

2 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 553.

3 - انظر الموضعين ( نداء ربّ ) في : سورة الفرقان آية ( 30 ) وسورة الزخرف آية ( 88 ) .

## • تداولية المنادى "ربّ":

في اختيار لفظ "ربّ" في هذا النداء معنى تداولي هو إقرار المؤمن ( النبي أو الرسول أو الرجل الصالح ) بعبوديته لرب العالمين الواحد القهار فهو المتفرد بالوحدانية الجدير بالولاء والعبودية. وأما المعنى التداولي المتحصل من تقصير الحركة الطويلة ( الياء ) في نداء " ربّ" فهو شعور المنادي ( المؤمن ) بشدة قرب المنادى ( الله تعالى ) منه <sup>(1)</sup>. فالله تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد فهو القادر العزيز الرحمن الرحيم المتفضل على عباده في كل شيء.

### 1- تضرّع سيدنا موسى إلى رب العالمين في مقام شكره وحمده:

نادى سيدنا موسى، عليه السلام، رب العزة متضرعاً إليه في مقام شكره وحمده على نعمه الكثيرة التي كرمه بها. قال تعالى: " فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير " <sup>(2)</sup>. لنداء ( تضرّع ) سيدنا موسى في هذه الآية أسبابه؛ فبعد أن أكرم الله تعالى سيدنا موسى بالمعجزات الدالة على قدرته وفضله، أوحى إليه أن يخرج من مصر طلباً للنجاة من آل فرعون الذين أرادوا قتله. هياً رب العالمين لسيدنا موسى أسباب النجاة فوصل أرض مدين وهي مكان آمن لا يصل إليه فرعون وقومه. وكانت فاتحة الوصول أن ساعد ابنتي شعيب في سقاية غنمهما؛ لأنهما لا تستطيعان سقاية الغنم بسبب ازدحام الناس على الماء، وهما ضعيفتان لا تقويان على هذا العمل.

لقد تمكن موسى عليه السلام من مساعدة ابنتي شعيب بفضل الله تعالى وقدرته؛ فالسقاية عمل شاق سهله الله تعالى له وهو مكرمة من المكارم التي خصه بها " لما استراح موسى، عليه السلام، من مشقة السقي لماشية المرأتين والاقترام بها في عدد الرعاء العديد، ووجد برد الظل تذكر بهذه النعمة نعماً سابقة أسداها الله إليه من نجاته من القتل وإيتائه الحكمة والعلم، وتخليصه من تبعة قتل القبطي، وإيصاله إلى أرض معمورة بأمة عظيمة بعد أن قطع فيافي

<sup>1</sup> - انظر: استنئية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 553. المعنى التداولي المستفاد من تقصير ياء المتكلم.  
<sup>2</sup> - سورة القصص. آية ( 24 ).

ومفازات، تذكر جميع ذلك وهو في نعمة برد الظل والراحة من التعب فجاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء وهي " إني لما أنزلت إليّ من خير فقير " (1).

فالإنسان فقير إلى الله تعالى يحتاجه في كل أمر من أمور حياته. وهو ضعيف لا يملك من أمره شيئاً. وعليه أن يدعو ربه وأن يباليغ في هذا الدعاء طلباً للعون والمساعدة والرحمة؛ فبالشكر تزيد النعم وتدوم.

#### • التحليل النحوي للآية:

سبقت جملة متم النداء (إني لما أنزلت إليّ من خير فقير) بجملتين: جملة فعلية مستأنفة (فسقى لهما) وجملة فعلية أخرى معطوفة (ثم تولى إلى الظل) (2). ولهذا السبق سببه؛ فالله تعالى أقدر سيدنا موسى وقواه ليتمكن من أمر السقاية. وهذا الأمر تكريم من الله تعالى لسيدنا موسى. ونجد هذا التكريم في الجملة الفعلية " فسقى لهما". أما الجملة الأخرى المعطوفة " ثم تولى إلى الظل" فتتضمن تكريمه بالراحة من هذا العمل الشاق وتهيئته لمناجاة ربه، جلت قدرته، فهو العبد الفقير إلى رحمة الله ومغفرته وخيره وفضله. فدعاء سيدنا موسى وتضرعه تأكيد على فقره وشدة حاجته إلى الله تعالى في كل أمر من أمور حياته، وهو أيضاً، دليل على تقواه وعبوديته الحقّة لربه الواحد القهار.

#### • التحليل التداولي للآية :

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آتٍ:  
يظهر البعد التداولي للنداء في هذه الآية في استعمال بعض الكلمات، ففي استعمال حرف التأكيد "إنّ" معنى تداولي هو إظهار شدة فقر سيدنا موسى إلى رحمة الله وخيره وفضله وتأكيد عبوديته الخالصة له. وفي تنكير كلمة " فقير" معنى تداولي هو إظهار ضعف الإنسان وشدة حاجته إلى الله تعالى في كل أمر. فالإنسان مخلوق ضعيف فقير لا يملك من أمره شيئاً

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 20 / 102 بتصرف.

<sup>2</sup> - انظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 6/29، 30.

وهو يحتاج دائماً إلى خير الله تعالى وفضله ورحمته ومغفرته. والإنسان المؤمن هو من يتضرع إلى الله تعالى طالباً خيره وفضله ورحمته.

وفي استعمال الفعل " أنزل " معنى تداولي هو إشعار سيدنا موسى برفعة ما أعطي من خير وكرامات. فإنزال الخير والكرامات على سيدنا موسى هو تكريم له؛ لأنه من الله تعالى. وفي استعمال شبه الجملة " من خير " إشارة إلى الفضائل والمكرامات التي وهبها الله تعالى لسيدنا موسى منها " إنجائه من القتل، وتربيته الكاملة في بذخة الملك وعزته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة التي رُبيّ فيها فكان منتفعاً بمنافعها مُجنباً رذائلها وأضرارها. ومن الخير أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلماً، وأن هداه إلى منجى من الأرض، ويسر له التعرف ببيت نبوة، وأن آواه إلى ظل " (1). فالله تعالى يتولى عباده الصالحين بالنصر والتأييد والرحمة والمغفرة، ويفضل عليهم بكل الخير. لقد أعطى الله تعالى سيدنا موسى المعجزات ووهبه الكرامات وأنعم عليه بالفضل العميم تكريماً له وإعلاء لشأنه.

## 2- تضرع سيدنا محمد إلى رب العالمين في مقام شكايته من كفر قريش:

دعا الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، رب العزة باثناً شكواه إليه ومظهراً تضرجه من كفر قريش ( قومه ) الذين أصروا على الكفر وإنكار رسالة التوحيد ( القرآن الكريم). قال تعالى: " وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً " (2).

في الآية بيان واضح لتذمر الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وشكواه من قومه (كفار قريش) الذين أنكروا رسالته ( القرآن الكريم) وأكثروا الطعن فيها.

فالمعنى المتضمن من شكايته في الآية أنه قال: " يا ربّ إنّ قريشاً كذبت بالقرآن ولم تؤمن به وجعلته وراء ظهورها متروكاً وأعرضوا عن استماعه " (3).

1 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 20 / 102.

2 - سورة الفرقان. آية ( 30 ).

3 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2 / 331.

ويمكن القول أن رسولنا الكريم لم يقصد من قوله الإخبار بما فعلته قريش (الإعراض والكفر وإنكار القرآن الكريم) ، ولكن المقصود من قوله " تعظيم شكايته، وتخويف قومه ؛ لأن الأنبياء إذا التجؤوا إلى الله وشكوا قومهم حلّ بهم العذاب ولم يُمهّلوا"<sup>(1)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية :

سبق أسلوب النداء ( يا ربّ ) بجملة فعلية مستأنفة ( قال الرسول)؛ إعلاء لشأن الرسول الكريم المكلف بتبليغ رسالته ( القرآن الكريم) إلى قومه وإلى الناس كافة، وإظهاراً لأهمية مضمون هذا النداء.

جملة متمم النداء في هذه الآية هي جملة اسمية مؤكدة بحرف التأكيد " إن"<sup>(2)</sup>. وأكدت الجملة الاسمية إظهاراً لمضمون متمم النداء ( إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) وبياناً لأهميته. " فليس المقصود من ذكر مضمون متمم النداء تأكيد الإخبار ( تأكيد إنكار قريش لرسالة التوحيد التي جاء بها الرسول الكريم، بل المقصود منه تعظيم شكاية الرسول الكريم، وتخويف قومه، لأن الأنبياء إذا التجؤوا إلى الله وشكوا قومهم حلّ بهم العذاب ولم يُمهّلوا"<sup>(3)</sup>.

#### • التحليل التداولي للآية:

#### • تداولية حرف النداء " يا ":

ذكر حرف النداء " يا" في هذه الآية ولم يحذف لمعنى تداولي هو إظهار أهمية شكاية الرسول الكريم من قومه الذين أنكروا القرآن الكريم وطعنوا في صحته ولم يصدّقوه. فابتعاد كفار قريش عن الرسول الكريم وتكذيبهم لرسالة التوحيد وإمعانهم في إنكار القرآن الكريم يناسبه استعمال حرف نداء البعيد " يا" . فمقام النداء يناسبه استعمال حرف النداء "يا".

<sup>1</sup> - المرجع السابق. 331/2.

<sup>2</sup> - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 5/507.

<sup>3</sup> - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 331/2 بتصرف.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

ينكشف الوجه التداولي للنداء في هذه الآية في استعمال بعض الكلمات والجمل. سبق أسلوب النداء بالجملة الفعلية "قال الرسول" تكريماً للرسول الكريم وإعلاء لشأنه وتقديساً لرسالته السمحة (القرآن الكريم). وفي تأكيد مضمون جملة متمم النداء إشارة إلى أهمية شكايه الرسول وتضجره من كفر قريش، فقد أصروا على كفرهم وعنادهم ولم يؤمنوا بالقرآن الكريم.

ويظهر البعد التداولي للنداء أيضاً في هذه الآية في استعمال كلمة "قومي"، ففي استعمالها معنى تداولي هو حرص سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، على هداية قومه وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وإخراجهم من الكفر والضلال إلى الهداية والإيمان. وفي استعمال الفعل "اتخذوا" معنى تداولي هو شدة اعتناء كفار قريش بتكذيب القرآن الكريم والإعراض عن الإيمان به، ففي فعلهم (الإعراض والتكذيب) مبالغة وقصدية<sup>(1)</sup>.

في الآية استنصار للرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى ينصر رسله وأنبياءه وأصفياءه ويثبتهم في دعوتهم إلى الدين القويم ويعذب الكافرين المعاندين. وفيها تخويف لكفار قريش وإنذارهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وعليه؛ فإن دعوة الرسل والأنبياء إلى التوحيد حق وإنكار ما جاء به الرسل والأنبياء وتكذيبه باطل. فالله تعالى ينصر أنبياءه ورسله؛ لأنهم يدعون إلى الحق ويهزم أعداءه وأعداء رسله ويعذبهم؛ لأنهم على باطل.

3- تضرع امرأة فرعون إلى رب العالمين في مقام الطمع في الجنة والنجاة من ظلم فرعون وقومه:

دعت امرأة فرعون رب العزة مخلصاً أن تكون من عباده المخلصين المتقين وأن يكرمها بمنزلة عالية في جنته التي وعد بها عباده المتقين. قال تعالى: "وضرب الله مثلاً للذين

<sup>1</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 17/19.

آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين"<sup>(1)</sup>.

أنكرت امرأة فرعون كفر زوجها ( فرعون ) وقومه، فكانت من عباد الله الصالحين الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا ما أتى به رسوله ونبيه موسى عليه السلام.

في الآية بيان لحقيقة إيمان امرأة فرعون وصدقها فيه، فقد تضرعت مخلصاً إلى الله تعالى أن يجعلها من عباده المتقين المقربين في جنات النعيم. ظهر صدقها في تضرعها، فقد طلبت من الله، مظهرة عبوديتها الخالصة له، أن تكون من عباده المقربين الذين وعدهم الله تعالى بالمنزلة العالية في الجنة وأن ينجيها من فرعون وقومه؛ لأنهم ظالمون.

ووصف الله تعالى فرعون وقومه بالظالمين؛ لأنهم لم يؤمنوا به. فالشرك بالله أو إنكار وجوده ظلم عظيم. والظلم صفة فرعون؛ لأنه أنكر وجود الله وأدعى الألوهية لنفسه وصفة قومه الذين ناصروه وأيدوه.

آثرت امرأة فرعون الإيمان بالله تعالى وتحملت عذاب فرعون؛ لأنها تعلم علم اليقين أن ما عند الله في جنته أفضل من نعيم فرعون وقصوره في الدنيا، ولأنها تعلم، أيضاً، أن الله تعالى سيدمر فرعون وقومه وسيهلكهم.

#### • التحليل النحوي للآية :

سُبقت جملة متم النداء ( ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ) بجملة فعلية ( ضربَ الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون)؛ ففي هذا السبق تكريم لامرأة فرعون التي أنكرت كفر زوجها وقومه فأعلنت عبوديتها الخالصة لله تعالى دون غيره، وأخلصت ولاءها لربها ورب الناس أجمعين. أما جملة متم النداء ( ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ) فهي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " ابنِ ". والأمر في الفعل " ابنِ " يمثل تضرع امرأة فرعون إلى رب العالمين وتذللها إليه.

<sup>1</sup> - سورة التحريم. آية ( 11 ) .

أظهرت امرأة فرعون عبوديتها الخالصة لله تعالى وأعلنت ولاءها له دون فرعون وقومه، وفضلت المنزلة العالية في جنته على قصور فرعون ونعيمه الزائل في الدنيا؛ لأنها تعلم أن نعيم الدنيا والآخرة لله تعالى وحده، وهو الجدير بالعبودية والطاعة والولاء. وجملة "نجني من فرعون وعمله" هي جملة فعلية أخرى معطوفة على جملة متمم النداء. وفيها تطلب امرأة فرعون من رب العالمين النجاة من فرعون وعمله. فهي تُظهر، في هذا الدعاء، براعتها من كل شيء يتعلق بفرعون؛ لأنه كافر وكل شيء يتعلق به باطل وفساد. أما الجملة الفعلية "نجني من القوم الظالمين" فهي أيضاً جملة فعلية معطوفة على الجملتين السابقتين. وفيها تطلب امرأة فرعون من رب العالمين النجاة من قوم فرعون الذين آمنوا بفرعون وناصروه على الباطل؛ فهم طغاة مثل فرعون ولا يستحقون الولاء والانتساب إليهم هلاك وضياع. فالمؤمن ينتسب إلى خالقه الواحد القهار وهو الجدير بالعبودية والولاء<sup>(1)</sup>.

#### • التحليل التداولي للآية :

#### • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت: سبق أسلوب النداء في الآية بقوله تعالى: " وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون"، ولهذا السبق معنى تداولي هو تكريم امرأة فرعون التي آمنت بالله تعالى وأخلصت العبودية له. لقد هداها الله تعالى إلى عبادته وطاعته، واختارها لتكون في الفئة المؤمنة التي خصها الله برضوانه وجنته في الآخرة.

ويظهر البعد التداولي للنداء في الآية في استعمال فعلي الأمر: " إين" و "نجني" . ففي استعمال فعل الأمر " إين" معنى تداولي هو تفضيل عيش الآخرة على عيش الدنيا. فامرأة فرعون أثرت نعيم الله تعالى وفضله الدائم في جنته في الآخرة على نعيم الدنيا ومتاعها لأنه زائل. وفي تكرار الفعل الأمر "نجني" معنى تداولي هو إقرار امرأة فرعون بقدرة الله تعالى

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج8/268، 269، 270.

المطلقة في تدمير الأقوام الكافرة الظالمة وهلاكها، فهي تطلب من ربها متوسلة إليه أن تكون من عباده الصالحين الناجين من عذابه في الدنيا والآخرة. فالمؤمنون أولياء الله وأصفياءه وهم الناجون من عذابه في الدنيا والآخرة. وامرأة فرعون واحدة من عباد الله المخلصين الذين خصهم الله برحمته ونصره وتأييده وتكريمه في الدنيا والآخرة.

في الآية تعريض بملك فرعون الزائل وسلطته الناقصة المزيفة. فالملك كله لله تعالى الواحد القهار الذي له ما في السموات والأرض وهو الغني الحميد.

ويظهر من مقام النداء في الآية أن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب. فكفر فرعون لم يُنقص إيمان امرأته ويفسده، وإيمان نوح ولوط، عليهما السلام، لم يشفع لزوجتيهما الكافرتين. فكل إنسان خلقه الله تعالى سيحاسب على عمله. وحسب الإنسان ونسبه وماله لا يغني عنه شيئاً يوم القيامة.

يتضح من التحليل التداولي لنداء " رب " أن هذا النداء في مجمله هو دعاء وتضرع من العبد المخلوق الضعيف وبخاصة المؤمن إلى الله تعالى، جلّت قدرته، في مقامات متعددة ومختلفة. ولمعرفة المعاني التداولية المتولدة من هذا الأسلوب وعناصره لا بُدّ لنا من الوقوف على مقام كل أسلوب منها ومعرفة ظروف استعماله.

### **المطلب الثاني : نداء لفظ " رب " المضاف إلى " نا " المتكلمين :**

ورد نداء لفظ " رب " المضاف إلى " نا " المتكلمين في القرآن الكريم في ستة وستين موضعاً. تركز هذا النداء في محورين أساسيين ، هما: دعاء الأنبياء والرسل والصالحين (دعاء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، دعاء آدم وحواء، دعاء عيسى للحواريين، دعاء موسى وأخيه هارون، دعاء شعيب، دعاء جنود طالوت، دعاء الحواريين ، دعاء الفئة المستضعفة من المؤمنين، دعاء الربيين، دعاء الفئة المخلصة من المؤمنين، دعاء السحرة الذين آمنوا مع سيدنا

موسى، دعاء الفئة المؤمنة من قوم موسى، دعاء أهل الكهف، دعاء عباد الرحمن، دعاء الملائكة للفئة المؤمنة). أما المحور الثاني، فهو دعاء الفئة الكافرة والمنافقة.

تركز نداء " ربنا " في المحور الأول. فقد نادى الأنبياء والرسل والصالحون ربّ العالمين في خمسين موضعاً في القرآن الكريم. أما نداء ( دعاء ) الفئة الكافرة فقد ورد في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم.

اختارت الدراسة من هذا النداء موضعين، لكل موضع منهما مقامه الخاص وظروف استعماله.

• التحليل النحوي لنداء " ربنا " :

• نحوية المنادى " ربّ " :

المنادى " ربّ " هو منادى مضاف أُضيف إلى ضمير المتكلمين " نا " <sup>(1)</sup>. والمنادى

المضاف " ربّ " إلى " نا " المتكلمين واحدٌ من المناديات المعرفة التي استعملت في مقامات معينة. ولهذا الاستعمال قصدية موجهة؛ فالمؤمن يدعو ربّه، متضرعاً متوسلاً متذللاً إليه في مقام معين .

• التحليل التداولي لنداء " ربنا " :

• تداولية حذف حرف النداء من هذا النداء :

لم يُذكر حرف النداء في كل مواضع هذا النداء. والأصل أن يُنادى المنادى " رب "

بحرف النداء " يا " ؛ لأنه الحرف الذي وضع أصلاً للنداء. ولا يُقدر عند الحذف سواه .

حُذف حرف النداء في هذا النداء لمعنى تداولي هو إيمان واعتقاد الفئة المؤمنة بأن الله

تعالى قريب منها في السراء والضراء يسمع نداءها وتضرّعها وتذلّلها وانكسارها إليه. فمقام هذا

النداء يناسبه حذف الحرف وعدم ذكره.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج7/345 .

• تداولية المنادى " رب " :

استعمل لفظ " رب " في هذا النداء دون غيره من الألفاظ التي تدل على وحدانية الله تعالى وربوبيته لمعنى تداولي هو إقرار الفئة المؤمنة (الأنبياء والرسل والصالحين) بعبوديتها التامة لله تعالى الواحد القهار وإظهار ولائها له، فهو رب الأرباب الواحد القهار الجدير بالعبودية والولاء.

• تداولية المضاف إليه " نا المتكلمين " :

استعمل ضمير المتكلمين " نا " الدال على الفئة المؤمنة ( الأنبياء والرسل والصالحين) لمعنى تداولي هو تخصيص هذه الفئة بالعبودية والولاء لله تعالى. فالفئة المؤمنة هي الفئة التي أقرت بوحداية الله تعالى وأظهرت عبوديتها الخالصة له وأعلنت ولاءها المطلق لرب العالمين. فالله تعالى هو الخالق الجبار وكل الخلق عبيد له فهو الجدير بالعبودية.

1- تضرع أصحاب الكهف إلى الله تعالى في مقام طلب الرحمة والرشد :

خاطب أصحاب الكهف ( الفتية الذين هربوا من ظلم الملك الجبار الكافر ) رب العالمين متضرعين إليه أن يرحمهم ويجعلهم من الراشدين المهتدين. قال تعالى : " إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهدياً لنا من أمرنا رشداً " (1).  
في الآية إشارة إلى قصة أهل الكهف وهم الفتية الذين آمنوا برب العالمين ورفضوا أن يكونوا من أتباع الملك الجبار الكافر الذي كان يحكم البلدة التي يعيشون فيها. لقد أمرهم هذا الملك أن يعبدوا الأصنام من دون الله تعالى لكنهم رفضوا ذلك وثبتوا على موقفهم وإيمانهم (2).  
لقد منّ الله تعالى عليهم بأن يهربوا من هذا الملك الظالم وأن يعصمهم من بطشه؛ فألجأهم إلى كهف منيع حينها طلبوا من الله تعالى أن يعطيهم من خزائن رحمته الخاصة مغفرة ورزقاً وأن يصلح لهم أمرهم كلّهم وأن يجعلهم من الراشدين المهتدين (3).

1 - سورة الكهف . آية ( 10 ) .

2 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 169/2، 170 .

3 - انظر: المرجع السابق، 169 / 2، 170 .

## • التحليل النحوي للآية :

أكرم الله تعالى أصحاب الكهف ( الفتية المؤمنین ) الذين هربوا من ظلم الملك الكافر، فأقدرهم الله على الهروب منه وألجأهم إلى كهف حريز منيع. فبعد أن شعر هؤلاء الفتية بالأمن والأمان دعوا الله تعالى مخلصين أن يتولاهم برحمته الواسعة وأن يجعلهم من الراشدين المتبعين لدين الحق وأن يثبتهم على طريق الفلاح والرشاد والهداية.

سُبق أسلوب النداء في الآية الكريمة بجملة فعلية حُذِفَ فعلها؛ فتقدير الكلام: اذكر حين التجأ الفتية إلى الكهف وجعلوه مأواهم. تتضمن هذه الجملة تكريماً خاصاً لهؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، فقد أنعم الله تعالى عليهم بأن حماهم من ظلم الملك وبطشه فألجأهم إلى الكهف المنيع وجعله بيئة مناسبة لإقامتهم الدائمة فيه<sup>(1)</sup>.

جملة متمم النداء في الآية الكريمة هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " آتتا " وتتضمن هذه الجملة طلب الفتية الأول وتضرعهم إلى الله تعالى. فقد طلبوا من الله تعالى أن يتكفلهم برحمته الواسعة المتمثلة في الأمن والأمان والمغفرة والرزق الكريم<sup>(2)</sup>.

أما الجملة الفعلية الثانية المعطوفة على جملة متمم النداء ففيها عطف الأمر الثاني ( هيئ ) على الأمر الأول ( آتتا ) وفيه يتضرع الفتية إلى رب العالمين أن يرشدهم إلى الطريق القويم في كل أمر من أمور حياتهم وأن يثبتهم على الإيمان والتقوى والهداية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 507/4.

<sup>2</sup> - المرجع السابق. مج 507/4 ، 508. وانظر: الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم 343/3.

<sup>3</sup> - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 508/4.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

سُبق أسلوب النداء في الآية بذكر مكرمة من المكارم التي أعطاها الله تعالى للفتية المؤمنين وهي الجأؤهم إلى الكهف المنيع. شاعت حكمة الله تعالى واقتضت قدرته أن يلجأ هؤلاء الفتية إلى الكهف حفاظاً على دينهم وأنفسهم.

وينكشف الوجه التداولي للنداء في هذه الآية في استعمال فعلي الأمر: "أتنا"، و"هيئ"، ففي استعمال فعل الأمر "أتنا" معنى تداولي هو تخصيص العطاء والمنح للفتية المؤمنين؛ فقد خصهم الله تعالى بالرحمة الواسعة (المغفرة والرزق والأمن والأمان)<sup>(1)</sup>. وفي استعمال فعل الأمر "هيئ" معنى تداولي هو تهيئة هؤلاء الفتية إلى الوضع الجديد (الإقامة في الكهف). فقد جعل الله تعالى كهفهم بيئة مناسبة لإقامتهم فيه. إن مكوث هؤلاء الفتية في الكهف مدة طويلة آية باهرة على قدرة الله تعالى المطلقة ودليل ساطع على جبروته وعظم ملكه.

وتظهر تداولية النداء في هذه الآية في استعمال بعض الكلمات، ففي تكرير كلمة "رحمة" معنى تداولي هو شمولية الرحمة وسعتها. فقد طلب الفتية من ربهم أن يشملهم برحمته الواسعة وأن يجعلهم من عباده المخلصين. وفي استعمال شبه الجملة "من لذك" معنى تداولي هو إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في كل شيء فهو المعطي دون غيره. فعطاؤه مطلق ورحمته واسعة وسعت كل شيء. وفي استعمال الاسم الظاهر المعرف "الفتية" معنى تداولي هو بيان القوة النفسية والبدنية للفتية المؤمنين. فمن صفاتهم "الفتوة وسداد الرأي وثبات الجأؤ"<sup>(2)</sup>.

ويمكن القول أن الله تعالى أمات أهل الكهف (الفتية) مدة طويلة من الزمن (بالكيفية التي ذُكرت في القرآن الكريم) ثم أحياهم؛ ليراهم الناس، في ذلك الوقت، ثم أماتهم ليكونوا آية باهرة دالة على قدرة الله تعالى المطلقة في إحياء الخلق وإماتتهم. إن قصة أصحاب الكهف

<sup>1</sup> - انظر: الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم. 343/3.

<sup>2</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 266/15.

حجة واضحة ودلالة قاطعة على إمكان البعث والنشور فإنّ القادر على بعث أهل الكهف بعد نومهم ثلاثمائة عام قادر على بعث الخلق بعد مماتهم "(1). فَبَعَثُ الخلق كُلَّهُم يوم القيامة حقيقة ثابتة من حقائق الوجود وقد فُصِّل أمر هذه الحقيقة في القرآن الكريم. فالإيمان بهذه الحقيقة حق. والبعث آية دالة على قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه.

ويتبين من مقام النداء في الآية أنّ الله تعالى يتولى عباده المؤمنين بالرحمة والمغفرة والهداية. فأهل الكهف يمثلون نموذجاً صادقاً للفئة المؤمنة الصادقة الصابرة، فقد تولاهم الله تعالى برحمته ومغفرته وهدايته.

## 2- تضرّع عباد الرحمن في مقام طلب الذرية الصالحة وتحصيل الإمامة :

خاطب عباد الرحمن ربّ العالمين متوسلين إليه أن يرزقهم الذرية الصالحة التي تطمئن بها نفوسهم ويُصلح حالهم وأن يجعلهم قدوة حسنة لغيرهم من المؤمنين في الإيمان والتقوى والصلاح. قال تعالى: "والذين يقولون ربّنا هبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً"(2).

في الآية أمران تضرّع بهما عباد الرحمن إلى الله تعالى. طلب عباد الرحمن من رب العالمين أن يرزقهم الذرية الصالحة ( الأزواج والأولاد ) التي تطمئن بها نفوسهم وتسرُّ بها حالهم. أما الأمر الثاني فهو طلبهم بأن يجعلهم الله تعالى قدوة حسنة للمتقين في تأدية العبادات والطاعات وأعمال الخير التي أمرهم الله تعالى بها.

### • التحليل النحوي للآية :

سُبِق أسلوب النداء في الآية بجملة اسمية مُصدّرة بالاسم الموصول " الذين ". يدل هذا الاسم على عباد الرحمن الذين يدعون الله تعالى مراراً وتكراراً ويتضرعون إليه في كل حين طالبين أن يكونوا من عباده المخلصين الذين وعدهم الله تعالى جنات النعيم(3).

1 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 171/2.

2 - سورة الفرقان. آية ( 74 ).

3 - انظر الإعراب في : الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج5/538.

جملة متمم النداء في الآية هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " هب"، وفيها يطلب عباد الرحمن من الله تعالى أن يهبهم الذرية الصالحة التي تطمئن بها نفوسهم؛ فذرية المؤمن الصالحة "جامعة للكمال في الدين واستقامة الأحوال في الحياة إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بأزواج وأبناء مؤمنين"<sup>(1)</sup>.

أما الجملة الفعلية المعطوفة على جملة متمم النداء، ففيها عطف الأمر الثاني " اجعلنا " على الأمر الأول " هب " وفيه يطلب عباد الرحمن من رب العزة أن يكونوا قدوةً يقتدي بهم المتقون، ودعاةً إلى الخير هداة مهتدين<sup>(2)</sup>.

#### • التحليل التداولي للآية:

#### • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

تظهر تداولية النداء في هذه الآية في استعمال الاسم الموصول (الذين)، ففي استعماله معنى تداولي هو التعريف بعباد الرحمن وتكريمهم، فهم الفئة المخلصة التي أخلصت في عباداتها وطاعاتها إقراراً بعبوديتها التامة لله تعالى . وقد خصّها الله تعالى بالصفات الطيبة وهم قدوة حسنة في العبادات والطاعات وأعمال الخير.

ويظهر البعد التداولي للنداء أيضاً في استعمال الأفعال: " يقولون" و " هب" و " اجعلنا"، ففي استعمال صيغة الفعل المضارع " يقولون " معنى تداولي هو مداومة العبادات والطاعات والاستمرار في تأديتها. فعباد الرحمن يدأبون في تأدية العبادات والطاعات. لذا؛ فإن صيغة المضارع الواردة في الآية تناسب دأبهم في تأدية العبادات والطاعات. ففي استعمال الفعل " هب " معنى تداولي هو تعظيم المُعطي رب العالمين. فعطاؤه غير محدود ونعمه كثيرة لا تُعد ولا تحصى وخيره عميم شمل كل شيء خلقه. ففي استعمال الفعل " اجعلنا " معنى تداولي هو

<sup>1</sup> - المرجع السابق. مج 5/538 ، 539. ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 81/18.

<sup>2</sup> - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 5/539. وانظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، 340/2 .

تكريم عباد الرحمن بصفة الإمامة. فقد كرمهم الله تعالى بالإمامة؛ فجعلهم قدوة لغيرهم في العبادات والطاعات وأعمال الخير.

ويظهر من مقام النداء أن كثرة الدعاء عبادة يتقرب بها العبد المؤمن من ربه في السراء والضراء، وهي من الصفات الحسنة التي خصّ الله تعالى بها عباد الرحمن. ومن المكاسب التي يكسبها المؤمن بسبب إخلاصه في الدعاء الذرية الصالحة التي تطمئن بها نفسه وهي عون له في الدنيا على الخير، ودعاؤها له بعد موته عمل صالح يُثاب عليه. فالذرية الصالحة نعمة للعبد المؤمن ينتفع بها في الدنيا والآخرة.

يتبين مما سبق أن نداء "ربنا" هو تضرّع وتذلل وانكسار من عباد الله المؤمنين إلى الله تعالى. إن تضرّع عباد الله المؤمنين يكشف عن عبوديتهم الخالصة لله تعالى، وبديل، أيضاً، على إقرارهم بوحداية الله تعالى وبقدرته المطلقة في كل شيء خلقه.

أما تضرّع الكفار والمنافقين فهو باطل لا يُستجاب له؛ لأنه يصدر عن فئة كافرة غير موحدة لا تقر بوحداية الله تعالى، وهو دعاء متأخر يلجأ إليه الكفار يوم القيامة (بعد فوات الأوان) طمعاً في النجاة من عذاب الله تعالى.

فدعاء المؤمن مستجاب؛ لأنه عبادة تكشف عن عبوديته التامة لخالقه الواحد القهار. أما دعاء الكافر فلا يُستجاب له؛ لأنه يصدر عن إنسان كافر (غير موحّد). إن دعاء المؤمن حق؛ لأنه يؤمن بالحق سبحانه وتعالى. أما دعاء الكافر فهو باطل؛ لأنه لا يؤمن بالحق سبحانه وتعالى.

إن التحليل التداولي لنداء "ربنا" يكشف عن المعاني التداولية المتولدة من مقامات هذا النداء. فكل عنصر من عناصر هذا النداء يمكن لنا أن نحلله تحليلاً تداولياً مستعينين بمقام هذا النداء وظروف استعماله.

#### • **المطلب الثالث: نداء لفظ "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم:**

ورد نداء لفظ "قوم" المضاف إلى ياء المتكلم في القرآن الكريم في خمسة وأربعين موضعاً. تركز هذا النداء في محورين أساسيين، هما: نداء الأنبياء والرسل لأقوامهم (دعوتهم إلى التوحيد). نادى الأنبياء والرسل (موسى، محمد، إبراهيم، نوح، لوط، هود، صالح، شعيب

عليهم السلام) أقوامهم في مقام دعوتهم إلى التوحيد ( الإقرار بوحداية الله تعالى وحده لا شريك له ). ويندرج في هذا المحور نداء الرجل المؤمن من قوم فرعون لقومه. ويمكن القول أن نداء " قوم " تركز في هذا المحور. أما المحور الثاني، فهو نداء فرعون لقومه. وقد ورد هذا النداء في موضع واحد فقط.

اختارت الدراسة من هذا النداء موضعين لكل واحد منهما مقامه الخاص فيه.

#### • التحليل النحوي لنداء " قوم " :

#### • نحوية حرف النداء " يا " :

استعمل في نداء " قوم " حرف النداء " يا ". وهو حرف يُستعمل لنداء البعيد (1). ولم يُحذف هذا الحرف " يا " في كل مواضع نداء " قوم".

#### • نحوية المنادى المضاف " قوم " إلى ياء المتكلم:

ورد المنادى المضاف " قوم " إلى ياء المتكلم في كل مواضعه في القرآن الكريم محذوف الياء ( ياء المتكلم ) المضافة إليه. ولهذا الحذف سببه؛ فقد علل سيبويه هذا الحذف بقوله: " اعلم أن ياء الإضافة لا تثبت مع النداء وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء " (2).

يتضح من رأي سيبويه في هذه المسألة أن العرب حذف ياء المتكلم ( ياء الإضافة ) وأبقت الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة بسبب كثرة الاستعمال عندهم. وهذا هو الوصف (التفسير ) النحوي لهذا التغيير. أما التفسير الصوتي لهذا التغيير فهو تقصير الحركة الطويلة (الياء) إلى حركة قصيرة (الكسرة). فالياء لم تُحذف بل قُصرت الحركة الطويلة (الياء) وجعلت حركة قصيرة (الكسرة) (3).

1 - انظر: ابن هشام، عبدالله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . 36/2 مبحث "يا".

2 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 209/2.

3 - انظر: استنبئية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 553.

• التحليل التداولي لنداء "قوم":

• تداولية حرف النداء " يا ":

ذُكر حرف النداء "يا" في كل مواضع نداء " قوم " لمعنى تداولي هو إنكار أقوام الأنبياء والرسل لدعوتهم ( الدعوة إلى التوحيد ). فقد ابتعدت الأقسام السابقة ( قوم محمد ونوح وإبراهيم وصالح وهود وشعيب ولوط وموسى عليهم السلام أجمعين ) عن أنبيائها ورسالتها ابتعاداً نفسياً ودينياً يدل على شدة إنكارها لدعوة التوحيد ( الإقرار بوحداية الله تعالى)؛ لذا فإن الإنكار يناسبه استعمال حرف النداء " يا " .

• تداولية المنادى " قوم ":

في استعمال لفظ " قوم " في هذا النداء معنى تداولي هو شدة حرص الأنبياء والرسل على إيمان أقوامهم وخوفهم عليهم من عذاب الله تعالى، لذا فقد اجتهد الأنبياء والرسل في دعوة أقوامهم إلى دين الله تعالى. وأما المعنى التداولي الذي يمكن استنتاجه من تقصير الحركة الطويلة ( الياء ) في نداء " قوم " هو شدة حب الأنبياء والرسل لأقوامهم وحرصهم الزائد على نجاتهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة ( شدة قرب الأنبياء والرسل من أقوامهم )<sup>(1)</sup>.

1- نداء سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، لقومه في مقام تهديدهم ووعيدهم:

خاطب سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، قومه ( قريش ) مهدداً لهم بالعاقبة السيئة (الخلود في نار جهنم يوم القيامة)؛ لأنهم أصرّوا على كفرهم وعنادهم وآثروا عبادة الأصنام (دين الآباء والأجداد على حد زعمهم واعتقادهم) على عبادة الله تعالى الواحد القهار. قال تعالى: " قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون "<sup>(2)</sup>.

أمر سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، بوحى من ربّ العزة جلت قدرته قومه (قريش ) أن يستمروا في كفرهم وعنادهم. فالمعنى الوارد في الآية: " اثبتوا على كفركم

<sup>1</sup> - انظر: المرجع السابق. ص 553.

<sup>2</sup> - سورة الأنعام. آية ( 135 ).

وعداوتكم لي ولديني، فأني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم<sup>(1)</sup>. في أمر الرسول الكريم ( اعملوا ) تهديد ووعيد لقومه الذين أصروا على كفرهم ومعاندتهم للحق. فهم الخاسرون في نهاية الأمر؛ لأن العاقبة للمتقين الذين يؤمنون بالله تعالى ويخافونه. أما الظالمون ( الذين أشركوا بالله تعالى وكفروه ) فمأواهم النار خالدين فيها. من هؤلاء الظالمين قوم قريش الذين عبدوا الأصنام دون عبادة الله تعالى وأصروا على كفرهم ومعاندتهم للحق<sup>(2)</sup>.

#### • التحليل النحوي للآية:

سُبق أسلوب النداء في الآية بفعل الأمر " قل " وهو خطاب استعلائي من الله تعالى إلى رسوله الكريم تثبيتاً له على الحق ونصراً لموقفه الثابت في دعوته إلى دين الله ( التوحيد). جملة متمم النداء في الآية هي جملة فعلية فعلها فعل الأمر " اعملوا " <sup>(3)</sup>. يدعو رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في هذا الأمر " اعملوا " قومه ( أهل قريش ) إلى الاستمرار في كفرهم وعنادهم؛ لأن مصيرهم النار وبئس القرار.

في الأمر " اعملوا " تهديد ووعيد لكفار قريش من الله تعالى على لسان رسوله الكريم<sup>(4)</sup>، فقد توعدهم الله تعالى بالهلاك والعذاب يوم القيامة. فللكفار قريش وأمثالهم الخسران في الدنيا والآخرة. فالله تعالى يثبت بالحق رسوله الكريم وينصره على الكافرين، وله الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ولأعدائه وأعداء الله تعالى ( الكافرين ) الخزي والندامة في الآخرة. فالعاقبة الحسنة المحمودة ( الجنة ) للمتقين. أما الكافرون فمصيرهم النار يصلونها ذليلاً مخزيين. وجملة: " إنه لا يفلح الظالمون " هي جملة اسمية مؤكدة بحرف التأكيد " إن " <sup>(5)</sup>. وهي " تذييل للوعيد ينتزل منزلة التعليل، أي لأنه لا يفلح الظالمون، ستكون عقبي الدار للمسلمين، لا لكم (المقصود كفار قريش)؛ لأنكم ظالمون " <sup>(6)</sup>.

1 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 229/4.  
2 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 389/1، 390.  
3 - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2 / 547، 548.  
4 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 389/1، 390.  
5 - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 2 / 548.  
6 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 93/8 بتصرف.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

يظهر البعد التداولي للنداء في الآية في استعمال فعلي الأمر: "قل" و "اعملوا"، ففي استعمال فعل الأمر " قل " خطاب استعلائي من ربّ العالمين إلى رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، ويتضمن هذا الخطاب معنى تداولياً هو تكريم الرسول الكريم وتشبيته على طريق الحق وطمأنته ونصره على أعداء الله تعالى وأعدائه. وفي استعمال فعل الأمر " اعملوا " معنى تداولي هو تهديد كفار قريش ووعيدهم<sup>(1)</sup>. وفيه، أيضاً، إظهار لليأس من امتثال كفار قريش لأمر الله والإيمان به<sup>(2)</sup>.

وتظهر تداولية النداء أيضاً في استعمال شبه الجملة " على مكانتكم"، ففي استعمالها معنى تداولي هو تسفيه حال كفار قريش؛ لأنهم أعرضوا عن الحق وكذبوا الرسول الكريم. وفي استعمال الجملة الاسمية المؤكدة بحرف التأكيد " إن " معنى تداولي هو ثبات الرسول الكريم على موقفه في دعوة أهل قريش إلى الإسلام. فهو على حق؛ لأنه يدعو إلى عبادة الحق سبحانه وتعالى. وفي استعمال الاسم المعرف " الظالمون " معنى تداولي هو ذم وتوبيخ أهل قريش الظالمين؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى. وقد وصفهم الله تعالى بالظالمين؛ لأنهم أشركوا به؛ فالشرك بالله ظلم عظيم. " والتعريف في كلمة " الظالمون " للاستغراق<sup>(3)</sup>؛ لأن صفة الظلم تشمل كل من أشرك بالله تعالى من الخلق. ولحذف مفعول الفعل " اعملوا " معنى تداولي هو تقبيح عمل أهل قريش وبيان بطلانه وسفاهته.

وللخطاب الرباني في قوله تعالى: " فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار " معنى تداولي هو إهلاك كفار قريش الظالمين؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يصدقوا رسالة رسوله

<sup>1</sup> - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود

وأخرون. 229/4.

<sup>2</sup> - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير 90/8.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، 93/8.

الكريم. فالكافرون الظالمون مصيرهم النار. أمّا الرسول الكريم والمؤمنون فهم عباد الله المكرمون الذين وعدهم الله تعالى بجنات النعيم.

وعليه، ففي الآية تكريم للنبي، صلى الله عليه وسلم، فهو الرسول المصطفى الذي اختاره الله تعالى وبعثه بالحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. لقد ثبت الله تعالى رسوله الكريم على الحق وأيده بالمعجزات والمكرّمات، ونصره على القوم الظالمين ( كفار قريش ومن شايعهم من اليهود والنصارى والمنافقين). وفيها " إبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال"<sup>(1)</sup>. فالقرآن الكريم نعمة كبيرة من الله تعالى بها على عباده المؤمنين وهو سبيلهم إلى الرشاد والهداية؛ فإذا ما طبقوه في حياتهم سعدوا في الدارين ( الدنيا والآخرة).

## 2- نداء نوح، عليه السلام، لقومه في مقام دعوتهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده:

دعا نوح، عليه السلام، قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وخوفهم من عذاب يوم القيامة؛ لأنه شديد ومهلك. قال تعالى: " لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"<sup>(2)</sup>.

تضمن النداء في الآية الكريمة أمراً واحداً هو دعوة قوم نوح، عليه السلام، إلى عبادة الله تعالى وإقرار الوجدانية له. اقتضت حكمة الله وشأته قدرته أن يصطفي نوحاً ويرسله إلى قومه مبلغاً لدينه. لكن قوم نوح أنكروا كل ما جاء به من رب العالمين وكذبوه؛ فأهلكهم الله تعالى بالطوفان ( الغرق) وأنجى نوح، عليه السلام، ومن معه في الفلك المشحون. قال تعالى: " قيل يا نوح اهبط بسلامٍ منا وبركاتٍ عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير ، 124/7.

<sup>2</sup> - سورة الأعراف. آية ( 59).

<sup>3</sup> - سورة هود. آية ( 48).

## • التحليل النحوي للآية :

سبق أسلوب النداء في الآية بجملة قسمية مؤكدة؛ فالمعنى : " والله لقد أرسلنا نوحاً"<sup>(1)</sup>. وتضمنت هذه الجملة حقيقة اختيار ربّ العالمين لنوح ليكون نبياً مرسلأً إلى قومه. وأكدت هذه الحقيقة بالقسم المحذوف وحرف التحقيق " قد "<sup>(2)</sup>.

جملة متم النداء في الآية هي جملة فعلية فعلها فعل أمر " اعبدوا "<sup>(3)</sup>. وفي هذا الخطاب الرباني " اعبدوا " يدعو نوح، عليه السلام، قومه إلى عبادة الله تعالى وإقرار الوجدانية له؛ فهو الخالق الواحد القهار المتفرد بالوجدانية، وعلى جميع البشر أن يعبدوه حق عبادته فلا تكون عبوديتهم إلا له سبحانه وتعالى. خُتمت الآية الكريمة بجملة تعليلية للأمر الرباني " اعبدوا "؛ فقد دعا نوح، عليه السلام، قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده خوفاً عليهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة، وهو ناصحٌ لهم يبين لهم طريق الحق ويرشدهم إلى ما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة. ظهرت حقيقة خوف نوح، عليه السلام، على قومه، وتكشف إشفاقه على حالهم في الجملة الاسمية المؤكدة في قوله تعالى: " إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم "<sup>(4)</sup>.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آتٍ:  
سبق أسلوب النداء في الآية بجملة قسمية مؤكدة ( لقد أرسلنا)؛ لمعنى تداولي هو تأكيد إرسالية نوح، عليه السلام، إلى قومه. فقد اصطفاه الله تعالى؛ ليكون نبياً يبلغ رسالة ربه عزوجل إلى قومه.

1 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 419/1.  
2 - انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج3/68.  
3 - المرجع السابق. مج 3 / 68، 69.  
4 - سورة الأعراف. من الآية (59). و انظر الإعراب في : الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 3/69.

وتظهر تداولية النداء في الآية في استعمال بعض الكلمات والجمل، ففي استعمال فعل الأمر "اعبدوا" معنى تداولي هو تنبيه قوم نوح إلى أهمية عبادة الله تعالى وتذكيرهم بها (1). وفي استعمال لفظ الجلالة "الله" معنى تداولي هو تعظيم الله سبحانه وتعالى. فهو الخالق الواحد القهار لا إله إلا هو الحي القيوم تعالت أسماؤه وتقدست صفاته. وفي قوله تعالى: "ما لكم من إله غيره" معنى تداولي هو إظهار عبودية نوح، عليه السلام، لله تعالى وإقراره بوحداية الله تعالى. امتثل نوح لأمر ربنا في دعوة قومه إلى عبادة الله واجتهد في ذلك؛ فأمر قومه بعبادة الله تعالى وتحمل المصاعب والمتاعب إرضاءً لله تعالى. فعبودية نوح، عليه السلام، وقومه وكل البشر لا تكون إلا لله تعالى الواحد الجبار. وفي قوله تعالى: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" معنى تداولي هو شدة خوف نوح، عليه السلام، على قومه وإشفاقه عليهم من عذاب رب العالمين يوم القيامة.

ويظهر من مقام الآية أن الله تعالى كرّم نوحاً عليه السلام ومن آمن معه بالنجاة من الطوفان، وسخر لهم الأرض ومهدّها بعد الطوفان لتكون بيئة مناسبة لعيثهم فيها. فالله تعالى يتولى عباده الصالحين بالرحمة والمغفرة والتأييد والنصر والنجاة من الهلاك، ولا يعمر أرضه إلا عباده الصالحون. فأول أساس من أساسيات استخلاف الإنسان في الأرض وإعمارها الإيمان والتقوى. أما الكافرون فمصيرهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

يتبين مما سبق أنّ نداء "قوم" يتضمن معنى تداولياً عاماً هو دعوة الأقسام على مر العصور إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وأنّ هذا المعنى تتولد منه معانٍ تداولية أخرى يمكن لنا أن نستنبطها بالنظر العميق في كل عنصر من عناصر هذا النداء مستندين إلى مقام هذا النداء (نداء "قوم") وظروف استعماله.

1 - انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون. 324/4.

• المبحث الرابع : نداء لفظ الجلالة ( الله ) بصيغة " اللهم " :

لم يرد نداء لفظ الجلالة ( الله ) بصيغة النداء: " ياالله" في القرآن الكريم، ولكنه ورد بصيغة " اللهم" في خمسة مواضع. تركز أسلوب النداء بصيغة " اللهم" في القرآن الكريم في محور واحد هو تضرّع الفئة المؤمنة (الأنبياء والرسل والمؤمنين) إلى الله تعالى وتذللها إليه. اختارت الدراسة موضعين من صيغة النداء " اللهم" ، لكل موضع منهما مقامه الخاص فيه.

• التحليل النحوي لصيغة النداء " اللهم":

اختلف النحويون في بيان حقيقة هذه الصيغة؛ " فذهب البصريون إلى أنّ هذه الصيغة تتكون من لفظ الجلالة ( الله) والميم، وأنّ الميم عوض من " يا" التي للتنبيه، والهاء مضمومة؛ لأنه نداء، ولهذا لا يجوز أن يجمعوا بينهما، فلا يقولون " يا اللهم" لئلا يجمعوا بين العوض والمعوض. وذهب الكوفيون إلى أنها ليست عوضاً من "يا" وإنما الأصل فيه " يا الله أمّا بخير" إلا أنه لما كثّر في كلامهم، وجرى على ألسنتهم، حذفوا بعض الكلام تخفيفاً. واستدلوا على ذلك بقولهم:

إني إذا ما حدّث أماً أقول: يا اللهمّ ، يا اللهمّ

فجمع بين "الميم" و"يا" ولو كانت عوضاً عنها لم يجمع بينهما، لأن العوض والمعوض لا يجتمعان<sup>(1)</sup>.

وترى الدراسة أن رأي البصريين في المسألة أقرب إلى الصواب؛ لأن صوت الميم في صيغة " اللهم" أدى معنيين، هما: التنبيه ( التضرع إلى الله) والتعظيم ( تعظيم الخالق سبحانه وتعالى).

• تداولية صيغة النداء " اللهم":

لصيغة النداء " اللهم" بعد تداولي واضح، وتظهر حقيقة هذا البعد في أمرين:

1- حذف حرف النداء "يا". الأصل أن ينادى لفظ الجلالة ( الله) بحرف النداء "يا". لكنّ هذا الحرف حذف لمعنى تداولي هو تقريب المنادى ( الله تعالى) من النفس. فالعبد المؤمن ينادي

<sup>1</sup> - الأنباري، عبد الرحمن محمد . أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار. ص 232، 233.

رب العالمين عز وجل، وهو يعلم علم اليقين أنّ الله سبحانه وتعالى قريب منه في كل الأحوال (في كل زمان ومكان). ففي الدعاء يستشعر العبد المؤمن عظمة الله تعالى ويتيقن من إجابته.

2- وجود حرف الميم في صيغة النداء "اللَّهُمَّ". لحرف الميم دلالة الجمع. ولا يُقصد بهذا الجمع العدد الكثير المتعارف عليه في الجموع. ولكنه الجمع المطلق الذي له دلالة التعظيم وعلو المنزلة. فصوت الميم في صيغة النداء "اللَّهُمَّ" له معنى تداولي هو تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وإعلاء شأنه فهو الخالق الواحد الجبار تعالت قدرته وتقدست صفاته وأسماءه.

### 1- تضرّع المؤمنين في الجنة إلى الله تعالى في مقام تسبيحه وتعظيمه وتحميده:

يتضرّع المؤمنون (عباد الرحمن) في الجنة إلى الله تعالى مُعظمين لذاته ومقدّسين لصفاته وأسمائه، فهو الخالق العظيم سبحانه وتعالى لا إله إلا هو العليّ القدير. قال تعالى: "دعواهم فيها سبحانك اللهمّ وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين" (1). في الآية الكريمة وصف لحال المؤمنين في الجنة، فهم دائمو التسبيح والتعظيم لذاته جلّت قدرته، وهو المنزّه عما سواه في صفاته وأسمائه وهو الفرد الصمد الواحد الأحد مالك الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

فكلامهم في الجنة (التسبيح) يليق بمكانتهم العالية التي كرمهم بها الله تعالى ويتفق مع عظمة خالقهم وقدرته المطلقة. ومن الأوصاف التي يتصف بها أهل الجنة (المؤمنون)، أيضاً أنهم يتبادلون تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فيما بينهم وهي التحية التي تدل على الأمن والطمأنينة والسكينة والوقار وقد تميزت بها الفئة المؤمنة دون غيرها من الخلق. ودعاء المؤمنين لله تعالى، جلّت قدرته، وتقديسهم له لا يتوقف ولا ينقطع. فهم يبدأونه بالتسبيح والتقدّيس وينهونه بتحميد الله تعالى وتمجيده.

فتضرّع المؤمنون في الجنة لا يتوقف ولا ينقطع. فدعواؤهم المستمر يدل على قوة إيمانهم بالله تعالى وصدق عبوديتهم الخالصة لوجهه الكريم عز وجل.

<sup>1</sup> - سورة يونس. آية (10).

## • التحليل النحوي للآية :

تتكون الآية الكريمة من ثلاث جمل: الأولى ( دعواهم فيها سبحانه اللهم ) وهي جملة اسمية؛ لأن تقدير الجملة: دعواهم فيها التسبيح أو دعواهم فيها قولهم سبحانه. وصيغة النداء (اللهم) في الجملة تدل على صفة عامة من صفات المؤمنين في الجنة وهي صفة الدعاء. فالمؤمنون في الجنة دائمو الدعاء وبه يتضرعون إلى الله تعالى في كل أمر من أمورهم وبه تظهر عبوديتهم الخالصة له سبحانه وتعالى.

والجملة الثانية في الآية ( وتحيتهم فيها سلام ) هي جملة اسمية معطوفة على الجملة الأولى وتكشف هذه الجملة عن صفة أخرى من صفات المؤمنين في الجنة. فهم عباد مكرمون كرمهم الله تعالى بتحية خاصة تميزهم عن غيرهم هي تحية الإسلام ( السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ولهذه التحية دلالة الأمن والأمان والطمأنينة والرحمة والخير. أما الجملة الثالثة (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فهي جملة اسمية معطوفة على الجملتين السابقتين<sup>(1)</sup>، وتعني: دعاء المؤمن كله خير فهو يبدأ بتعظيم الخالق جلت قدرته وينتهي بتحميد الله تعالى وتمجيده، فدعاؤه كله خير؛ لأنه مستجاب وبه تظهر عبودية المؤمن الخالصة لله تعالى.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:  
تظهر تداولية النداء في هذه الآية في استعمال صيغة النداء " اللهم " وفي استعمال الكلمتين: " سلام " و " الحمد ". ففي قوله تعالى: " سبحانه اللهم " معنى تداولي هو تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتنزيهه عما سواه واستشعار المؤمن بشدة قرب الله تعالى منه في كل أمر من أمور حياته، فهو أقرب إليه من حبل وريده وهو الفعّال لما يريد. وفي استعمال كلمة " سلام " معنى تداولي هو إظهار صفة من صفات الله تعالى وهو السلام وهو القادر على تهيئة بيئة ملائمة لعباده المؤمنين، فجنّتهم بيئة آمنة يسودها العدل والأمن والطمأنينة والسلام. وفي

<sup>1</sup> - انظر الإعراب في: الكرباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 3/476، 477.

استعمال كلمة " الحمد " معنى تداولي هو إظهار صفة من صفات الله عز وجل وهي صفة الحمد فهو الخالق الحميد الذي يستحق التحميد والتمجيد والشكر. فشكر العبد المؤمن لا يكون إلا لله الخالق الغني الحميد.

ويمكن القول أن كثرة الدعاء والاستمرار فيه صفة من صفات المؤمنين وهي من صفاتهم التي يتصفون بها في الجنة. فالدعاء روح العبادة وهو يكشف عن عمق إيمان هذه الفئة وصدقها. فالمؤمن لا يدعو إلا الله تعالى، فهو الواحد القهار القادر على فعل كل شيء، واستجابته للمؤمن حاصلة محققة؛ لأن المؤمن من عباده المقربين الذين خصهم بالرحمة والخير والعطاء، فهم عباد مكرمون في الدنيا والآخرة. وعليه؛ فالمؤمن يتضرع إلى الله تعالى باستعمال صيغة النداء " اللهم؛ لأنها صيغة جامعة لصفات الله تعالى. فعندما يقول المؤمن: " اللهم " فهو يستحضر جميع صفات الله عز وجل ويدعوه بها.

2- تضرّع الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، إلى الله تعالى في مقام الحكم بينه وبين المشركين:

أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يتضرع إليه إظهاراً لحكم الله تعالى العادل في البشر في الدنيا والآخرة. قال تعالى: " قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون" (1).

في الآية الكريمة أمر استعلائي من الله تعالى إلى رسوله الكريم. فقد أمره عز وجل أن يتضرع إليه انتصاراً لدينه وإظهاراً لصدقه في دعوته إلى دين الحق سبحانه وتعالى. فبعد أن أنكر كفار قريش نبوة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وأصروا على كفرهم ومعاندتهم للحق أمر الله تعالى رسوله الأمين أن يتضرع إليه بكل صفاته الحسنى وأسمائه المقدسة؛ ليحكم بينه وبين أعدائه وأعداء الله تعالى ( كفار قريش ) في الدنيا والآخرة.

<sup>1</sup> - سورة الزمر. آية ( 46 ).

## • التحليل النحوي للآية:

سُبِّقَتْ صِيغَةُ النِّدَاءِ " اللَّهُمَّ " بِفِعْلِ الْأَمْرِ " قُلْ " (1) وَهُوَ خِطَابٌ (أَمْرٌ) اسْتِعْلَائِيٌّ مِنْ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ بِأَمْرِهِ فِيهِ أَنْ يَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ بِصِفَاتِهِ الْمَطْلُوقَةِ وَأَسْمَائِهِ الْمَقْدَسَةِ؛ لِيُفْصَلَ بَيْنَ فِئَتَيْنِ: فِئَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مُمَثِّلَةً بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَفِئَةِ الْبَاطِلِ وَالْكَفْرِ مُمَثِّلَةً بِكُفَّارِ قَرِيشٍ وَمَنْ شَاطِعَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَنَافِقِينَ.

ذُكِرَ النِّدَاءُ فِي الْآيَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِصِيغَةِ النِّدَاءِ " اللَّهُمَّ " وَفِي الْمَرَّتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ بِأَسْلُوبِ الْمُنَادَى الْمُضَافِ، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ فِي الْآيَةِ: اللَّهُمَّ يَا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَا عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ (2).

فَاللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ أَنْ يَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ بِكُلِّ صِفَاتِهِ الْحَسَنَى وَأَسْمَائِهِ الْمَقْدَسَةِ؛ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَافِرِينَ بِالْحَقِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. أَمَّا جُمْلَةٌ مَتَمَّ النِّدَاءَ ( أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ) فَهِيَ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ (3) فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى حَاكِمِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَطْلُوقَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْحَقِّ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالْمَعْنَى الْمُتَحَصَّلُ مِنَ الْآيَةِ: " قُلْ يَا مُحَمَّدُ : أَنْتَ يَا اللَّهَ وَحْدَكَ تَقْدِرُ عَلَى الْحُكْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَلَا حِيلَةَ لغيرِكَ فِيهِمْ " (4)؛ لِأَنَّكَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ لَا حُكْمَ إِلَّا لَكَ سُبْحَانَكَ عَمَّا يُصِفُونَ.

## • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

سُبِّقَتْ صِيغَةُ النِّدَاءِ " اللَّهُمَّ " بِفِعْلِ الْأَمْرِ " قُلْ " وَهُوَ خِطَابٌ اسْتِعْلَائِيٌّ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ. وَلِهَذَا الْخِطَابُ مَعْنَى تَدَاوُلِيٍّ هُوَ تَكْرِيمُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، صَلَّى اللَّهُ

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 54/7.

2 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم مج 54/7.

3 - المرجع السابق، مج 54/7، 55.

4 - الزمخشري، محمود عمر. تفسير الكشاف، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين. مج 128/4.

عليه وسلم؛ فقد أمره الله عز وجل أن يدعو " تتفيساً عنه من كدر الأسي على قومه، وإعذاراً لهم بالندارة، وإشعاراً لهم بأن الحق في جانبهم مضاع وأن الأجر بالرسول، صلى الله عليه وسلم، متاركتهم وأن يفوض الحكم في خلافهم إلى الله " (1). وفي استعمال صيغة النداء " اللهم " معنى تداولي هو تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتحميده وتقديسه؛ لأن هذه الصيغة تدل على عموم صفاته المطلقة وأسمائه المقدسة.

وتظهر تداولية النداء في الآية في استعمال بعض الكلمات، ففي اختيار المنادى المضاف (فاطر) معنى تداولي هو إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في الخلق. فخلق الله تعالى للسموات والأرض ولكل البشر يدل على قدرته المطلقة في الخلق. وفي اختيار المنادى المضاف الثاني (عالم) معنى تداولي هو بيان صفة مطلقة من صفات الله تعالى هي صفة العلم. فالله تعالى يعلم كل شيء خلقه فهو العليم الخبير. وفي إضافة كلمة " عباد " إلى كاف الخطاب الدالة على الله تعالى معنى تداولي يتمثل في تعظيم الله تعالى وتقديسه، فهو الخالق لكل البشر، ولا تكون عبوديتهم إلا له سبحانه وتعالى. وهو الحق، جلت قدرته، الذي سيفصل بينهم بالحق يوم القيامة.

لجملة متمم النداء الاسمية في الآية ( أنت تحكم بين عبادك ) معنى تداولي هو إعلاء شأن حاكمية الله تعالى المطلقة في خلقه؛ فهو الحكم العادل الذي يحكم بين عباده كلهم بالحق في الدنيا والآخرة. وحذف حرف النداء "يا" في الآية الكريمة ثلاث مرات لمعنى تداولي هو تقريب المنادى (الله تعالى) من الرسول الكريم بخاصة والإنسان بعامة. فالله تعالى قريب من الإنسان المؤمن يستجيب له ويلبي تضرعه.

وفي الآية تسلية للرسول الكريم وطمأنة وتثبيت على النهج القويم (رسالة التوحيد). وفيها أيضاً تهديد ووعيد لكفار قريش الذين أنكروا رسالة التوحيد التي جاء بها رسولهم

<sup>1</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 31/24.

الكريم<sup>(1)</sup>. ويمكن القول أن مبدأ التوحيد (توحيد الله تعالى وعدم الإشراف به) هو مبدأ كل الرسالات السماوية، وعلى أساسه سيحاسب الله تعالى كل عباده، فيفصل بينهم يوم القيامة. يتبين من التحليل التداولي لصيغة النداء " اللهم " أن هذه الصيغة هي تضرع المؤمن إلى الله تعالى بكل أسمائه الحسنى وصفاته المقدسة وأن هذا التضرع يشمل كل الأدعية والأذكار التي يتوسل بها المؤمن إلى الله تعالى رغبة وطمعاً في تحقيقها في الدارين ( الدنيا والآخرة). وعليه، فإن النداء بهذه الصيغة تتولد منه في مقامات كثيرة معانٍ تداولية كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: بث الشكوى والحزن إلى الله تعالى وطلب الرزق الكثير والشفاء من المرض والذرية الصالحة وتنفيس الكرب والشدائد والنجاح في الدراسة والعمل وكف الأذى وكشف الضر، إلى غير ذلك من المعاني التداولية. فالمعنى التداولي المتولد من النداء بهذه الصيغة ينتج مقام هذا النداء وظروف استعماله.

#### • المبحث الخامس: نداء النكرة المقصودة

ورد نداء النكرة المقصودة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع. تركز نداء النكرة المقصودة في محور واحد هو نداء المخلوقات (الجمادات) وهي الأرض والسماء والنار والجبال. اختارت الدراسة من نداء النكرة المقصودة في القرآن الكريم موضعين، لكل موضع منهما مقامه الخاص فيه.

#### • التحليل النحوي لنداء النكرة المقصودة:

يعد نداء النكرة المقصودة واحداً من ضربى المنادى المفرد المعرف المبنى. وفي وصف هذين الضربين يقول ابن يعيش: " وأما انتصابه محلاً فإذا كان المنادى مفرداً معرفة؛ فإنه يُبنى على الضم، ويكون موضعه نصباً، وذلك على ضربين: أحدهما ما كان معرفة قبل النداء، والثاني ما كان متعرفاً في النداء، ولم يكن قبل ذلك، وذلك، نحو " يا زيدُ " و " يا رجلُ ". فـ "

<sup>1</sup> - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير 76/3.

رجلٌ " نكرة في الأصل، وإنما صار معرفة في النداء. وذلك أنك لما قصدت قصده، وأقبلت عليه، صار معرفة، باختصاصك إياه بالخطاب دون غيره"<sup>(1)</sup>.

وفي بيان تعريف النكرة المقصودة، يقول ابن جني: " والثاني ما كان نكرة ثم نودي فحدث فيه التعريف بحرف الإشارة والقصد، نحو: يا رجلٌ "<sup>(2)</sup>. ويضيف الجرجاني مبيناً سبب تعريف النكرة المقصودة فيقول: " وسبب التعريف في " رجل " أنك أقبلت على واحد من الجنس وخصصته بالنداء فجري مجرى أن تقول: الرجل، فتأتي بلام التعريف، وتقتصر الاسم على واحد من الجنس بعينه"<sup>(3)</sup>.

يُستنتج مما سبق، أن النحاة العرب أنزلوا النكرة المقصودة منزلة المنادى العلم في التعريف والبناء والقصدية، ويظهر ذلك في وصفهم لهذين المناديين. يقول سيبويه: " والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"<sup>(4)</sup>. وفي وصف آخر: " وانتصابه محلاً إذا كان مفرداً معرفة، كقولك: " يا زيداً، و " يا غلاماً"<sup>(5)</sup>.

#### • تداولية نداء النكرة المقصودة:

جعل النحاة العرب النكرة المقصودة معرفة بالنداء والقصدية؛ لأن النداء خطاب موجّه لمعين (مقصود لذاته). " والقصد توجه بليغ في إخراج الكلمة من التكرار إلى التعريف"<sup>(6)</sup>. تكشف قصدية نداء النكرة المقصودة عن الوجه التداولي فيه، ولا تتحقق هذه القصدية إلا باستعمال هذا النداء في مقام معين. فنداء الجمادات ( الأرض والسماء والنار والجبال) في القرآن الكريم في مقامات معينة يكشف عن معانٍ تداولية مقامية لهذا النداء. وتُسهّم ضمة المنادى النكرة المقصودة في إبراز البعد التداولي فيه. فلهذه العلامة " الدلالة على التقريب، والمقصود بالتقريب أنك تدني إليك من تخاطبه، سواء أكان قريباً في المكان منك أم بعيداً. إن وجود الضمة متأت من كونك قد منحت هذا المنادى قريباً منك. وهذه

1 - ابن يعيـش، موفق الدين يعيـش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 319/1.  
2 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس. ص 106.  
3 - الجرجاني، عبد القاهر. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، مج 2/755.  
4 - سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، 2/182.  
5 - ابن يعيـش، موفق الدين يعيـش بن علي . شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إميل يعقوب، 318/1.  
6 - استيتية، سمير. علم الأصوات النحوي. ص 678.

الدلالة تداولية لا يحملها اللفظ نفسه. فالتقريب إذاً هو ما تفضي به من نفسك إلى الآخر، لا ما يفضي به إليك المكان فقط"<sup>(1)</sup>.

## 1- خطاب ( نداء) ربّ العالمين للأرض والسماء في مقام تسخيرهما لنجاة نوح عليه السلام من الطوفان:

خاطب ربُّ العالمين الأرض والسماء مخاطبة الإنسان العاقل، فنادى الأرض ثم أمرها أن تبلع ماءها إنقاذاً لسيدنا نوح ومن آمن معه من الطوفان. ونادى السماء ثم أمرها أن تمسك عن المطر إتماماً لهذه النجاة. قال تعالى: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين"<sup>(2)</sup>.

كرم الله تعالى سيدنا نوح ومن آمن معه بالنجاة من الطوفان، فأمر الأرض التي بدأ منها الطوفان بأن تبلع ماءها، وطلب من السماء أن تمسك عن إرسال المطر إنقاذاً لمشيئته المطلقة وتكريماً لسيدنا نوح عليه السلام.

بعد ذلك غار ماء الأرض فيها، وتم أمرُ الله تعالى بإغراق قوم نوح الظالمين ونجاة نوح ومن آمن معه من قومه من الطوفان. وتمثلت نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه باستقرار سفينتهم على جبل الجودي. أما بقية أهل الأرض الذين لم يركبوا بالسفينة مع سيدنا نوح ( الظالمون الذين لم يؤمنوا به) فكان مصيرهم جميعاً الهلاك بالطوفان.

### • التحليل النحوي للآية:

سُبق أسلوب النداء في الآية بالفعل الماضي المبني للمجهول (قيل)<sup>(3)</sup>. وهو خطاب رباني غير مباشر يدل على قدرة الله تعالى المطلقة في كل شيء. خاطب ربُّ العالمين الأرض مخاطبة الإنسان العاقل بأسلوب نداء النكرة المقصودة في قوله: "يا أرض ابلعي ماءك"<sup>(4)</sup> حيث أمرها أن تبلع ماءها إنقاذاً لسيدنا نوح عليه السلام ومن معه في السفينة من الغرق.

<sup>1</sup> - المرجع السابق: ص 377، 378 بتصريف.

<sup>2</sup> - سورة هود. آية ( 44).

<sup>3</sup> - انظر الإعراب في: الكراباسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج 3/622.

<sup>4</sup> - انظر: المرجع السابق، مج 3/622، 623.

أما أسلوب النداء الثاني المعطوف على أسلوب النداء الأول فهو أيضاً أسلوب نداء النكرة المقصودة ( يا سماء أفعلي )<sup>(1)</sup> وفيه يأمر الله تعالى السماء أن تتوقف عن إرسال المطر منها إتماماً لنجاة نوح ومن معه من الغرق.

وجملة " غيظ الماء " هي جملة فعلية معطوفة على أسلوب النداء السابقين وبني الفعل الماضي فيها " غيظ " للمجهول<sup>(2)</sup> إظهاراً لقدرة الله تعالى المطلقة في فعل كل شيء، فقد غار الماء ( كل الماء الذي خرج من باطنها والذي نزل عليها من السماء ) في باطنها بقدره الله تعالى ومشيتته إنقاذاً لنوح عليه السلام وتكريماً له وإهلاكاً لقومه الظالمين.

وأما جملة " وقضي الأمر " فهي جملة فعلية معطوفة على جملة " وغيظ الماء " وفعلها أيضاً فعل ماضٍ مبني للمجهول<sup>(3)</sup> ويدل على قدرة الله تعالى المطلقة ونفاذ مشيئته في خلقه. فقد أنقذ الله تعالى نوحاً ومن معه من الطوفان وأغرق قومه الظالمين بالطوفان.

وجملة " استوت على الجودي " جملة فعلية معطوفة على الجمل السابقة<sup>(4)</sup> وتعني استواء (استقرار) سفينة سيدنا نوح على جبل الجودي ونجاته من الطوفان.

خُتمت الآية الكريمة بجملة دعائية معطوفة على الجمل السابقة ومسبوقة بالفعل المبني للمجهول " قيل " <sup>(5)</sup>. فقولته تعالى: " وقيل بعداً للقوم الظالمين " خطاب رباني يدل على قدرة الله تعالى المطلقة في نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه وإغراق قومه الظالمين. فالهلاك والفناء لقومه الظالمين وهم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

#### • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

بدأت الآية بالفعل المبني للمجهول " قيل " وختمت به لمعنى تداولي هو تعظيم الخالق سبحانه وتعالى فهو الأمر الناهي المدبر بيده الأمر وهو العزيز الجبار. واستعمل حرف النداء " يا " في

1 - انظر: المرجع السابق، مج 623/3.

2 - انظر: المرجع السابق، مج 623/3.

3 - انظر: المرجع السابق، مج 623/3.

4 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم، مج 623/3.

5 - المرجع السابق، مج 623/3. وانظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفسير 13/2.

مناداة الأرض والسماء لمعنى تداولي هو إظهار علو منزلة الخالق، فهو الذي يأمر مخلوقاته ويطوعها كيفما يشاء وهو الملك الجبار.

وتظهر تداولية النداء في الآية في اختيار نوع المنادى، فقد ورد المناديان ( الأرض والسماء) في الآية الكريمة نكرتين مقصودتين لمعنى تداولي هو تطويع هذين المخلوقين وتسخيرهما لنجاة نوح ومن آمن معه من الطوفان. فهما المقصودان بالأمر الرباني (البلع والإقلاع). ولضمة المناديين (الأرض والسماء) معنى تداولي هو التطويع والتسخير والقصدية. فالله تعالى أمر الأرض ببلع مائها، وأمر السماء بالتوقف عن إرسال المطر إنقاذاً لنوح ومن معه من المؤمنين من الطوفان. وللضمة أيضاً معنى التقريب<sup>(1)</sup>؛ لأن كل المخلوقات قريبة من الله تعالى وهي جميعاً منقادة له يطوعها ويسخرها كيفما يشاء. وخاطب الله تعالى الأرض قبل خطاب السماء في الآية، لمعنى تداولي هو ترتيب القصد والتسخير. أمر الله تعالى الأرض ببلع مائها؛ لأن الطوفان بدأ منها ثم أمر السماء بالتوقف عن إرسال المطر. وبهذين الأمرين تمّ أمر الله تعالى ونفذت مشيئته، فأغرق قوم نوح الظالمين ونجّى نوحاً ومن آمن معه من الطوفان.

وفي قوله تعالى: "وقضي الأمر" معنى تداولي هو بيان قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه وإظهار حكمه المطلق عليهم. تمثلت قدرة الله تعالى المطلقة ومعجزته بإغراق قوم نوح الظالمين بالطوفان وتتجية نوح عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان. وفي استعمال حرف العطف " الواو" في الآية الكريمة معنى تداولي هو ترتيب مراحل نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان وهلاك قومه به. في هذا الترتيب تظهر قدرة الله تعالى المطلقة في تطويع المخلوقات وتسخيرها وإذلالها له جلّت قدرته، فهو الأمر الناهي الملك الجبار.

<sup>1</sup> - انظر: استنبطية، سمير. علم الأصوات النحوي، ص 377، 378.

في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه عظة وعبرة لمن كذّب وعاند، وتسليية للرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وتثبيت له على الحق الذي جاء به (1). وذم وتحقير وتوبيخ لكل الظالمين الذين أنكروا وحدانية الله ولم يؤمنوا به. وظهر هذا المعنى في استعمال المصدر النائب عن المفعول المطلق (بُعداً). فمقام استعمال المصدر (بُعداً) مقام ذم وتوبيخ وتحقير لقوم نوح الظالمين بخاصة ولكل الظالمين الذين أنكروا وحدانية الله تعالى بعامه (2). ويمكن القول أن مصير الأنبياء والرسل والصالحين والمتقين الفوز والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، أما الظالمون الذين لم يؤمنوا بالله تعالى ورسله وكتبه فمصيرهم الهلاك في الدنيا وهم خالدون في نار جهنم يوم القيامة. فأمر كل المخلوقات بيد الله تعالى خالقها فهو يطوعها ويسخرها كيفما يشاء. وهي ذليلة منقادة له في كل أمر، وقدرته المطلقة فيها آيات باهرة دالة على وجوده ووحدانيته وعظمته.

2- خطاب ( نداء) الله تعالى للنار في مقام تسخيرها وتطويعها لتكون برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم:

خاطب رب العالمين النار التي أراد قوم سيدنا إبراهيم إحراقه بها مخاطبة العقلاء، حيث أمرها أن تكون برداً وسلاماً عليه إظهاراً لقدرته المطلقة في تطويع مخلوقاته وتسخيرها كيفما يشاء وتكريماً لسيدنا إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: "قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم" (3).

أقدر الله تعالى خليله ونبيه إبراهيم عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه وثبته في دعوته إلى الحق. و"لما غلب سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه بالحجة القاهرة لم يجدوا مخلصاً إلا بإهلاكه كما فعل المشركون من قريش مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين عجزوا عن

1 - انظر: الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 10/2.

2 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتوير، 79/12.

3 - سورة الأنبياء. آية ( 69).

المعارضة. واختار قوم إبراهيم أن يكون إهلاكه بالإحراق؛ لأن النار أهول ما يُعاقب به وأفظعه" (1).

إنّ عزم قوم سيدنا إبراهيم على إحراقه هو رأي جماعي ارتأوه وقرروا فعله بعد أن غلبهم بالحجج والبراهين الدالة على صدقه وصدق نبوءته، وقد بين رب العزة ذلك الأمر في قوله: " قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إنّ كنتم فاعلين" (2).

وقيل إنّ الذي أشار على قوم سيدنا إبراهيم بإحراقه رجلٌ منهم وهو كردي اسمه " هينون"، واستحسن القوم ذلك، والذي أمر بالإحراق هو ملكهم " نمرود" (3).

تتلخص محاولة إحراق قوم سيدنا إبراهيم له في أنهم " لما أرادوا إحراق إبراهيم جمعوا له حطباً مدة شهر حتى كانت المرأة تمرض فتتذر إن عوفيت أن تحمل حطباً يحرق إبراهيم، ثم جعلوه في حفرة من الأرض وأضرموها ناراً فكان لها لهب عظيم حتى إنّ الطائر ليمرُّ من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرّها، ثم أوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، فجاء إليه جبريل فقال : ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي" فقال الله: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، ولم تحرق النار منه سوى وثاقه وقال ابن عباس: لو لم يقل الله " سلاماً" لأذى إبراهيم بردها" (4).

وعليه؛ فالله تعالى أنقذ سيدنا إبراهيم من النار انتصاراً لدينه الحنيف وتكريماً لنبيه

الخليل،" فقد جعل النار عليه برداً وسلاماً وخرج منها سالماً فكانت أعظم آية" (5).

1 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 105/17 بتصرف.

2 - سورة الأنبياء. آية ( 68).

3 - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، 105/17.

4 - الصابوني، محمد علي . صفوة التفاسير، 2/ 245.

5 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، 304/6.

## • التحليل النحوي للآية:

سُبِقَ أسلوب النداء في الآية بالجملة الفعلية " قلنا"<sup>(1)</sup>. وقوله تعالى: " قلنا" خطاب قدرة واستعلاء يدل على عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة في تطويع مخلوقاته وتسخيرها. " فالقائل هو الله تعالى، وقيل: جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى"<sup>(2)</sup>.

والمنادى في الآية هو النكرة المقصودة (نارٌ)<sup>(3)</sup>. خاطب الله تعالى النار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم مخاطبة الإنسان العاقل بأسلوب نداء النكرة المقصودة؛ لأنه أراد أن يطوع هذه النار ويسخرها لتكون برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم.

أما جملة متمم النداء ( كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فهي جملة اسمية مُصدّرة بفعل الأمر الناسخ ( كُنْ)<sup>(4)</sup> وفيها يخاطب ( يأمر) رب العالمين النار بأن تكون برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم. وعطف قوله "سلاماً"<sup>(5)</sup> على "برداً"؛ لأن الله تعالى أراد لهذه النار أن تجمع خاصيتي البرودة والسلامة. ويروى " عن ابن عباس أنه قال: لو لم يقل " وسلاماً" لهلك إبراهيم من البرد، ولو لم يقل " على إبراهيم" لما أحرقت نار بعدها ولا انقادت"<sup>(6)</sup>.

وعليه، فقد كرم الله تعالى سيدنا إبراهيم بإنقاذه من النار حيث " نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير"<sup>(7)</sup>. وتظهر حقيقة التكريم بقوله تعالى: " على إبراهيم"، فالله تعالى جعلها برداً وسلاماً عليه، وبهاتين الصفتين ( معجزة تحويل النار المحرقة إلى برد وسلام) أنقذ الله

1 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج5/210.

2 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، 6/304.

3 - انظر الإعراب في: الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. مج5/211.

4 - انظر: المرجع السابق: مج5/211.

5 - انظر: المرجع السابق: مج5/211.

6 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، 6/304.

7 - أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، 6/305.

تعالى سيدنا إبراهيم من الموت والهلاك. وإنقاذ سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار مظهر من مظاهر تكريمه ونصره وتأييده.

#### • تداولية الآية:

تتلخص المعاني التداولية المتولدة من مقام النداء في هذه الآية بما هو آت:

تظهر تداولية النداء في هذه الآية في استعمال بعض الكلمات، ففي استعمال الفعل الماضي المسند إلى "نا" الفاعلين "قلنا" معنى تداولي هو إظهار عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة فهو الأمر الناهي الملك الجبار يسخر مخلوقاته ويطوعها كيفما يشاء. واستعمل حرف النداء "يا" في نداء النكرة المقصودة (نار) لمعنى تداولي هو استعلاء الخالق على مخلوقاته. فالله تعالى يأمر مخلوقاته ويفعل بها ما يشاء ويصيرها بالكيفية التي يريد.

ولضمة المنادى النكرة المقصودة معنى تداولي هو التقريب (1) والتطويع والتسخير والتصيير. فالله تعالى جعل النار برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم عليه السلام. وفي اختيار فعل الأمر "كوني" معنى تداولي هو بيان قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه. فقدرته مطلقة في كل أمر وحكمه لا يُرد ومشيئته نافذة وأمره واقع لا محالة. وفي استعمال المصدر "برداً" معنى تداولي هو المبالغة والتكثير (2). فالله تعالى سلب النار خاصية الإيذاء والإحراق وجعلها برداً غير مؤذ (آمناً) على سيدنا إبراهيم عليه السلام. وفي استعمال المصدر المعطوف "سلاماً" معنى تداولي هو شدة حرص الله تعالى على إنقاذ سيدنا إبراهيم من النار وتحقيق سلامته ونجاته منها إظهاراً لقدرة الله تعالى المطلقة في خلقه وإنقاذاً لنبيه وخليه إبراهيم عليه السلام من الموت بالنار.

وتتضمن الآية الكريمة تكريماً لنبي الله تعالى وخليه إبراهيم عليه السلام، ويظهر هذا التكريم في قوله تعالى: "على إبراهيم". فالله تعالى أمر النار أن تتحول إلى بردٍ وسلامٍ على نبيه إبراهيم تكريماً له. والتكريم يتمثل في نزع خاصية الإيذاء والحر والإحراق من النار وجعلها

1 - انظر: استثنائية، سمير. علم الأصوات النحوي، ص 377، 378.

2 - انظر: الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، 247/2.

آمنة غير مؤذية. وفيها أيضاً توبيخ وذم ووعد لقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ فقد تركوا عبادة الله تعالى الواحد القهار وعبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وعصوا رب العالمين وخليه إبراهيم وأطاعوا ملكهم الظالم الكافر (النمرود).

وعليه فإن الله تعالى يتولى أنبياءه ورسله وأصفياءه والمؤمنين بالرحمة والمغفرة وينصرهم على أعدائه وأعدائهم ويؤيدهم بالمعجزات الدالة على وحدانيته وقدرته المطلقة. يتبين من التحليل التداولي لنداء النكرة المقصودة في القرآن الكريم أن لهذا النداء معنى تداولي عام هو تطويع المخلوقات (الكائنات) وتسخيرها إظهاراً لقدرة الله تعالى المطلقة في خلقه وتكريماً لأنبيائه ورسله، وأن هذا المعنى التداولي العام تتولد منه معانٍ تداولية أخرى يمكن الوقوف عليها واستنبطانها وذلك بالنظر في مقام الآية وظروفها. وحتى نتمكن من معرفة هذه المعاني يجب علينا أن نحلل كل عنصر من عناصر نداء النكرة المقصودة تحليلاً تداولياً.

© Arabic Digital Library - Yamouk University

## خاتمة الدراسة:

خُصتْ هذه الدراسة إلى نتيجة أساسية مفادها أن التفكير اللغوي عند العرب تفكير تداولي؛ لأن علماء العربية (النحاة والبلاغيين والأصوليين والمفسرين) أشاروا إلى مقام اللغة وظروف استعمالها. فاللغة لا تعرف مقاصدها ولا يكشف عن معانيها وأغراضها إلا بمعرفة المقامات والظروف الملازمة لاستعمالها. وقد ترتبت على هذه النتيجة الاستنتاجات التالية:

1- وصف النحاة العرب الظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والنحوي والدلالي، واجتهدوا في تقعيد هذه الظاهرة وبيان قواعدها وأحكامها وشروطها وضوابطها. واهتموا أيضاً بالجانب الاستعمالي (التداولي) المرتبط بهذه الظاهرة. فالنحو العربي نحو وصفي معياري تداولي يركز على وصف الظاهرة اللغوية وتقعيدها وبيان مقامها والظروف الملازمة لها حين استعمالها وممارستها في واقع الحياة. وخير من يمثل هذه الحقيقة (وصفية النحو العربي ومعياريته وتداوليته) سيبويه في كتابه (الكتاب). فقد وصف سيبويه ظواهر اللغة العربية واجتهد في تقعيدها وبيان أحكامها، واهتم بالجانب الاستعمالي (التداولي) المرتبط بظواهر هذه اللغة. فظواهر اللغة عنده محكومة بقواعد وضوابط وشروط، وهي أيضاً مرتبطة بمقامات وظروف ملازمة لها. وبمعرفة هذه المقامات والظروف تعرف مقاصد ظواهر اللغة وأغراضها، ويكشف عن معانيها.

2- تبع النحاة العرب سيبويه في ذلك كله، وساروا على خطاه. من هؤلاء النحاة عبد القاهر الجرجاني وابن جني.

3- اهتم البلاغيون العرب بتداولية اللغة واستعمالية الكلام، فأشاروا إلى المقامات والظروف المرتبطة باستعمال اللغة وبيّنوا أهميتها في فهم أغراض اللغة ومقاصد المتكلمين. نذكر من هؤلاء البلاغيين على سبيل المثال لا الحصر الجاحظ والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني.

4- أرسى العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني قواعد نظرية النظم وهي نظرية لغوية شاملة في النحو والبلاغة. ويمكن لدارسي اللغة أن يعتمدوا على هذه النظرية في فهم تراكيب العربية وأساليبها ومعرفة المعاني التداولية المتولدة من هذه التراكيب والأساليب.

5- أساس نظرية النظم عند الجرجاني هو صحة تراكيب اللغة وسلامة أساليبها وخضوعها لقواعد هذه اللغة وأحكامها. ونبه الجرجاني في نظمه إلى ضرورة معرفة مقام الكلام المرتبط بهذا النظم. فالنظم عنده يتعدى صحة التركيب وسلامته إلى معرفة المقام والظروف المرتبطة بهذا النظم (السياق) والمقام الذي يرتبط بهذا السياق (النظم). وعلى دارسي العربية أن يستثمروا تداولية النظم عند الجرجاني (نظمه التداولي) في فهم مقاصد اللغة ومعرفة أغراضها المتولدة من تراكيبها وأساليبها ومفرداتها وأصواتها.

6- فهم الأصوليون والمفسرون قواعد اللغة وهضموا أحكامها وضوابطها وشروطها. وتأثروا بالنحاة والبلاغيين فأشاروا في مصنفاتهم إلى ضرورة معرفة أغراض اللغة ومقاصد متكلميها تمهيداً لفهم مقاصد الشريعة وأغراضها.

7- سبق الفكر اللغوي العربي الفكر اللغوي الغربي في تنظيره للمستوى التداولي للغة. فقد تنبه العرب إلى مقام الكلام المرتبط به، ودوره في بيان مقاصد الكلام والكشف عن أغراضه ومعانيه.

8- يعدّ العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني رائد التداولية العربية؛ لأنه وضع نظرية لغوية شاملة في التركيب والدلالة هي نظرية النظم. وقد ربط الجرجاني فكرة النظم عنده بالمقام، فلا يفهم نظم التركيب (سياقه) إلا بربطه بمقامه. فمقام التركيب يكشف عن معانيه وأغراضه وقصوده.

9- يعد أسلوب النداء واحداً من أساليب العربية التي نظّر لها النحاة العرب في مصنفاتهم. فقد وصف سيبويه هذا الأسلوب واجتهد في وضع قواعده وأحكامه وأسهب في ذكر تفصيلاته وتفريعاته. وربط فهم هذا الأسلوب بفهم أحكامه وظروف استعماله. فلا تتكشف معاني هذا الأسلوب ولا تعرف أغراضه وقصوده إلا بفهم مقامه ومعرفة ظروف استعماله.

10- تحدث البلاغيون العرب عن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء. وهي معان تداولية استنتجها البلاغيون العرب بسبب فهمهم لمقامات هذا النداء وظروف استعماله. ويمكن القول أن تداولية النداء تفوق الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء؛ لأن المعاني التي يمكن

استنباطها من مقامات النداء معان كثيرة ومتعددة؛ لأن مقاماتها كثيرة ومتعددة ولأن مواقف الحياة المرتبطة باستعمال هذا الأسلوب كثيرة أيضاً.

11- اعتمد المفسرون في بيان المعاني المتولدة من أساليب النداء المتعددة الواردة في آيات القرآن الحكيم على أسباب النزول والظروف المرتبطة بهذه الآيات. فالتحليل التداولي لأساليب النداء المتعددة الواردة في آيات القرآن الكريم يعتمد على مقامية هذه الأساليب وظروف استعمالها وأسباب النزول المرتبطة بها.

12- من المفسرين الذين اعتمدوا على المستوى التداولي في تحليل أساليب النداء الواردة في القرآن الكريم تحليلاً تداولياً الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور. حاول ابن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير " أن يظهر الوجه التداولي مستعيناً بأسباب النزول والظروف والملابسات المرتبطة بهذا الأسلوب.

13- تكمن تداولية أسلوب النداء في تعدد حروفه واختلاف أنماطه وتفرع أحكامه. وتظهر تداولية هذا الأسلوب أيضاً في ذكر حرف النداء أو حذفه أو في اختيار حرف دون آخر في الاستعمال.

14- لعلامات الإعراب المستعملة في أساليب النداء وأنواعه دلالة تداولية؛ لأن علامات الإعراب دوال على المعاني. فضمة المنادى العلم و المنادى النكرة المقصودة لها دلالة تداولية هي التقريب.

15- لم يُذكر المنادى الشبيه بالمضاف في القرآن الكريم، ولم يذكر أيضاً المنادى النكرة غير المقصودة؛ لأن الخطاب الرباني ( النداء الرباني ) لا ينسجم مع استعمال هذين النوعين من النداء.

16- لأن النداء الرباني في القرآن الكريم نداء موجه ومقصود لمعين ومقصود، فقد استعمل فيه نداء المضاف ونداء الأعلام ونداء النكرة المقصودة ونداء الاسم المعروف.

17- لكل عنصر من عناصر أسلوب النداء المستعمل في القرآن الكريم معانيه التداولية المستكنة فيه. ولا يمكن لنا استنباط هذه المعاني إلا بمعرفة مقام هذا الأسلوب وظروف استعماله.

18- تداولية أسلوب النداء في العربية مظهر من مظاهر تداوليتها ووجه من وجوه استعماليتها.

## قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- استيتية، سمير. الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م.
- رياض القرآن: تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2005م.
- علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2012م.
- اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2005م.
- منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص، ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م.
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني، الجزء الأول والثالث عشر، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م.
- الأمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام، الجزء الأول، تحقيق سيد الجميلي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م.
- امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، مصر: دار المعارف.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق: مطبعة الترقى، 1957م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2003م.
- أوستن، جان. نظرية أفعال الكلام العامة. ترجمة عبد القادر قنيني، المغرب: أفريقيا الشرق، 1992م.

- بابتي، عزيزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي، الجزء الأول والثاني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.
- بشر، كمال. دراسات في علم اللغة القسم الثاني، ط2، مصر: دار المعارف، 1971م.
- البقاعي، ابراهيم عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الجزء الأول، تحقيق عبدالرزاق غالب المهدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2009م.
- البياتي، سناء حميد. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م.
- البيضاوي، عبدالله عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الجزء الأول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، الجزء الأول، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجبل، (د.ت.).
- الجبوري، يحيى. ليبيد بن ربيعة العامري، ط1، الكويت: دار القلم، 1970م.
- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتز، ط3، بيروت: دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، 1983م.
- —. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004م.
- —. المقتصد في شرح الإيضاح، المجلد الثاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، العراق: دار الرشيد للنشر، 1982م.
- الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1987م.
- جمعة، سعيد أحمد. البلاغة العالية في آية المداينة، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2003م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، الجزء الأول والثاني والثالث، تحقيق محمد علي النجار، ط4، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة والقاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

- . كتاب اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس، الكويت: دار الكتب الثقافية، 1972م.

- الجوارري، أحمد عبد الستار. نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م.

- . نحو المعاني، طبعة جديدة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006م.

- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. الكافية في النحو شرح رضي الدين الاسترأبادي، الجزء الأول، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 2000م.

- الحادرة، ديوان شعر الحادرة. إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق ناصر الدين الأسد، فصل من مجلة معهد المخطوطات، مجلد 15، 1969م.

- حداد، حنا جميل. معجم شواهد النحو الشعرية، ط1، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1984م.

- حسان، تمام. الخلاصة النحوية، ط1، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2000م.

- . اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

- الحطيئة، ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، (د.ت).

- الحمد، علي توفيق والزعبي، يوسف جميل. المعجم الوافي في النحو العربي، عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون وإرید: دار الأمل، 1984م.

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. ارتشاف الضرب من لسان العرب، الجزء الخامس، تحقيق رجب عثمان محمد ومراجعة رمضان عبد التواب، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م.

- . تفسير البحر المحيط، الأجزاء: 2,3,4,5,6,8، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.
- ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن، عني بنشره براجستراسر، القاهرة: دار الهجرة(د.ت) .
- الخنساء، شرح ديوان الخنساء. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1975م.
- دلاش، الجيلالي. مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق. كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة وإريد: دار الأمل ، 1984م.
- الزركشي، محمد بن عبدالله. البرهان في علوم القرآن، الجزء الأول، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر،(د.ت).
- الزمخشري، محمود عمر. أساس البلاغة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ت).
- . تفسير الكشاف، المجلد الأول والثاني والثالث والرابع، ضبط وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- الزمكاني، كمال الدين عبد الواحد. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الكتاب التاسع، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، ط1، بغداد: مطبعة العاني، 1974م.
- السامرائي، ابراهيم عبود. الأساليب الإنشائية في العربية: النمط والاستعمال، ط1، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2007م.
- سببتي، مصطفى. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م.
- ابن السراج، محمد بن سهل. الأصول في النحو، الجزء الأول، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988م.
- السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، الجزء الأول والثاني والرابع، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- السيوطي، جلال الدين. الاتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2008م.
- الأشباه والنظائر في النحو، الجزء الأول، تحقيق فايز ترحيني، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- لباب النقول في أسباب النزول، بيروت: دار إحياء العلوم، 1980م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وآخرون، بيروت: دار الجيل، (د.ت).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، الجزء الثالث، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، 1977م.
- الشاطبي، ابراهيم بن موسى. الموافقات في أصول الشريعة، الجزء الثاني و الثالث، تحقيق عبدالله دراز، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1980م.
- الشافعي، محمد بن إدريس. الرسالة، تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.
- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، المجلد السادس، مصر: مطابع أخبار اليوم التجارية، 1991م.
- الشوكاني، محمد علي. فتح القدير، المجلد الأول والثاني والثالث والخامس، تحقيق سيد ابراهيم، القاهرة: دار الحديث، 2007م.
- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، الجزء الأول والثاني والثالث، طبعة جديدة منقحة ومصححة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.

- صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، الجزء الأول والثاني، بيروت: المكتبة العلمية، 1933م.
- الضبي، المفضل. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط4، مصر: دار المعارف، 1964م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، الأجزاء: 20، 22، 21، 24، 28، 26، 19، 18، 17، 16، 15، 12، 10، 9، 8، 7، 6، 5، 3، 2، 1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
- عتيق، عبد العزيز. علم المعاني في البلاغة العربية، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2000م.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن. المقرب، الكتاب الثالث، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، (د.ت).
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة جديدة، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1995م.
- علوي، حافظ إسماعيلي. التداوليات علم استعمال اللغة، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2011م.
- عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق وشرح إميل بديع يعقوب، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1991م.
- العوادي، أسعد خلف. سياق الحال في كتاب سيبويه: دراسة في النحو والدلالة، ط1، عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2011م.
- عيد، محمد. النحو المصفي، ط1، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، 2005م.
- الغزالي، محمد. المستصفي من علم الأصول، الجزء الثاني، تحقيق محمد سليمان الأشقر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م.

- الفارابي، محمد بن طرخان. كتاب الحروف، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006م.
- فارس، أحمد محمد. النداء في اللغة والقرآن، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، 1989م.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. أدب الكاتب، شرح وتقديم علي فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.
- القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء الأول، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، 1993م.
- القيرواني، ابن رشيح الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الجزء الأول، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، 1972م.
- ابن القيم، محمد. أعلام الموقعين عن رب العالمين، الجزء الأول، تحقيق وضبط عبد الرحمن الوكيل، مصر: دار الكتب الحديثة، 1969م.
- كثير عزة، ديوان كثير عزة، شرحه عدنان زكي درويش، ط1، بيروت: دار صادر، 1994م.
- الكرياسي، محمد جعفر. إعراب القرآن الكريم. المجلدات: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، ط1، بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2001م.
- الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الجزء الرابع، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976م.
- المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، الجزء الثالث والرابع، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
- محمد، أحمد سعد. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 1999م.

- المخزومي، مهدي. في النحو العربي: قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ط1، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1966م.
- —. في النحو العربي: نقد وتوجيه، ط1، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1964م.
- المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م.
- مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م.
- مقبول، إدريس. الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2007م.
- ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، الأجزاء: 4، 5، 10، 14، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، 1999م.
- الموسى، نهاد. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.
- الميداني، أحمد بن محمد. مجمع الأمثال، الجزء الثاني والثالث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت: دار الجيل، 1987م.
- الميداني، عبد الرحمن. البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، الجزء الأول، ط1، دمشق: دار القلم وبيروت: الدار الشامية، 1996م.
- نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م.
- نهر، هادي. التراكيب اللغوية في العربية: دراسة وصفية تطبيقية، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1987م.
- هارون، عبد السلام. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مصر: مؤسسة الخانجي وبغداد: مكتبة المثني، 1959م.

- ابن هشام، عبدالله جمال الدين. أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، الجزء الثالث، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1966م.
- قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، 2005م.
- الواحدي، علي بن أحمد. أسباب النزول، تحقيق السيد الجميلي، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م.
- وهبة، نجيب. الموسوعة العربية في النحو والصرف والبلاغة والإلقاء، مطبعة الخلاص، (د.ت).
- يعقوب، إميل. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، الجزء الأول والثاني والثالث، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري، الجزء الأول والخامس، تحقيق إميل يعقوب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
- الرسائل الجامعية:
- عمارة، حليلة. جملة النداء بين النظرية والتطبيق. رسالة ماجستير، اربد: جامعة اليرموك، 1990م.

المراجع الأجنبية:

- 1- Baalbaki, Ramzi. Dictionary of linguistics terms, edition1, Beirut: Dar El- Ilm Lilmalayin, 1990.
- 2- Leech, Geoffrey. Principles of Pragmatics, New York: Longman Linguistics Library, 1983.
- 3- Levinson, Stephen. Pragmatics. Cambridge University Press, 1985.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

## **Abstract**

### **Vocative in the Holy Quran: Pragmatic and Syntactic Study.**

**Prepared by student:**

**Ezziddin Ibrahim Rfaifan Al Awadeen**

**Supervised by prof. Dr:**

**Samir Sharif Estaityeh**

This study dealt with one of the language styles that the grammarians (Nuhat) had speculated to. It is the vocative style. The study sought to examine this style in one of the language levels that is the pragmatic one. The study will follow an analytical descriptive method in describing the syntax of this style and demonstrating its pragmatics.

The researcher therefore, suggested that the study be in three chapters in addition to a preface and an introduction.

The first chapter: The linguistic pragmatism. The first topic discusses linguistic pragmatism in the Arab Thought. This topic embodies six issues. First issue that deals with the concept of pragmatism in the language and terminology; the second issue is pragmatism of the Arabic grammarians; the third issue is pragmatism of the Arabic eloquent; the fourth issue is pragmatism of the fundamentalists; the fifth issue is pragmatism of the explicators; the sixth issue is the pragmatism of Abdel Qaher Al Jirjani, the pioneer of pragmatism in the Arab Thought; whereas the second topic is the linguistic pragmatism in Western Thought.

While in the second chapter, the researcher proposed that this chapter describes the vocative style from the view of the ancient Arabic syntactic, and in analyses it syntactically and pragmatically. This chapter consists of two topics. The first: describing the "vocative style" from the point of view of the Arabic syntactic and the pragmatic analysis of the vocative style; this topic consists of seven issues; the first issue describes the vocative style from the view of the ancient Arabic syntactic, and its pragmatic analysis, the second issue: describing the "vocative particles" and its

pragmatic analysis; the third issue: describing the types, the rules and the pragmatic analysis of " the vocative"; the fourth issue: describing the theme of " elegy" and its pragmatic analysis; the fifth issue: describing the theme of " appeal for aid" and its pragmatic analysis; the sixth issue; describing the topic of " apocopation" and its pragmatic analysis; and the seventh issue: describing the topic of "specialization" and its pragmatic analysis. While the second topic is the vocative style in the view of ancient Arab rhetoric, in this topic there are two issues, the first is the rank of vocative in the view of ancient Arab rhetoric and the second issue is the vocative pragmatic analysis in the Arabic rhetoric.

The researcher dedicated the third chapter, which is an applicable chapter to describe the vocative styles stated in the Holy Quran, and syntactically and pragmatically analyzing them. This chapter includes five topics, they are: First topic: Vocative of the defined noun in which there are three issues. The first issue is the vocative of the relative pronoun (Allatheena Aamanou); the second issue is the vocative of the defined noun (Alnas); the third issue is the vocative of the defined noun (Alnabi); and the third topic is the vocative of the notification.

The third topic is the vocative of the adjunct noun; in this topic there are three issues: the first is vocative of the pronunciation "Rub" added to the "Ya" of the speaker; the second is vocative of the pronunciation "Rub" added to the "Na" of the speakers; the third issue is vocative of the pronunciation of " Qawm" added to the " Ya" of the speaker; the fourth topic is vocative of the pronunciation of Almighty "Allahum"; and the fifth topic is vocative of the intended indefinite.

The researcher relied on the view of Abdel Qaher Al Jirjani, in describing the vocative styles mentioned in the Holy Quran, and analyzed them a syntactic and pragmatic analysis.

The researcher concluded his research by mentioning the most important results he researched to.